روائع الخطب المنبرية

للجمع والأعياد والمناسبات الدينية

(القسم الثاني)

من إعداد الفقير إلى عفو الله

إبراهيم يحيى الدرسي الحمزي وفقه الله

منشورات

مركز الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام

تاسعاً:

الخطب المتعلقة بالعبادة والإخلاص

١- حول الحكمة من بعض التشريعات والعبادات

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّباً، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً، اَللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ بِجَمِيعِ مَحَامِدِكَ كُلِّها، ما عَلِمْنا مِنْها وَما لَمْ نَعْلَمْ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً يُوافِي نِعَمَكَ، وَيُوافِي مَزِيدَ كَرَمِكَ، حَمْداً يَزِيدُ عَلى حَمْدِ جَمِيعِ خَلْقِكَ، حَمْداً نَبْلُغُ بِهِ رِضاكَ، وَنُؤَدّي بِهِ شُكْرَكَ، وَنَسْتَوْجِبُ بِهِ الْمَزِيدَ مِنْ عِنْدِكَ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ، وَإِتْمَامِ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيماً مِيلَادُهُ، فَهَدَى الناسَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: فإن الله تعالى شرع شرائع الإسلام، وجعل في ذلك التشريع حكمة تعبدية يبتلي عباده بها في مدى امتثالهم لربهم، وجعلها أيضاً موافقة لمصالحهم الدينية والدنيوية، يكتسبون بسببها قوة وسلامة في أبدانهم، وصحة في أجسادهم، وبركة في أموالهم، وسلامة من كثير من بلاء الدنيا ومصيباتها، ويبين ذلك أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام في قوله:

(إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجَلِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ، أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ، وَارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ، وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ، وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ).

أيها المؤمنون: العبادات تنقسم إلى قسمين: عبادات تعبدية شعائرية، وعبادات تعاملية:

فالعبادات التعبدية الشعائرية: كالصلاة والصيام والحج والزكاة، وهي تعبدية، وتتعلق بها مصالح العباد، فالصلاة هي أساس الوازع الديني وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإذا أراد الإنسان أن يعرف مدى الوازع الديني لديه فليختبر نفسه في بعض تصرفاتها، كما روي أن رجلاً أراد أن يختبر راعياً أحيراً، فقال له: أيها الراعي بعني هذه الشاة، وخذ ثمنها، فقال الراعي: إنها ليست لي، فقال الرجل: قل لصاحبها ماتت، أو أكلها الذئب، فقال الراعي: والله إني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها، ولو قلت لصاحبها ماتت، أو أكلها الذئب لصدقني، فإني عنده صادق أمين، ولكن أين أفر من مراقبة الله؟.

فانظروا هذا الراعي وضع النقاط على الحروف وضع يده على جوهر الدين، فكفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى به جهلاً أن يعصيه.

والعبادات التعاملية: هي الصدق والأمانة والتواضع والعفة والعدل والإنصاف والرحمة وإنجاز الوعد، والوفاء بالعهد والتعفف عن المال الحرام، كما روي أن جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه لما دخل على النجاشي ملك الحبشة، حين هاجر المسلمون إليها فسأله النجاشي عن الدين الذي جاء به نبي الإسلام فقال له: (أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الرحم، ونسيء الجوار، حتى بعث الله فينا رجلاً، نعرف صدقه وأمانته، وعفافه ونسبه، فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء)، فمن هذا الكلام يتضح لنا تعريف التعامل الديني وأن الإيمان هو الخُلُق، فمن زاد في الخلق، زاد في الإيمان.

فتشريعات الإسلام كلها عدل ورحمة ومصلحة للعباد وحكمة، فكل قضية خرجت من العدل إلى الجور، ومن الرحمة إلى القسوة، ومن المصلحة إلى المفسدة، ومن الحكمة إلى العبثية، فقد خالفت الشريعة ولو حاولت إدخالها إلى الشريعة بألف تأويل.

والحقيقة الهامة: هي أن العبادات الشعائرية لا تقبل ولا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية، لأن الإسلام علم وعمل، نظرية وتطبيق، عبادة ومعاملة، الإسلام كلٌ لا يتجزأ، فبعض أوامره عبادية وبعضها تعاملية، وإذا لم يصح تعاملك مع الخلق وفق منهج الله عز وجل لن تصح عبادتك.

فلا ينبغي للمسلم أن يختصر الإسلام في صوم وصلاة وحج وزكاة، مع أن بيعه وشراءه غير شرعي، أو أن يكون حسن التعامل مع الناس، كثير الإنبساط ولكنه يقصر في صلاته وزكاته وعبادته، فهذا مخالف لتعاليم الإسلام، فلا بد من جمع حلقات السلسلة الإسلامية كي تتصل ولا تنقطع، كي تتكامل ولا ينفصل بعضها من بعض.

الصلاة والصيام والحج والإنفاق لا تجدي ولا تنفع، إذا كان الإنسان متلبساً بالمعصية.

فقد سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه فقال: أتدرون مَن المفلس؟ قالوا: (من لا درهم ولا متاع)، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((لا، المفلس من أتى بصلاة وصيام وصدقة، وقد أكل مال هذا، وشتم هذا، وضرب هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته، طرحوا عليه سيئاتهم حتى يطرح في النار))، لأن الله تعالى أمرنا أن نؤدي عبادته وطاعته كما يريد، ولم يكل ذلك إلينا أو إلى إرادتنا، كما ورد في الحديث القدسي: ((يا ابن آدم كن لي كما أريد أكن لك كما تريد، كن لي كما أريد ولا تعلمني بما يصلحك، أنت تريد وأنا أريد، فإن سلمت لي بما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد)).

ولكن ما السبب في ضعف العبادة التعاملية حتى ضعفت عندنا العبادات جميعاً؟

والجواب: هو أنها ضعفت عندنا المعرفة بالآمر والناهي، لأن أصل الدين معرفة الله، فنحن إذا عرفنا الآمر، ثم عرفنا الأمر، تفانينا في طاعة الآمر، أما إذا عرفنا الأمر، ولم نعرف الآمر، فإننا نتفنن في التفلت من الأمر.

وطريقنا إلى معرفة الآمر: هي التفكر في آياته الدالة على عظمته، وما أكثر آيات الله التي تقودنا إلى تعظيمه وتقديره حق قدره، وما أكثر نعم الله علينا التي توجب علينا شكره طلباً لرضاه وزيادته، وتمنعنا من معصيته، أليس الأجدر بنا أن نطلب رضاه، وأن نرجو جنته، وتتقي ناره.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه وجنبنا معاصيه، وغفر لنا ولكم سالف ذنوبنا فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}**، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، نحمده ونستعينه ونستهديه الهدى، ونعوذ بالله من الضلالة والردى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، والقائم بلا عناء، والدائم بلا فناء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين والأنبياء، صلوات الله عليه وعلى آله الأصفياء.

أما بعد: أيها المؤمنون: إن الله يعطي الصحة والمال، والذكاء والجمال للكثيرين من خلقه، ولكنه لا يعطي السكينة والطمأنينة والرضا إلا لأصفيائه المؤمنين.

في قلب الإنسان وحشة لا يؤنسها ولا يزيلها إلا الأنس بالله عز وجل، ماذا يفعل المال؟ وماذا يفعل الجاه؟ وماذا تفعل القوة؟ وماذا تفعل كثرة الأهل والولد؟ إن لم يأنس قلبك بذكر الله.

في قلب الإنسان شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، كل إنسان يشعر بالضياع ما لم يقبل على الله عز وجل، لو أن الدنيا بين يديك أيها الإنسان، لو بلغت أعلى درجات القوة، فإنك تشعر بالشعث بالضياع بالتفرق، ما لم يقبل على الله عز وجل.

في قلب الإنسان حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله، وفي قلب الإنسان قلق لا يسكنه إلا الاجتماع على طاعة الله والفرار إليه.

أليس القلق والتوتر من أمراض العصر الخطيرة؟ إذا أعرض الإنسان عن ربه عوقب بالقلق، عوقب بأن يتوقع حصول المجهول، ابتلي بتوقع الخطر، فيعيش في خوف وفي قلق متزايد، فأنت من خوف الفقر في فقر، أنت من خوف المرض في مرض، القلق يأكل القلوب، الخوف من المستقبل، الخوف من المجهول، الخوف من الخطر، وكل هذا بسبب أننا نسينا الله، وكأن الله سبحانه وتعالى لا علاقة له بما يجري، أما لو فهمنا الأمور على حقيقتها، بحيث نكون ماثقين في الله، متوكلين على الله، محسنين تعاملنا مع الله، صادقين في عباداتنا ومعاملاتنا مع الله، فإنه حينئذ يسكن القلق، ويذهب الحزن، وتذهب الوحشة.

في قلب الإنسان نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمر الله ونهيه والصبر عليهما، والرضا بقضائه الله وقدره.

في قلب الإنسان فاقة وفقر، لا يسدها إلا محبة الله عز وجل وطاعته، ليس الفقير هو الذي لا يملك، لكن الفقير هو الذي يشعر أنه لا يملك ولو كان يملك أشياء كثيرة، وليس الغني هو من يملك وهو يشعر أنه لا يملك، ولكن الغني هو من يشعر أنه يملك الأشياء الكثيرة، بسبب رضاه وقناعته ولو كان لا يملك شيئاً،، في قلب الإنسان فاقة.

أليس الله تعالى يقول: **{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً}**، ألم يقل الله عز وجل: **{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}**، أليس الله يقول: **{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ}**، ألم يقل الله عز وجل: **{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}**، أليس الله تعالى يقول: **{فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}**، آيات كثيرة تطمئن المؤمن في حياته ومماته، في دنياه وآخرته، لا يضل عقله، ولا تشقى نفسه، ولا يندم على ما فات، ولا يخشى مما هو آت، ماذا بعد هذه الخصال والمميزات.

أيها المؤمنون: إذا أقبل الإنسان على الدنيا، وأعرض عن ذكر ربه، وامتلئ قلبه بالحسرات، وامتلئ قلبه بالهم، وشعر بالفقر، وأحس بالوحشة، وأحس بالضياع، كما هو الحاصل في الناس في هذه الأزمنة، فإن ما يحصل لهم هو عقوبة لهم على أفعالهم وسوء تعاملهم مع ربهم، والله تعالى يقول: **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}**، أقم وجهك، كن مع الله دائماً، كلما شعرت بالزيغ عد إليه، تب إليه، أنب إليه، إذا أقمت وجهك للدين ترتاح نفسك، يطمئن قلبك، تسكن جوارحك هذه فطرة الله هذه، طبيعة النفس لا ترتاح إلا بطاعة الله، لا تطمئن إلا بتطمين الله عز وجل، لا تشعر بالأمن إلا إذا آوت إليه، لا تشعر بالثقة إلا إذا اتكلت عليه، لا تشعر بالفرح إلا إذا أطاعته، ما منا من أحد إلا وهو يبحث عن السعادة، ويبحث عن السلامة، وسلامت الإنسان وسعادته في معرفة ربه وفي طاعته لربه، وفي الإقبال عليه، وفي التقرب إليه.

٢- العبادة وأقسامها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله خالق العباد، ساطح المهاد، مسيل النجاد، رافع السبع الشداد بغير عماد، مثبت الأرض بالأوتاد، المنعم بسوابغ النعم التي لا تحد بتعداد، الذي لا يعجزه كثرةُ الإنفاق، ولا يُمسك خشيةَ الإملاق، ولا يَنْقُصُهُ إدرارُ الأرزاق، ولا يُدرك بأُناسِيِّ الأحداق، أحمده على جزيل إحسانه، وتواتر امتنانه، وأعوذ به من حلول خذلانه، وأستهديه بنور برهانه، وأؤمن به حق إيمانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، سبحت له السماواتُ وأكنافُها، والأرض وأطرافُها، والجبال وأعرافُها، أقرّ له بالعبودية كلُّ شيء خاشعاً، معترفاً طائعاً، مستجيباً لدعوته خاضعاً، متضرعاً لمشيئته متواضعاً، له الملك الذي لا نفاد لمدته، ولا انقضاء لعدته.

وأشهد أن محمداً عبده الكريم، ورسوله الطاهر المعصوم، بعثه والناس في غمرة الضلالة ساهون، وفي غِرة الجهالة لاهون، لا يقولون صدقاً، ولا يستعملون حقاً، فقام صلوات الله عليه وآله فيهم مُجِدَّاً في إنذاره، مرشداً لأنواره، بعزم ثاقب، وحكم واجب، حتى تألق شهابُ الإيمان، وتفرق حزب الشيطان، وأعز اللهُ جنده، وعُبِدَ وحدَه، صلى الله عليه وعلى آله وأقربيه، وذوي رحمه ومواليِه، صلاة جليلة جزيلة، موصولة مقبولة، لا انقطاع لمزيدها، ولا اتضاع لمِشِيدِها، ولا امتناع لصعودِها، تنتهي إلى مقر أرواحهم، ومقام فلاحهم.

أما بعد: أيها المؤمنون: يقول الله تعالى **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**، ويقول تعالى **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}** وقال تعالى **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}** وما أرسل الله نبياً إلا أمر قومه بعبادة الله تعالى، فعبادة الله هي الإمتثال لأوامر الله تعالى في الإتيان بالواجبات والفرائض والمداومة عليها، واجتناب المحرمات والمعاصي وتركها دائماً.

وقد حكى الله تعالى في القرآن الكريم حالات من العبادة التي يقوم بها ويفعلها أهلها على غير

دوام وثبات، ويبنونها على أسس ضعيفة سرعان ما تتهشم وتنتهي:

فمنها: عبادة الخوف المؤقتة: يقول الله تعالى **{فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}**، وقال تعالى **{هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}**، وقال تعالى **{وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ}** ففي هذه الآيات الكريمة يحكي الله تعالى عن أقوم أنهم إذا أصابهم شيء من الأهوال والأفزاع والمصائب اتجهوا إلى الله، وفزعوا إليه في أن يكشف عنهم ما حلّ بهم وأصابهم، ويقطعون على أنفسهم مواعيد التوبة النصوح، والرجوع الصحيح، ولكن سرعان ما يزول ذلك، وينتهي ما هنالك إذا أمنوا ونجوا، فيعودون إلى ما كانوا عليه من المعصية وترك الطاعة.

ومنها: العبادة المبنية على المصالح: قال تعالى **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ، يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ، يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ}**.

فهناك من يعبد على طرف وناحية لكن عبادته وطاعته إذا أصابه خير وعافية، لكن إذا ابتلي بأي ابتلاء، أو ناله أي مكروه أو ضرر، طلب لنفسه الرخص والمعاذير، وترك بالكلية، أو قصر وأهمل، وفرط وضيع، فقد حكى الله عن أهل هذا القسم أنهم من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

وما أشبه أهل هذا النوع بما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: يكون في آخر الزمان قومٌ نبغ فيهم قومٌ مرآؤن فيتقرأون ويتنسكون، لا يوجبون أمراً بالمعروف، ولا نهياً عن المنكر إلا إذا أمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير، يتبعون زلات العلماء وما لا يضرهم في نفسٍ ولا مالٍ، فلو أضرت الصلاة والصوم وسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها، وقد رفضوا أسنم الفرائض وأشرفها: الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر، فريضةً عظيمةً بها تقام الفرائض، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحين، فريضةً بها تقام الفرائض وتحل المكاسب وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، فأنكروا المنكر بألسنتكم وصكوا بها جباههم، ولا تخافوا في الله لومة لائمٍ.

ثم قال: وأوحى الله عز وجل إلى نبي [هو يوشع بن نونٍ عليه السلام] من أنبيائه (عليهم السلام) أني معذبٌ من قومك مائة ألفٍ، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ؟ قال: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي.

وهناك نوع آخر: غلبت عليهم الأهواء، وطغت عليهم الشهوات، لو صببت عليه القرآن من أوله إلى آخره لما أثر فيه، ولو وعظته بأبلغ المواعظ لما نفعت لديه، لأن هواه قد استحوذ عليه فصار إلهه، فهو يفرط ويقصر في عبادة الله، ويظن أنه بفعله يضر الناس، وهو في الواقع يضر نفسه، كما قال تعالى **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ}**، وكما قال تعالى **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا، وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا}**، وكما قال تعالى **{فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}**.

فعلينا بالعبادة الدائمة المتواصلة، في كل حال من الأحوال، لاسيما إذا كانت في وقت ابتعاد الناس عن الله فأجرها عظيم، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((العبادة في الهرج كالهجرة معي)).

ولنحذر معصية الله تعالى فإنها سبب كل بلاء ومصيبة، ولنأخذ على أيدي العصاة، حتى لا يعمنا الله بعذاب من عنده بسبب المداهنة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((ما من رجلٍ يجاور قوماً فيَعمل بين ظهرانيهم بالمعاصي فلا يأخذوا على يده إلا أوشك أن يعمهم الله منه بعقابٍ)).

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: إنما هلك من كان قبلكم بارتكابهم المعاصي، ثم لم ينههم

الربانيون والأحبار، فلما فعلوا ذلك أنزلت بهم العقوبات، ألا فمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقدم أجلاً، ولا يدفع رزقًا.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}**، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله.

أما بعد أيها المؤمنون: يقول الله تعالى **{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}**، فالعبادة اسم جامع يشمل كل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الإعتقادات والأقوال والأعمال، والعبادة معناها يرجع إلى الطاعة والإمتثال، فالذي لا يطيع سيده، ولا يمتثل أمر مولاه هو العبد المتمرد العاصي، فنحن لله عبيد وهو سيدنا ومولانا، ونحن له مملوكون وهو مالكنا، ونحن له مربوبون وهو ربنا، وهو المنعم علينا بالنعم التي لا تعد ولا تحصى.

فهو الآمرُ ونحن المأمورون، وهو الناهي ونحن المنهيون، وهو المتصرف فينا كيف شاء، لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

والعبودية لله شرف كبير، وفخر عظيم، وصف الله بها ملائكته وأنبيائه وخاصته، كما قال تعالى **{لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ}**، وقال في ملائكته **{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ}**، وقال في أنبيائه **{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ}**، وقال تعالى في نبيه نوح عليه السلام **{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}**، وقال في نبيه سليمان عليه السلام **{وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}**، وقال في نبيه أيوب عليه السلام **{إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}**، وقال في جماعة من أنبيائه **{وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ}**، فيا له من شرف باذخ، وعز شامخ، أن يجعلك الله من عبيده، وأن يقبلك بينهم، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام (كفاني فخراً أن تكون لي رباً، وكفاني عزاً أن أكونَ لك عبداً)، وقد تهدد الله تعالى وتوعد المتكبرين عن عبادته فقال **{وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ**

وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلُيمًا وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا}.

وقد ذكر الله تعالى عباده في القرآن الكريم على صفات متفاوتة، وتسميات مختلفة:

القسم الأول: المكلفون من خلقه، من الجن والإنس، سواء كانوا مطيعين أم عاصين، وهذه هي العبودية المطلقة التي لا يخرج منها أحد من المكلفين، كما قال تعالى **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ}**، وكما قال تعالى **{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاء أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ}**، وقال تعالى **{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ}**، فلم يخرج المسرفون، والضالون، ومن يعبدون غير الله من اسم العبودية، وقال تعالى **{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}**، وقال تعالى **{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ}**، وقال تعالى **{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ}**، فهذه الآيات وأمثالها المراد منها عموم المكلفين من الإنس والجن، وهم الذين أقسم عليهم الشيطان أن يضلهم كما قال تعالى **{ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا * لَّعَنَهُ اللّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً}**، وقد ذكر الله تعالى أن القليل من عباده هم الشاكرون، وأن أكثرهم كافرون فقال تعالى **{وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}**.

والقسم الثاني: المطيعون الذين عملوا بمقتضى العبودية، فأثنى الله عليهم بها، وأضافهم إليه، ونسبهم إلى نفسه، في آيات كثيرة، واختصهم بالإيمان، وامتثلوا أمره، وانتهوا عند نهيه، كما قوله تعالى **{قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ}**، ووعدهم الجنة فقال تعالى **{جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا * لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا}**، ووعدهم أن يورثهم الأرض ليعمروها بالطاعات، ويطهروها من المحرمات، فقال تعالى **{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ، إِنَّ**

فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ}، إلى غيرها من الآيات.

القسم الثالث: العبادُ المخلَصون، الذين هم بمزيد العناية مخصوصون، الذين أخلصهم الله لعبادته، واختصهم بطاعته، فهم من الشوائب سالمون، ومن المعاصي والأرجاس مطهرون، ومن الذنوب والخطايا مبرؤون، قد قطعوا من الدنيا علائقهم، وعلقوا بالآخرة مطامعهم، فهم من كيد الشيطان آمنون، فلم يجعل الله للشيطان عليهم سبيلاً، كما قال تعالى **{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ}**، واستثناهم الشيطان حين أقسم أن يغوي جميع العالمين، وأعلن عجزه عنهم كما حكى الله من قوله **{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}**، وأعد الله لهم نعيماً كريماً فقال تعالى **{إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ، أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ، فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ، يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ، بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ، لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ، وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ}**.

فانظر أيها المؤمن من أي أنواع العباد تريد أن تكون، فشمر في السعي، وجد واجتهد في العمل لتلحق بالعباد الصالحين، وتنجو من مزالق الآبقين، وتكون في الآخرة من الفائزين.

فنسأل الله لنا ولكم التوفيق وحسن الخاتمة، والنجاة من كل كرب وهم في الدنيا والآخرة.

٣- خطبة أخرى حول العبادة

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ، وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ، وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ، وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ، وَلَا دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا، وَلَا مَقِيلُ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ، وَخَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ، وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ، وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ، شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ، وَخَلَصَ يَقِينُهُ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَىَ مِنْ خَلَائِقِهِ، وَالْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ، وَالْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ، وَالْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالَاتِهِ، وَالْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى، وَالْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ الْعَمَى، صلى الله وسلم عليه وعلى آله أئمة الهدى.

أما بعد: أيها المؤمنون: يقول الله تعالى **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}**، فالعبادة اسم جامع يشمل كل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الإعتقادات والأقوال والأعمال، والعبادة معناها يرجع إلى الطاعة والإمتثال، فالذي لا يطيع سيده، ولا يمتثل أمر مولاه هو العبد المتمرد العاصي، فنحن لله عبيد وهو سيدنا ومولانا، ونحن له مملوكون وهو مالكنا، ونحن له مربوبون وهو ربنا، وهو المنعم علينا بالنعم التي لا تعد ولا تحصى.

فهو الآمرُ ونحن المأمورون، وهو الناهي ونحن المنهيون، وهو المتصرف فينا كيف شاء، لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

والعبودية لله شرف كبير، وفخر عظيم، وصف الله بها ملائكته وأنبيائه وخاصته، كما قال تعالى **{لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ}**، وقال في ملائكته **{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ}**، وقال في أنبيائه **{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ}**، وقال تعالى في نبيه نوح عليه السلام **{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}**، وقال في نبيه

سليمان عليه السلام **{وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}**، وقال في نبيه أيوب عليه **السلام** **{إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}**، وقال في جماعة من أنبيائه **{وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ}**، فيا له من شرف باذخ، وعز شامخ، أن يجعلك الله من عبيده، وأن يقبلك بينهم، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام (كفاني فخراً أن تكون لي رباً، وكفاني عزاً أن أكونَ لك عبداً)، وقد تهدد الله تعالى وتوعد المتكبرين عن عبادته فقال **{وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا}**.

أيها المؤمنون: العبادة الحقيقة، الكاملة التامة، تشتمل وتحتوي على ثلاثة معانٍ:

الأول: معرفة الله تعالى معرفة خالصة، سليمة من الشوائب.

والثاني: معرفة ما يرضيه وما يسخطه من الأقوال والأعمال.

والثالث: اتباع ما يرضيه، واجتناب ما يسخطه.

فهذه معاني العبادة، فالصلاة والصيام والحج والزكاة من العبادة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من العبادة، والجهاد في سبيل الله من العبادة، وطلب العلم والعملُ به من العبادة، وغيرها مما يرضي الله تعالى، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في بعض مواعظه: ((خلقنا ولم نك شيئاً، وأخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً، فغذانا بلطفه، وأحيانا برزقه، وأطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، ووضع عنا الأقلام، وأزال عنا الآثام، فلم يكلفنا معرفة الحلال والحرام، حتى إذا أكمل لنا العقول، وسهل لنا السبيل، نصب لنا العَلَم والدليل، من سماء رفعها، وأرض وضعها، وشمس أطلعها، ورتوق فتقها، وعجائب خلقها، فعرفنا الخير من الشر، والنفع من الضر، والحسن من القبيح، والفاسد من الصحيح، والكذب من الصدق، والباطل من الحق، أرسل إلينا الرسل، وأنزل علينا الكتب، وبين لنا الحلال والحرام، والحدود والأحكام، فلما وصلت دعوته إلينا، وقامت حجته علينا؛ أمرنا ونهانا، وأنذرنا وحذرنا، ووعدنا وأوعدنا، فجعل لأهل طاعته الثواب، وعلى أهل معصيته العقاب، جزاء وافق أعمالهم، ونكالاً بسوء فعالهم {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ})).

والعبادة لله تختلف بحسب معرفة العبد بربه، وبحسب الهدف والغاية التي يريدها من العبادة:

فالعارف بالله معرفة قوية، الذي امتلأ قلبه حباً لله وتعظيماً، يعبد الله لأنه عرف وعلم وتيقن أن الله تعالى أهلٌ للعبادة، وعرف نعم الله عليه وأنه يجب عليه أن يشكرها، وأنه لا تمام للشكر إلا بالعبادة، فهو يعبد الله تعالى شكراً على النعم، وهذه أعلى درجات العبادة، التي قال الله تعالى {اعملوا آل داوود شكراً}، وكما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل عن كثرة عبادته لربه، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال صلوات الله عليه وآله ((أفلا أكون عبداً شكوراً))، وكما يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في مناجاته لربه ((ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، ولكن عرفتك أهلاً للعبادة فعبدتك))، وهذه درجة قد لا يصل إليها في هذا الزمان أحد إلا خلاصة الخلاصة، وهي عبادة الأحرار، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام ((إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ)).

والذي يخاف من النار، ويطمع في الجنة، يعبد الله تعالى توصلاً بعبادته إلى الثواب، وهرباً من العقاب، وهذه هي الدرجة الثانية من العبادة التي يكون صاحبُها ناجياً، وعند الله فائزاً رابحاً، وهي عبادة العبيد: لأن العبد يمتثل أمر سيده خوفاً من عقابه، أو عبادة التجار الذين يطلبون المزيد من الأرباح في تجارتهم مع الله، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام ((إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ)).

والعبادة المردودة، هي التي يوجهها صاحبها إلى غير الله، بأن يقصد بها الرياء والسمعة، أو لينال بها شيئاً من عرض الدنيا الزائل، وهذه عبادة الهالكين، عصمنا الله وإياكم منها، وجعلنا من المخلصين لله تعالى في كل حال من أحوالنا.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}**، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ، وَاخْتِلَافَ النِّينَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ، وَتَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في وحدانيته وإلاهيته وعبادته.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ اللَّهِ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون:

عندنا قصور في فهم حقيقة الإسلام، لأننا نشأنا في جهل، وإذا جاء أحدٌ ليبين لنا حقيقة الدين والإسلام استنكرنا ذلك منه أشد الإستنكار، لأن من جهل شيئاً عابه، فقد تعودنا على أن سوء أعمالنا هي الدين والإسلام، والجهل من أعظم الذنوب وأخطرها، قال الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام مبيناً أهمية العلم، الذي يبتني عليه معرفة الدين والإسلام:

(العبادةُ بالعلم أفضلُ منها بالعمل، وفي العلم من الهدى والضلال، مثل الذي منهما في الأعمال، فلما كان العلم بأحكام الله، مما يكون هدى عند الله، والجهل بأحكام الله مما يكون ضلالاً عند الله، تُرِكَ المكلفون من العباد، بعد أن نزل عليهم من الله ما نزل في ذلك من الرشاد، ليهتدوا فيها ويجهلوا، كما تُرِكوا في الأعمال ليعملوا أولا يعملوا، لكي يهتدوا فيها أو يضلوا، فأهدى الهدى فيها العلم، وأضلُّ الضلال الجهل، وهو لكل واحد منهما فيها كسب، وعمل يثاب على أيهما اكتسب أو يعاقب، ثوابه أو عقابه على غيره من أعماله، ويجزى فيه على ما صار فيما بينه وبين الله من هداه أو ضلاله.

والعلم منهما ففرض قدَّمه الله قبل فرض الأعمال، وبه وبما فرض الله منه ما أبان الله به عند المؤمنين فرق بين الحرام والحلال).

ثم قال الإمام ترجمان الدين، نجم آل الرسول، القاسم بن إبراهيم عليه السلام مبيناً حقيقة الإسلام، ومن الذي يستحق أن يسمى من أهل الإسلام:

(ما أعز الإسلام ولا أكرمه، ولا وقّره فيما وقَّره الله به ولا عظمه، مَن توهم أهل هذا الدهر من أهله؛ لأن الإسلام هو دين ملائكة الله ورسله، فمن زعم أن أهل هذا الدهر ممن يستحق اسمه، فقد أوجب لهم إخاءه وولآءه وحكمه.

فزعم أنهم مع ما هم من حالهم، وما هم عليه من سوء أفعالهم، إخوة الملائكة المقربين، وأولياء الأنبياء المرسلين، والله سبحانه يقول: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}**، فآخا منهم بين من في السماء والأرض، وقال: **{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}**، فوصف المؤمنين بصفة، فيها لمن أراد معرفتهم أعرف المعرفة.

فكيف يأمر بالمعروف من يميل عليه، وينهى عن المنكر من يدعو إليه، ويقيم ليله ونهاره فيه؟!

وكيف يقيم الصلاة بحدودها؟ في قيامها وركوعها وسجودها؟ من شُغله بأصغر دنياه أشغل له منها! ومن هو بأقل هواه معرض به عنها!

وكيف يؤتي الزكاةَ – مَن جعلها الله له – مَن يغتصب كل مسكين نفسه وماله.

وكيف يطيع من هو مخالف، إلا في أقل القليل لله لا كيف، إلا عند عميٍّ جاهل، لا يفرق بين حق وباطل)، وهذا الكلام يتحدث عن واقعنا، ويشرح لنا حالنا، فإصلاح الأحوال يكون بتغييرها من الأسوء إلى الأحسن، لا بالإستمرار على الإساءة، أو التردي من سوء إلى أسوء.

والأعمال على خواتمها، فمن وافق موتُهُ عملاً صالحاً فقد فاز وظفر بالخير، ومن وافق موته عملاً سيئاً كان من المعاقَبين النادمين الخاسرين؛ وعلى هذا لو أن عبداً كان على طريقة النجاة مُطيعاً لربّه ثمّ اعتمد معصية الله ومات عليها أنه قد أبطل عمل نفسه، وأحبط حسناته، وكان كمن لم يُطع الله، وكان من أهل النار، ولو أن عبداً كان عاصياً لربّه مُضيعاً للواجبات فاعلاً للمحرّمات ثم تاب من ظُلمه وأناب ثم مات على ذلك، كان عند الله من التائبين، وكان من الناجين الفائزين.

جعلني الله وإياكم من السعاة إلى الهدى والرشاد، الفائزين يوم المعاد، وجنبنا طرق الغي والفساد.

٤- في معنى الإخلاص

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الآلاء الغامرة، والنعم المتواترة، والمنن الباطنة والظاهرة، حمداً يرضى به عنا في الدنيا والآخرة، اللهم لك إنا نحمدك على كل نعمة، ونشكرك على كل حسنة، ونستغفرك من كل ذنب، ونتوب إليك من كل خطيئة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنفع قائلها يوم القيامة، وتنجيه من أهوال الطامة.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، ونبيُّهُ ونجيُّهُ وصفيُّهُ وخليلُهُ، بلغ الرسالة، وأوضح الدلالة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الظلمة، وينابيع الحكمة.

أما بعد: أيها المؤمنون: يقول الله تعالى **{فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}**، ويقول تعالى **{هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**، ويقول الله تعالى **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}**، فالله تعالى يأمرنا بالإخلاص في عباداتنا وأدعيتنا، في صلاتنا وزكاتنا، لأن الإخلاص من العمل بمنزلة الروح من الجسد، فكما أنه لا نفاعة في الجسد بلا روح، ولا قوام له إلا بالروح، فكذلك لا ينفع العمل من غير إخلاص.

الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته كلها لله، الإخلاص صدق النية من الله تعالى، الإخلاص نسيان رؤية الخلق والنظر إلى صدق معاملة الخالق، الإخلاص أن يعمل العبد لله لا يحب أن يُحمد عليه، الإخلاص دوام المراقبة، ونسيان الحظوظ كلها، الإخلاص معناه: ما روي عن صاحب الشريعة صلوات الله عليه وعلى آله، الذي هو معلمُ الخير، والمحيطُ بالأسرار الدينية، والمستولي على معرفة الحقائق الإلهية، لما سُئل عن الإخلاص، فقال: ((أن تستقيمَ كما أُمرت))، فقد أشار في هذه المقالة إلى أن الأصل في الإخلاص هو إحرازُ التوحيد، والإستقامةُ على الأمر، وهو الأصل في إخلاص العمل عن كل ما يشوبهمن المحبطات، والإخلاص ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: إخلاص التوحيد لله، بإخلاص الإعتقاد، والثاني: إخلاص العمل، وهو إخلاص الإرادة.

أما إخلاص التوحيد: فهو أن لا تكون واثقاً إلا بالله، ولا راجياً إلا لله، ولا راجعاً من المهمات إلا إليه تعالى، ولا مرتكناً في الأمور إلا عليه سبحانه وتعالى، تؤثر خوفه على خوف غيره، ورضاه على رضا غيره، وترضى بقضائه، وتصبر على بلائه، وتنقاد لأمره، وأن تُحضر في قلبك أن الله تبارك وتعالى هو النافع والضار، والمعطي والمانع، والرافع والواضع، ولا أحد من خلقه شاركه في ذلك، قال تعالى **{مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلْنَاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ}**، وقال تعالى **{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوْ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ}**، وقال تعالى **{ إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ}**، وقال تعالى **{مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا}**، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله هو المنفرد بالإعطاء والمنع والدفع والوضع والنفع والضر.

كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((واعلم أن الخلائق لو اجتمعوا على أن يمنعوك شيئاً أراد الله أن يصيبك به، لم يقدروا على ذلك))، فإذا استحضر المؤمن في قلبه ذلك دعاه ذلك إلى الإنقطاع إلى الله تعالى وتركِ كل ما سواه، فحينئذ تكون واثقاً بالله دون غيره من جميع الأشياء، فلا تثق بمالك ولا بولدك ولا بأهلك ولا بقوتك ولا بتدبيرك وفطنتك وحذقك وحيلتك وكدك وطلبك ولا بشيء من الأسباب التي يُتوصل بها إلى المنافع ودفعِ المضار، فإنما الأسباب بيد الله سبحانه والأمر كله لله عليه توكلت وإليه أنيب، فقد يوجد السبب ولا يوجد المسبَّب، وإنما ذلك بمشيئة الله وإرادته.

ومن إخلاص التوحيد: أن لا تثق بنفسك ولا بغيرك طرفة عين، في أمور دينك ودنياك، بل تكون واثقاً بالله تعالى مفوضاً أمرك إليه، متوكلاً في جميع الأحوال عليه، راجياً له تعالى ولخيره وفضله ورَوحه ورحمته وفرجه، فلا تطلب ذلك من غيره، ولا ترجع عند المهمات إلا إليه، ولا تَشْكِ المصيباتِ إلا إليه، ولا ترج الفرج إلا من عنده لا من عند المخلوقين والأصدقاء والأوداء، ولا ترجع عند الكرب والمصيبات إلى الأسباب، ولا تعتمد على ما أولاك الله تعالى من مال أو ولد أو قرابة أو قوة أو غير ذلك، بل يكون رجاؤك الله تعالى ورجوعك إليه، وفزعك إلى روحه ورحمته، وكذلك

لا تؤثر خوف المخلوقين على خوفه، ولا رضاهم على رضاه، بل تتبع رضا الله تعالى وتنقاد لأمره، ولا تبالي بملامة اللائمين، ولا بسخط الساخطين، مهما أرضيت رب العالمين، وقمت بما يجب عليك من حقه العظيم.

فالإخلاص في التوحيد لا يتم إلا بالإنقطاع إلى الله تعالى عن كل ما سواه، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال((لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطيه، وما أخطاه لم يكن ليصيبه))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لابن عباس ((واعلم أن القلم قد جرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، فلو أن الخلائق كلهم اجتمعوا على أن يضروك أو ينفعوك بأمر لم يقضه الله تعالى لم يقدروا، فاعمل لله بالرضا في اليقين، فإن لم تستطع فعليك بالصبر على ما تكره فإن فيه خيراً كثيراً))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يمنعن أحدَكم مهابةُ الناس أن يقومَ بالحقِّ إذا علمه)). وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((لا تُرْضِيَنَّ أحداً بسخط الله، ولا تَحْمَدَنَّ أحداً على فضل الله، ولا تَذُمَّنَّ أحداً على ما لم يؤتك الله، فإن رزق الله تعالى لا يسوقه إليك حرصُ حريص، ولا يصرفُه عنك كراهةُ كاره)).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((من أحب أن يكون أقوى الناس فليكن بما في يد الله تعالى أوثقَ منه بما في يده))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((من خاف الله، خوف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله تعالى خوفه الله تعالى من كل شيء))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((إن المؤمن يعطيه المنة والمحنة والمهابة في قلوب المؤمنين فيخافونه بقدر مخافته من الله تعالى))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((من آثر محبة الله على محبة الناس كفاه الله تعالى مؤنة الناس))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((من التمس رضى اللهِ تعالى بسخطِ الناس رضيَ اللهُ عنه وأرضى عنه الناسَ، ومن التمس رضا الناسِ بسخطِ الله تعالى سَخِطَ اللهُ عليه وأسخطَ عليه الناسَ))، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى ((ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني إلا قطعت أسباب السماوات والأرض دونه، فإن سألني لم أُعطه، وإن دعاني لم أُجبه، وما من مخلوق يعتصم بي دون خلقي إلا ضمنت السماوات والأرض برزقه، فإن سألني أعطيته، وإن دعاني أجبته، وإن استغفرني غفرت له))، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((إذا أراد أحدكم أنه لا يسال ربه شيئاً إلا أعطاه، فلييأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاءً إلا عند الله تعالى، فإذا علم الله

ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه))، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((لا تعادِيَنَّ أحداً حتى تنظر صنيعَه فيما بينه وبين ربه، فإن كان حسن الصنع فإن الله تعالى لا يُسلِمُه إليك بعداوتِهِ إياكَ، وإن كان سيءَ الصنعِ فإن خطاياه تكفيه)).

فهذا هو إخلاص التوحيد لله تعالى، فإذا امتلأ قلبُ المؤمن بهذه الأمور كان ناجياً، وعند الله فائزاً، وللرضوان حائزاً، وما أحوجنا إلى هذه الأمور والمعاني في هذا الزمان الذي أصبحت ثقةُ الناس فيه بغير الله تعالى، بل يعتمدون على أهل الوجاهات وأهل الدنيا وأصحاب القوة والغلبة، وأرباب الأموال، وينسون الله تعالى الذي بيده مقادير كل شيء وهو على كل شيء قدير، ولا يعجزه شيء، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، ولما ترك الناس الإنقطاع إلى الله تعالى وَكَلَهُم إلى أنفسهم، فساءت أحوالهم، ومعاملاتهم، وفسدت معائشهم، وكثرت همومهم، وقلت طاعاتهم، وأصبح اهتمامهم بالدنيا وجمعها، ونسوا الآخرة والعمل لها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، بسم الله الرحمن الرحيم **{وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}**.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد أيها المؤمنون: وأما القسم الثاني من الإخلاص فهو الإخلاص في الأعمال:

والإخلاص في العمل يتبع الإخلاص في التوحيد، فمن أخلص في التوحيد سَهُل عليه الإخلاص في العمل، وذلك لأن الإنسان إذا اعتقد أنه لا نافعَ ولا ضارَ، ولا رافعَ ولا واضعَ، إلا اللهُ تبارك وتعالى، انقطع طمعه عن المخلوقين، ولم يلتفت إلى ارتفاع منزلته عندهم ولا سقوطها بينهم، إذ هم لا يرفعون ولا يضعون، ولا ينفعون ولا يضرون، فليس للإنسان أن يلتفت إلى مدح الناس وذمهم، وتعظيمهم وتحقيرهم، وإكرامهم وإهانتهم، مهما كان الأمر لله تعالى والأمور كلها بيد الله لا شريك له في ذلك، فإن الإنسان لا ترتفع منزلته عند الناس إلا بما يرجوا من نفعهم، وما يخافه من مضرتهم، وإذا علم الإنسانُ أنّ الله هو النافعُ والضار، وأنه إن شاء جلب لك النفع من جهة الناس، وجعل لك منزلة في قلوبهم، ودفع عنك مضرتهم وذمهم، وإن شاء فعل لك غير ذلك فعند ذلك ينقطع الإنسان عن مراقبة الناس ولا يلتفت إليهم.

فالإخلاص في العمل: هو أن تقصد وتريد بأعمال الطاعات التي تقوم بها وجه الله ورضاه، ولا تنظر إلى الناس ولا تبالي بهم مهما كان عملك موافقاً لما يرضي الله تعالى.

وأن يكون عملك نقياً صافياً خالصاً من الشوائب والمحبطات التي تشوب الطاعات، فتكون بعيداً عن الرياء والسمعة والكبر والعجب، ومحبة المدح والثناء.

وأن لا تعمل عملاً أو تفعل فعلاً تطلب به رضاء الناس عليك، وأن لاتترك عملاً أو فعلاً خشية أن يغضب الناس عليك، فالناس ليس لهم شأن فيما بينك وبين الله من العبادات والمعاملات، فاعمل عملاً خالصاً تلقَ ثواباً وأجراً دائماً.

ومن أعظم ما يعيق الإنسان عن الإخلاص هو حب الدنيا وطول الأمل.

لأن من أحب الدنيا اشتغل بها عن الأعمال الصالحة، وألهته عن الطاعات، وكانت أعماله تبعاً لشهواته، ومطابقة لرغباته، فلا يقوم بالفريضة والواجب إلا إذا كان القيامُ بها موافقاً لشهوته، أما

إذا كانت خلاف ذلك فهو يرجح الشهوة على الطاعة، يترك العبادة في مقابل أن ينام، يترك الصلاة خوفاً من البرد أو من الحر.

فالإنسان إذا كان محباً للدنيا فحبه للدنيا يجذب نيَّته وإرادته وهمته إلى الدنيا وعزها وشرفها وعلوها، وارتفاع المنزلة عند أهلها، ويمنعه ذلك من الإخلاص، ويجره إلى الرياء، وإلى حب المدح، وخوف الذم، وسقوط المنزلة، ومهما كان معرضاً عن الدنيا عظيم الرغبة في الآخرة وثوابها ونعيمها، خائفاً من عملها، كان همه وإرادته ونيته في الآخرة، ولم يكن له همٌّ سوى الآخرة والعمل لها، فيجذبه ذلك إلى الإخلاص في العمل لله تبارك وتعالى، لأن أصل الإخلاص هو الباعث والمحرك على العمل.

وطول الأمل يجعل الإنسان مؤملاً أن يطول عمره، فهو ينسى الموت، ونسيانه للموت يجعله يهمل الطاعات، ويبتعد عنها، ولا يهتم بها لأنه يؤمل أنه سيعيش مدة طويلة حتى يحسن العمل، وسببُ طولِ الأملِ هو الغفلةُ عن الموت، فإذا غفلَ الإنسانُ عن الموت طال أملُه، وإذا طال أملُه أحبَّ الدنيا وزينتها وشرفها وشهواتها، فيجذبه ذلك إلى الرياء والعمل لها.

والطريق إلى الإخلاص في العمل هو: ذكر الموت، بأن يكثر العبد ذِكرَ أشكالِه وأقرانه الذين مضوا قبله، فيذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب، ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم، ويتأمل كيف محى الترابُ محاسنَ صُوَرِهم، وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم، وكيف أرملوا نسائهم، وأيتموا أولادهم، وضيعوا أموالهم، وخلت منهم مساجدُهم ومجالسُهم، وانقطعت آثارُهم، ويتذكر أيضاً حال كل واحد منهم قبل موته، وكيف كان نشاطه في طلبِ الدنيا وترددِه فيها، وكيف كان أملُه للعيش واشتياقُه إليه، ونسيانُه للموت وانخداعُه بالأسباب، وركونُه إلى القوة والشباب، وميلُه إلى الضحك واللهو، وغفلتُه عما يُراد منه من الموت الذريعِ المريعِ، والهلاكِ السريع.

ويتذكر الإنسان ما يؤولُ إليه بعد الموت، كيف تهدمت رجلاه ومفاصلُه بعد طولِ مشيه بهما، وتردده في حوائج الدنيا، وكيف أكل الدودُ لسانه بعد كثرة نطقهِ به وفصاحته وضحكه.

ويتذكر كيف يقطع الموت أمَلَه، فبينما هو يدبر لنفسه ما يحتاج إليه مدة عشرين سنة أو أكثر أو أقل في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهراً واحداً أو أكثر أو أقل من ذلك، وهو غافل عما يُراد به، فيقطعه الموت عن ذلك كله.

فهذه الأمور هي التي تُحدِثُ ذكرَ الموت في القلب حتى يغلبَ عليه، بحيث يصير الموتُ نصبَ عينيه، فعند ذلك يستعد له ويخلو عن دار الغرور، ومهما طلبَ قلبُه شيئاً من الدنيا فعليه أن يذكر أنه لا بد من مفارقته، وأن يتصورَ أحوال نفسه عند الغرغرة، والنزاع عند مفارقة الروح للجسد، وكيف يبدو بين أهله طريحاً ذليلاً، وكيف أحوالُ أهلِه وأيتامِه، كيف يبكون عليه ويندبونه، وكيف يأخذون عليه ثياب الدنيا، وكيف يطرحونه على المغتسل، وكيف يلفونه في الكفن وينزلونه في القبر، وكيف يَبلى هناك، وكيف تنبعث الدواب من الديدان والحيات في لحمه وجلده، ويتذكر أيضاً ما يرد عليه حال الموت من البشارة بجنة أو نار، ويتفكر كيف تهجم عليه شقاوة أو سعادة، وأن الموت آخر ما هو فيه من أحوال الدنيا، فإن كان إلى خير فلا يضره ما ناله في الدنيا من الشر، وإن كان إلى شر فلا ينفعه ما نال من الدنيا من خير، فإذا تفكر في هذه الأمور والأحوال هانت عليه الدنيا ومصائبها ولذاتها وخيرها وشرها، ووقع في قلبه الخوف والحزن، واهتم لأمر الآخرة، واستعد للموت، وتأهب لنزوله.

٥- حول حقيقة محبة الله

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ حُبَّهُ أَشرَفَ المكاسِبِ، وأعظمَ المواهِبِ، أَحمَدُهُ وأشكُرُه على نعمةِ المطاعِمِ والمشارِبِ، حَمْداً كَثِيراً طَيباً مُبارَكاً فِيهِ.

وَأشهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، المنزَّهُ عن النقائِصِ والمعَايِبِ، الذي خَلَقَ الإنسَانَ من ماءٍ دافِقٍ يخرجُ من بين الصُّلبِ والتَّرَائِبِ.

وأشهدُ أَنَّ سَيِّدَنا ونَبِيَّنَا محمداً عَبْدُهُ ورسولُهُ الداعِي إلى أشرفِ الفضائِلِ والمنَاقِبِ، المطَهَّرُ عن الشَّوَائِبِ، والمنزَّهُ عن المثَالِبِ، صَلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وعترتِهِ الأطَايبِ.

أَمَّا بَعدُ: أيُّهَا المؤمنونَ:

مِن الصِّفَاتِ الإنسَانيَّةِ، ومن طبيعة الحياة البشرية الحبُّ والبغضُ، فلا يخلو كُلُّ إنسانٍ مِن حُبٍّ وبُغْضٍ، وغالباً مَا يكونُ الحبُّ والبُغضُ مَبنيَّاً على المنفَعَةِ والمضَرَّةِ، فالجهةُ التي تَأتي منهَا المنفَعَةُ للإنسانِ، وتجلِبُ له المصلحةَ، وتُوافِقُ هَوَاهُ وشَهْوَتَهُ تَرَاهُ يَتَّجِهُ إليها حُبُّهُ وتعظِيمُهُ، والجهةُ التي تَأتِي مِنهَا المضَرَّةُ على الإنسَانِ، أو تجلبُ له المفسدةَ، أو تخالِفُ هواهُ وشهوتَهُ تراه يَتَّجِهُ إليهَا بُغضُهُ وكراهَتُهُ، ولهذا يقال (جُبِلَتِ القلوبُ علَى حُبِّ مَن أَحْسَنَ إليهَا، وبُغضٍ من أَسَاءَ إليهَا).

فالحُبُّ والبُغْضُ طَبِيعَةٌ جِبِلِّيَّةٌ بَشَرِيَّةٌ، مُتَأَصِّلَةٌ فِي كُلِّ إِنسانٍ، وَيبتَنِي عليهَا الكَثِيرُ من المعَامَلَاتِ والحقوقِ، وتَكُونُ الأقوالُ والأفعالُ تابعةً لهما.

فَإِذَا وُجِدَ الحبُّ صَدَرَ عنهُ الإئتِلَافُ والموَدَّةُ، والتَعَاونُ والرحمَةُ، فَتَسْعَدَ الجمَاعَاتُ والأُمَمُ والأفْرَادُ، وإذَا وُجِدَ البُغضُ صَدَرَ عنهُ القَطِيعَةُ والهُجرَانُ والتفرِقَةُ والاختِلَافُ والخِذْلَانُ والقَسوةُ والشِّدَّةُ، فَتَتَفَرَّقُ الجمَاعَةُ وتَفْسُدُ الأُمَمُ.

والمشكلةُ الخَطِيْرَةُ هي أنْ يكونَ الهوَى هو الذي يُسَيِّرُ الإنسانَ في حُبِّ النَّاسِ وبغضِهِم، ويجعلُ الإنسانَ يَحْكُمُ تَبَعَ أغراضِهِ في الرِّضَا عن الناسِ أو كُرهِهِم، ولا يُوَجِّهُ حُبَّهُ وبُغضَهُ إلى طريقِ الحقِّ والدينِ والعقلِ.

ولكنَّ اللهَ تعالَى جَعَلَ فِي الإسلامِ ميزَاناً ومِعياراً لمقياسِ الحُبِّ والبُغضِ، ووَضَعَ حُدُوداً للرضا والسَّخَطِ، حتى تُرعَى الحقوقُ ولا تَضيعُ، فَبَدَلاً من أن يكونَ الحبُّ أو البغضُ سِلَاحَاً من أَسلِحَةِ الشَّرِّ تَحْكُمُهُ الأهواءُ والشهَوَاتُ، وتتولدُ عنه العَدَاوَاتُ والنزغَاتُ، علينَا أَنْ نجعلَ الحُبَّ والبغضَ من أسلحةِ الحقِّ والعَدلِ التي تَحكُمُهَا الآياتُ البَيِّنَاتُ.

فالميزانُ الحقُّ في ذلك أن يكونَ الحبُّ والبغضُ لله، ومِن أجلِ اللهِ، فَتُحِبُّ للهِ وتُبغِضُ في اللهِ، تُحبُّ المؤمنينَ الصَّالِحِينَ، وتَبغَضُ العُصَاةَ والمفسدِينَ، تُحِبُّ أولياءَ اللهِ، وتبغضُ أعداءَ اللهِ، تُحِبُّ مَن أحبَّ اللهَ ولو خَالَفَ آرآءَكَ وهَوَاكَ، وتبغضُ من يَبغضُهُ اللهُ ولو وافَقَكَ أَحياناً، كَمَا قَالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وآلِهِ وسَلَّمَ ((مَنْ أَحبَّ للهِ، وأَبْغَضَ للهِ، وأَعْطَى للهِ، ومَنَعَ للهِ، فَقَدْ استَكْمَلَ الإيمَانَ)).

وَعَنْ ابنِ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهُمَا قالَ: (مَن أَحَبَّ في اللهِ، وأبغضَ في اللهِ، ووالى في اللهِ، وعادَى في اللهِ، فَإِنمَّا تُنَالُ ولايةُ الله بذلك، ولنْ يَجِدَ عبدٌ طَعْمَ الإيمانِ ولو كَثُرَتْ صلَاتُهُ وصومُهُ حتى يَكونَ كذلِك، وقد صَارَت عادَةُ مؤاخَاةِ النَّاسِ على أمرِ الدُّنياَ وذَلِك لا يُجدِي على أهلِهِ شَيْئاً).

وأَعظَمُ المحبةِ وأنفَعُها، هي محبةُ العبدِ لرَبِّهِ، ومحبةُ اللهِ لعبدِه، فمِن خِلَالِهَا يَبتَنِي الحُبُّ الصحِيحُ، فَلَا يُمكِنُ أن يَبتَدِئَ الحُبُّ السَّلِيمُ إلا من خِلَالِ حُبِّنَا للهِ تَعَالَى، فَحُبُّ اللهِ يَجِبُ أن يكونَ هُو الأساسُ عندَ العَبدِ، لأنّ أولَ مقياسٍ في حياةِ الإنسانِ هو عَلاقَتُهُ بِرَبِّهِ، ومن ثَمّ تَبتَنِي عليهَا عَلاقَتُهُ مع النَّاسِ.

أَيُّهَا المُؤمِنُونَ:

نَحنُ نَفتَقِدُ في حَيَاتِنَا وفِي مُعَامَلَاتِنَا معنى محبَّةِ اللهِ تعالَى، بَلْ تَكَادُ تكونُ قلوبُنَا خَالِيَةً عن ذَلِكَ، ولِهَذَا نَرَى من أنفُسِنَا، ونُلَاحِظُ من أحوالِنَا أَنَّنَا نَفْقِدُ حَلَاوَةَ محبةِ الله، ويَتَجَسَّدُ ذَلِكَ فِي عِبَادَاتِنَا ومُعَامَلَاتِنَا التي نَقُومُ بِهَا، فَإِنَّنا أصبَحنَا لا نقومُ بأكثرِ العباداتِ والطاعاتِ لِأَنَّهَا عِبَادَة، بل قد تَحَوَّلَتْ عِندَنَا إلى عَادَةٍ، فقد أَصبحنَا ندخُلُ المساجِدَ، ونُكَبِّرُ وَرَاءَ الإمامِ، ونَقُومُ بأداءِ الركعاتِ، ثُمَّ نُسَلِّمُ ونحنُ لَمْ نَفْقَهْ مِنْ أَمْرِ الصَّلَاةِ شَيْئَاً.

وَإِذَا جَاءَ شهرُ الصِّيَامِ يَتَنَاوَلُ الوَاحِدُ منَّا السحورَ للصيامِ في النهارِ، ثُمَّ إذَا دَخَلَ الليلُ يُفطِرُ، وهَكَذَا يَمُرُّ شهرُ رمضانَ ولم نَستَفِدْ من الصيامِ شيئاً.

والسَّبَبُ في ذَلِكَ: هُوَ أَنَّنَا نتمَسَّكُ ونَلْتَزِمُ بالعباداتِ على غيرِ أَسَاسٍ صَحِيحٍ؛ نَتَمَسَّكُ بِهَا

تَقلِيدَاً لَا مَحَبَّةً للهِ عَزَّ وَجَلّ، فنحنُ نرى مَن حولنا يَصُلونَ فنُصَلِّي، ويَصومُونَ فنَصُومُ، ويفعلُونَ فنفعلُ، ويتركونَ فنترُكُ، كلُّ ذلكَ تقلِيدَاً لا حُبَّاً في اللهِ عزّ وجل، فبَعد فترةٍ من الزمنِ يَنتَكِسُ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ ويَنقَلِبُ على عَقِبَيهِ.

فَلَا بُدّ من أن نُصَحِّحَ الإلتزامَ بقوانينِ الإسلامِ، ونُصَحِّحَ طريقَ السَّيرِ إلى اللهِ تعالى، مِن خِلَالِ محبتنا للهِ تعالى.

فالمحبة: هي رُوحُ الإيمانِ والأعمالِ، فَإذَا خَلَت منها فهي كالجسدِ الذي لا رُوحَ فِيه، لأنَّ العبادةَ التي ليس فيها محبَّةٌ، كالجسد الذي لا روح فيه، تَدْخُلُ وتَخرجُ بدون أَيِّ تَأثِيرٍ.

المَحَبَّةُ: هِي المنزِلَةُ التي فِيهَا يَتنَافَسُ المتنافِسُونَ، وإليهَا شَخصَ العامِلُونَ، وإلى عَلَمِهَا شَمَّر السَّابِقُونَ، وعليها تفَانى المخْلِصُونَ، وبِرُوحِ نَسيمِهَا تَرَوَّحَ العَابدونَ، فَهِيَ قُوتُ القُلُوبِ، محبةُ اللهِ هي الوَقُودُ والدَّافِعُ للأعمال، وَهِيَ غِذاءُ الأَرْوَاحِ، وقرَّةُ العُيُونِ، وهي الحياةُ التي مَن حُرِمَها فهو في جملةِ الأمواتِ، والنورُ الذي مَن فَقَدَه فهو في بِحَارِ الظلمَاتِ، والشِّفَاءُ الذي مَن عَدِمَهُ حَلَّت به أنواعُ الأسقَامِ، واللذَّةُ التي مَن لم يَظفَرْ بِهَا فَعَيْشُهُ كُلُّهُ هُمُومٌ وآلَامٌ، وهي المطِيَّةُ التي يَصِلُ المحبُّونَ إِلَى مَسرَاهُم على مَتْنِها إلى الحَبِيبِ، وهي الطريقُ الأقوم الَّذِي يُبَلِّغُهُم إلى منازِلِ نَجَاتِهم عن قَرِيب، هِي المنزِلةُ التي ذهبَ أهلُها بشَرَفِ الدنيَا والآخِرَةِ.

أيها المؤمنون: لَقَدْ وَصَفَ اللهُ تعَالَى المؤمنينَ بشدَّةِ حُبِّهم لَهُ فقالَ تعالَى: **{وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}**، لأنّ حُبَّ اللهِ يُوَرِّثُ القَلبَ حَلاوةَ الإيمانِ، فَيَتَلَذَّذُ العبدُ بطاعةِ اللهِ وذكرِه، وعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أنه قَالَ: ((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ))، فَكُلَّمَا زَادَتِ المحبةُ لله في قلبِكَ زَادَ تلذُّذُكَ بطاعَتِهِ وعبَادَتِه.

والقلبُ إذَا خَلَا من حُبِّ اللهِ أو ضَعُفَتْ فيهِ المحبةُ يَرَى بِأَنَّ طاعةَ اللهِ وعبَادَتَهُ ثقيلةٌ عليه، فهو ينتظِرُ بفَارِغِ الصَّبرِ مَتى تنتهي صلاةُ الجمَاعَة، لِثِقَلِ الصَّلَاةِ على قلبِه، بل يحاولُ الفرارَ من الجماعَةِ لثقلِها عَلَى جَسَدِهِ وقَلْبِه، كَم مِن هذَا الصِّنفِ مَنْ يَرَى أَنَّ صَلَاةَ الجمَاعَةِ أثقلُ عليه من نقلِ الجبَالِ -والعياذُ بِاللهِ-، وبَقدرِ مَا يَعظُمُ حُبُّ الدنيا في القلبِ يكونُ على حِسَابِ نُقصَانِ حُبِّ اللهِ، إذْ لَا يجتَمِعُ حُبُّ

اللهِ وحُبُّ الدنيا في قَلْبٍ، كما قال القائل:

وحُبَّانِ في قلبي مُحالٌ كِلاهما — محبةُ فردوسٍ ودارُ غرور

ومن يرجُ مولاه ويرجُ جوارَهُ — يُسَابِقْ في الخيراتِ غيرَ فَتُورِ

وهل صادقٌ من يدعي حُبَّ رَبِّه — وأَمسَى عن اللَّذَّاتِ غَيرَ صَبُورِ

إنَّ محبةَ اللهِ يُعطيها اللهُ للذين يحبهم، فَمَا من مُحبٍّ للهِ إلا واللهُ يحبه، كما أخبرَ بذلك في كتابه حيثُ قال: **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}**.

وعن النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ((لَا يَمْحَضُ رَجُلٌ الإيمانَ حتّى يكونَ اللهُ أحَبَّ إليهِ مْن نفسِهِ وأَبيهِ وأمّهِ ووَلَدِهِ وأهلِهِ ومالِهِ ومِن النّاسِ كلِّهم)).

وكلّما ازدادَ الإنسانُ حبّاً لله، ازدادَ منزلةً منه ومَوقِعَاً عندَه، ولهذا رُويَ عن جعفرِ الصّادقِ أنَّهُ قالَ ((مَن أَرادَ أَنْ يَعْرِفَ كيفَ منزلتَهُ عندَ اللهِ، فليعرِفْ كيفَ منزلةُ اللهِ عندَه، فإنّ اللهَ يُنزلُ العبدَ مثلَ مَا يُنَزِّلُ العبدُ اللهَ من نفسِهِ)).

أَيُّهَا المؤمنونَ: مَحَبّةُ اللهِ ليست مُجَرَّدَ دَعوَى بَلَا دَلِيلٍ، بل لها عَلَامَاتٌ ودَلَالَاتٌ تَدُلُّ عليهَا:

فَمِن عَلَامَاتِهَا: اتباعُ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، والإهتداءُ بهديِهِ، كَمَا قال تعالى **{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}**، فلا يُمكنُ لإنسانٍ أن يَدَّعِيَ حبَّ اللهِ وهو لا يَلتَزِمُ بما جَاءَ بهِ رَسُولُه صلَّى اللهُ عليه وآلِه، فليسَ حُبُّ اللهِ مجردَ مشاعرَ تَستولِي على كَيانِ الإنسانِ، من دُونِ أن يكونَ لهُ ترجمةٌ على الأرضِ بالأفعَالِ، فالحُبُّ الذي يبقَى في المشاعِرِ والعواطِفِ ولا يتحرّكُ في ساحَةِ الحيَاةِ، لَيسَ حُبَّاً حَقِيقِيَّاً، ولِهَذَا قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسَلَّمَ ((لَا يُؤمِنُ أحدُكُم حَتَّى أكونَ أَحَبَّ إليهِ من وَلَدِهِ ووالدِه والناسِ أجمعين))، فَمَحَبَّةُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّم تابعةٌ لمحبةِ الله.

فَلَا تَتِمُّ المحبةُ إلا بِطَاعَةِ اللهِ ورسولِه، لِأَنَّ الطَّاعَةَ دَلِيلٌ على المحبَّةِ، فالعَاصِي لَيسَ مُحِبَّاً:

تعصي الإلـه وأنت تزعم حبه — هذا مُحالٌ في الفِعَّالِ بديعُ

لو كان حبك صادقاً لأطعته — إن المحبَّ لمن أحب مطيعُ

ومِن عَلامَاتِ محبةِ العبدِ لربِّه: الإكثارُ من الحمدِ لَه تعالى والثناءِ على نِعمِهِ، والإستمرارُ والمداوَمَةُ

على ذِكرِه، فإنَّ من أَحَبَّ شيئاً أكثرَ من ذِكرِهِ، ولَهَجَ بِهِ، ولايَزَالُ يَتَرَنَّمُ بالثناءِ والمدحِ لَهُ:

إِنَّ المليكَ قد اصطفى خُدّاماً	مُتَوَدِّدِينَ مُوطِّئِينَ كِرَامَا
رُزِقوا المحبةَ والخشوعَ لربهم	فترى دموعَهم تَسِحُّ سِجامَا
يُحيُونَ لَيلَهُمُ بطولِ صَلَاتهم	لَايسأمونَ إذَا الأنامُ نِيَامَا
قومٌ إذا رَقدَ العيونُ رأيتَهم	صَفُّوا لشدةِ خوفه أقداما
وتخالُهم موتى لطولِ سُجُودِهم	يخشونَ من نارِ الإلهِ غرامَا
شُغفوا بحبِّ الله طولَ حياتِهِم	فتَجَنَّبُوا لودَادِهِ آثامَا

ولهذَا فإنَّ الله تعالى أمرَ المؤمنين بذكره حتى في حالِ لقاءِ العدو، في حَالِ الخوفِ التي ينسَى الإنسانُ معها كلَّ شيء، ويكونُ الهربُ أكبرَ همِّهِ لِيَقِيَ بِهِ نفسهُ من الهلاك، ففي تلك الحالِ الصعبةِ لن تَتَذَكَّرَ إلَّا من تُحِبُّ، فإذَا كانت محبةُ الله ثابتةً في النفس، ومغروسةً في القلب، فلن ينسى العبدُ ربَّه.

والذي يجعلُ العبدَ بهذه المكانة والمنزلة هو تفكُّره في نعم اللهِ عليهِ، لِأَنَّ النَّفسَ تُحِبُّ مَن أَحسنَ إليهَا، فإذَا نظرنا في إحسانِ اللهِ إلينَا، فَكَمْ سَنُحصِي من النِّعَم، وكم سَنَعُدُّ من الإحسان، فَإِذا تَيَقَّنَ الإنسانُ أنَّ النعمَ التي في يدِهِ حاصلةٌ من جهةِ اللهِ تعَالَى فإنَّهُ سيُحِبُّ الله، ولَكِنَّ المشكلةَ التي نُعانِي منهَا، هي أننا نجعلُ ما يحصلُ لنا من الأرزاق بقوَّتِنا وحيلَتِنَا وكدِّنَا وتعبِنَا، فأَدَى ذَلِكَ إلى أن نجهَلَ نعمَ اللهِ علينا، وأنْ نُؤثِرَ دنيانَا وأموالَنا على طاعةِ اللهِ ورضوانِهِ، فهذه الحالةُ الخطيرةُ التي وَصَلْنَا إليهَا هي السَّبَبُ في فقداننا لمحبةِ اللهِ، بل أصبحنَا نُحِبُّ أنفسَنا ونُوَفِّرُ لهَا وسائِلَ الراحةِ في مقابِلِ أن لا نُتعِبَهَا في الطاعة.

وَفَّقَنا اللهُ وإياكُم لما يرضِيهِ، وجَنَّبَنَا مَعَاصِيه، وجَعلنَا من الذينَ يستمعُونَ القولَ فيتبعُونَ أَحسنَهُ.

بسم الله الرحمن الرحيم {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، نَحمدُهُ على فَضلِهِ وإحسَانِهِ، وَمَا أسبغَ علينا من نِعمِهِ وامتنَانِهِ.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسلَهُ بالهدى ودينِ الحقِّ ليظهره على الدينِ كلِّهِ، فقامت به الحُجَّة، وتَمَّتْ به النِّعمَة، صَلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِهِ الطَّاهِرينَ.

أَمَّا بعدُ: أيُّهَا المؤمنون:

يقول الله تعالى **{قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}**، في هذه الآية الكريمة يتهدد الله تعالى ويتوعد من قدم محبة ثمانية أشياء على ثلاثة أشياء، من قدم وآثر الأباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والتجارات، على محبة الله ورسوله والجهاد في سبيل دينه وشريعته.

إنَّ مَن أحبَّ اللهَ تعالى محبةً صادقةً صحيحةً، جعلَ اللهُ جزآءَه وثمرةَ محبتِه لله أن يُحِبَّهُ اللهُ، ويَا لَه من جزاءٍ ما أعظمَه وما أكرمَه، ويا لها من مَرتَبَةٍ ما أَجَلَّهَا وما أرفعَها، وهي الوصولُ إلى محبةِ الله تعالى لك، فإنَّ مَن أَحَبَّهُ اللهُ، فقد رَضِيَ عَنه، مَن أحبَّهُ اللهُ غفرَ لَه، من أحبَّه اللهُ أعانَه، مَن أَحَبَّهُ اللهُ دافَعَ عنه، من أحبَّهُ اللهُ يَسَّرَ أمورَه، من أحبَّهُ اللهُ أزالَ عُسرَه، وَكَمْ وَكَمْ من الفوائد في محبة الله لنا.

كَمَا روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث القدسي عن ربه عز وجل: (إِنَّ اللهَ تعالى قَالَ: مَن عَادَى لي وَلِيّاً فقد آذَنْتُهُ بالحربِ، ومَا تَقَرَّبَ إليَّ عبدِي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضْتُهُ عليه، ومَا يزالُ عبدِي يتَقَرَّبُ إليَّ بالنوافِلِ حتى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)) اللهُ أكبرُ مَا أعظمَها من ثمرة، فأينَ الراغبونَ؟

إِذَا أَحَبَّ اللهُ عبداً وقَاه من فتنِ الدنيا وضلَالَاتِهَا وزبرجِهَا وزُخرُفِها، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((إذَا أَحَبَّ اللهُ عبدَاً حَمَاه الدنيا كَمَا يَظَلُّ أحدُكم يحمي سَقِيمَهُ الماء))،

وحمايةُ الله له: هي منعُه من الفتنِ وسلامةُ مخرجِهِ منها، كما أن الإنسان يحمي المريض من تناول الماء وغيره إذا منعه الأطباءُ من ذلك، لأنه يضرُّ بِهِ.

وإذا أحب الله العبد ابتلاه، زيادة في رفع درجته، فعن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سَخِطَ فله السُّخْط)).

وهذا الابتلاء يكون على قدر الإيمان، فلما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أيُّ الناس أشد بلاءً)؟ قال: ((الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل، يبتلَى الرجل على قدر دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض، وليس عليه خطيئة))، ومن فوائد الإبتلاء أن الله يوصله بذلك البلاء إلى درجة عالية في الجنة لم يكن قد وصلها بعمله، فيبتليه الله ليصل إلى تلك الدرجة والمنزلة.

وإذا أحب الله عبداً ألقى محبت في قلوب المؤمنين من أهل السموات والأرضين، كما روي عن لنبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل، فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضَع له القبول في الأرض) وتجد كل الناس يحبونه؛ لأن الله قد أحبه، وأحبته الملائكة قبل أن يحبه أهل الأرض، فيحبه الجميع، أهل السماوات وأهل الأرض.

وكما ورد عن النبي صل الله عليه وآله وسلم ((إذا أحبّ الله عبداً من أمَّتي، قذف في قلوب أصفيائه وأرواح ملائكته وسكّان عرشه محبّته ليحبّوه)).

ولا ينافي ذلك أن العصاة والمجرمون والظالمون يبغضون المؤمنين، لأن الله يلقي محبة المؤمن في قلوب المؤمنين، فقد كان أنبياء الله وأولياؤه يعانون أنواع الأذى والتكذيب من قبل أعدائهم المكذبين، ولا يعني هذا أن الله لم يلق محبتهم في قلوب أولئك العصاة، ولكن ليسوا مؤهلين لأن يحبوا الأولياء والصالحين.

والحبّ لله له نتيجته في الآخرة، لذا عندما سأل رجلٌ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن السّاعة، فقال له: ((ما أعددت لها))؟، قال: (ما أعددت لها إلا أنّي أحبّ الله ورسوله)، فقال له

الرّسول: ((أنت مع من أحببت)).

وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم بعضاً من الأعمال الصالحة التي يحبها ويحب من عمل بها، فعلينا أن نلتزم بها إذا أردنا محبة الله، فمنها قوله تعالى **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}**، فأكثر من التوبة والإنابة إلى الله.

ويقول تعالى: **{فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}** فاحرص على تقوى الله في السر والعلن .

ويقول تعالى: **{وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}** فاصبر على طاعة ربك، واصبر على ما أصابك.

ويقول تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}** فكن من المحسنين في كل أمورك في قولك في فعلك في عبادتك.

ويقول جل جلاله: **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}** فتوكل على الله حق التوكل في كل شؤون حياتك.

ويقول سبحانه: **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}** فكن مقسطاً عادلاً في قولك وحكمك.

وفي مقابل ذلك ذكر الله أعمالاً وأقوالاً لا يحبها ولا يحب من عمل بها، بل يبغضها ويبغض من فعلها، فعلينا أن نتركها وأن نبغض من يفعلها من الأشخاص.

فمنها: قوله تعالى **{إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}**، ويقول سبحانه: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا}**، ويقول تعالى: **{وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِين}**، فإياك والظلم لعباد الله، ويقول تعالى: **{وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ}**، فيجب على المؤمن، الذي يحب الله أن يبغض ما يبغضه الله، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ}**، وقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم}**، وقال تعالى: **{لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أولئك كتب في قلوبهم الأيمان وأيدهم بروح منه}**.

ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله عشرة:

الأول: قراءة القرآن وتدبره.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.

الثالث: دوام ذكر الله على كل حال بالقلب واللسان والعمل.

الرابع: إيثار محاب الله على محاب النفس.

الخامس: التأمل في أسماء الله وصفاته، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة.

السادس: التأمل في نعم الله تعالى على العبد؛فإن التأمل فيها يدعوا إلى محبة المنعم.

السابع: انكسار القلب بين يدي الله تعالى.

الثامن: الخلوة بالله وقت نزول الأمر الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه حين يبقى ثلث الليل الأخير، حيث ينادي منادي الله تعالى ((ألا هل من مستغفر فيغفر له؟ ألا هل من داع بخير فيعطى سؤله؟، ألا هل من تائب فيتاب عليه)) وتختم ذلك بالاستغفار.

التاسع: مجالسة الصالحين المحبين الصادقين والاقتداء بهم.

العاشر: الابتعاد عن كل الأسباب التي تحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فاتخذوا هذه الأسباب، لتنالوا محبة رب الأرباب، وتفوزوا بالثواب، وتنجوا من العقاب.

عاشراً:

الخطب المتعلقة بالصلاة

٦- في الصلاة التامة

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ، العَزِيزِ الحَكِيمِ، الأَزَلِيِّ القَدِيمِ، مُحْيِي الأمْوَاتِ، وَمُخْرِجِ النَّبَاتِ، وَمُوجِبِ الأَوْقَاتِ، وَمُقَدِّرِ الأَقْوَاتِ، الَّذِي تَفَرَّدَ بِالمُلْكِ وَالبقَاءِ، وَعَدَلَ فِي الحُكْمِ وَالقَضَاءِ، وَغَمَرَ بِالجُودِ والعَطَاءِ، وَقَهَرَ بِالموْتِ والفَنَاءِ، فَعَلَا أَمْرُهُ وَشَأْنُهُ، وَعَمَّ مُلْكُهُ وَسُلْطَانُهُ، وَتَمَّ نُورُهُ وَبُرْهَانُهُ، وَكَمُلَ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ شَهَادَةً تُوجِبُهَا شَوَاهِدُ قِدَمِهِ، وَكَلِمَةً بَيَّنَتْهَا بَدَائِعُ حِكَمِهِ، فهو الأحد بغير ضد، الفرد بغير ندّ.

وَأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالبَيَانِ المضِيء، والبُرْهَانِ القَوِيِّ، إِلَى أُمَّةٍ ضَالَّةٍ يَنْتَهِكُونَ سَبِيلَ الهُدَى، وَيَعْبُدُونَ اللَّاتَ والعُزَّى، فَنَصَحَ الخَلْقَ، وأَوْضَحَ الحَقَّ، وَأَدَّى الرِّسَالَةَ، وَأَبْدَى الدِّلَالَةَ، وَجَاهَدَ حَتَّى عَزَّ الإِيمَانُ، وَذَلَّتِ الأَوْثَانُ، وَقَامَ الدَّلِيلُ، وَاسْتَقَامَ السَّبِيلُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن الله تعالى يقول **{حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}**، ويقول: **{وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ}**، ويقول أيضاً **{وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}**، ويقول أيضاً **{وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}**، ويقول تعالى **{أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً}**، ويقول تعالى **{وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}**، ويقول تعالى **{اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}**، وقال تعالى **{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ**

وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}، إلى غير ذلك من الآيات المتكاثرة التي أمرنا الله تعالى بها في القرآن أمراً صريحاً لا يحتمل التأويل، والقال والقيل.

ويقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ((بين المؤمن والكافر ترك الصلاة))، وفي حديث آخر ((حافظوا على الصلوات الخمس، فإن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة يدعوا بالعبد فأول ما يسأله عن الصلاة، فإن جاء بها تامة، وإلا زُخَّ في النار))، ومعنى زخ: هو رُمِيَ به فيها.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم((الصلاة عمود الدين فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين)).

إلى غير ذلك من الآيات والأخبار الدالة على وجوب الصلاة، وهو معلوم من الدين ضرورة، وقد حث الله عباده على القيام والمواظبة عليها، فلا تكاد تخلو آية من القرآن يذكر فيها صفات المؤمنين والمتقين والصالحين إلا وكانت الصلاة ضمن تلك الصفات، بل أولها تقديماً.

ولكن الناس في هذا الزمان تقاصرت هممهم عن الصلاة والقيام بها، فقلَّ من يحافظ ويواظب عليها، وكثر القاطعون والمقصرون فيها، ومن لم يقطعها قصر في تأديتها، ولم يأتِ بشروطها وفروضها ولم يقم بها تامة، كما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد توعد الله من لم يأت بها تامة بأن مصيره النار، وهنا سؤال يطرح نفسه، واستفسار يطلب من يزيح لبسه، يتردد في نفس كل من قرأ الحديث السالف، ويشتاق إلى بيان جوابه كل عارف، ذلك السؤال هو:

ما هي الصلاة التامة التي من أداها سلم من التهديد الوارد في الحديث؟

هذا السؤال أجاب عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أخبار بَيَّنَ فيها الصلاة التامة المقبولة، ونقل ذلك لنا الرواةُ الذين رأوا صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونقلوها إلينا، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ((صلوا كما رأيتموني أصلي)) ونحن لم نرَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي رأي عين، وإنما نقل الرواة إلينا صفة صلاته، فما روي لنا من صفة صلاته بطريق صحيح فعلينا الأخذ به، فيا ترى ماهي الصلاة التامة؟.

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه دخل المسجد، فدخل رجل فصلى، فسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرد وقال ((ارجع فصل فإنك لم تصل))، فرجع يصلي كما صلى، ثم جاء فسلم على

النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ((ارجع فصل فإنك لم تصل)) ثلاثاً، فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلمني، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها))، وفي رواية: ((فإذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك، وما نقص من ذلك فإنما ينقص من صلاتك))، **فالصلاة التامة في هذا الحديث هي ما جمعت الشروط التالية:**

أولاً: إسباغ الوضوء، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال للرجل ((إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء))، ويقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم((الوضوء شطر الإيمان))، وفي حديث آخر ((مفتاح الصلاة الطهور))، وفي حديث آخر ((لا صلاة لمن لا وضوء له))، وأعضاء الوضوء التي يجب غسلها هي ما تضمنته الآية الكريمة وهي قوله تعالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ}**.

ولا بد أن يراعي المتوضئ استيعاب غسل كل عضوء، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى رجلاً يصلي ورأى عَقِبَ رِجْلِه جافاً . بمعنى لم يصبه الماء ولم يغسله . قال له ((إن كنت قد غسلت رجلك فامض في صلاتك، وإن لا فارجع وتوضأ)).

ومعنى إسباغ الوضوء: هو غسل كل عضوء من أعضاء الوضوء غسلاً كاملاً، بدون أن تخل بشيء من أجزاء العضو، وأعضاء الوضوء، هي:.

الأول: غسل الفرجين، غسلاً يزول معه ما فيهما من الأقذار والنجاسات.

الثاني: المضمضة والإستنشاق: وهي تنظيف ما بداخل الفم والأنف من الأوساخ، بإدخال الماء فيهما مع الدلك بالأصابع داخل الأنف والفم، ولا يكفي أن تدخل الماء إلى أنفك وفمك وتمج الماء بفمك فقط، بل لا بد من الدلك.

الثالث: غسل الوجه، وهو من أعلى الجبهة إلى أسفل الذقن، تغسله بالماء الذي في يديك غسلاً كاملاً، مع الدلك للعينين وخارج الأنف وتخليل اللحية حتى يصل الماء إلى البشرة، مع دلك العَنْفَقَة التي بين اللحية والفم.

الرابع: غسل اليدين إلى المرفقين، مبتدئاً باليمنى ثم اليسرى، مع تخليل الأصابع بالماء، وتنظيف الأظفار التي قد طالت، مع دلك العرقوبين الذين في اليدين، ودلك المرفقين، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول((خللوا أصابعكم بالماء قبل أن تخلل بالنار يوم القيامة)) وهو يعم تخليل أصابع اليدين والرجلين، ويقول صلى الله عليه وآله وسلم ((ويل للعراقيب من النار)) وهو عام لعراقيب اليدين والرجلين فانتبه.

الخامس: مسح الرأس مقبلاً ومدبراً باليدين المبللتين بالماء، مع محاولة استيعاب جميع الرأس، مع مسح الأذنين ببقية ماء الرأس مسحاً جيداً، بأن تضع السبابتين كل واحدة داخل أذن، ثم تدلكها، وفي عطفات غظروف الأذن وخارجاً خلف الأذن إلى جهة الرأس.

السادس: غسل الرجلين غسلاً نظيفاً، بالدلك للبطون الأقدام مع العراقيب، مع دلك ظاهر القدم، وتخليل الأصابع، مع دلك الأظفار ومؤخر القدم، والوسط بين العرقوب ومؤخر القدم، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول((ويل لبطون الأقدام من النار)).

فهذه هي الفروض الواجبة وغيرها مسنون لا غير، وهو الغسل للأعضاء ثلاثاً، ومسح الرأس ثلاثاً، ومسح الرقبة، وغيرها.

جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، بسم الله الرحمن الرحيم **{وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}**.

أستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا مِنَ الضَّلَالِ، وبَصَّرَنا مِنَ العَمَى، الحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلاً، الحَمْدُ للهِ نَعْبُدُهُ وَنَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِي اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون، نكمل معكم بيان الصلاة التامة:

فإذا أسبغ العبد وضوءه وأراد الصلاة، فلا بد أن يستحضر نية الصلاة التي يصليها إما فريضة أو نافلة، ولا يشترط التلفظ بها بل يكفي إحضارها في القلب.

فالصلاة التامة هي التي يقوم المصلي بفروضها وواجباتها على أتم وجه وأكمل عمل، وأحسن إتقان، ونبين الآن كيفية تلك الأركان والفروض:

أولاً: التكبير، وهو أن تقول حين الدخول في الصلاة: الله أكبر، لأن التكبير هو تحريم الصلاة كما قال صلوات الله عليه وآله ((تحريمها التكبير، وتحليلها التسليم))، وعلى المصلي أن يراعي أثناء التكبير:

تفخيم لفظ الجلالة (اللهُ) مع الضم للهاء بضمة صغيرة، لا تصل إلى الواو.

وإظهار الهمزة في (أكبر) لأنها همزة قطع.

والوقف على الراء في أكبر بالسكون أو الضم هكذا(اللهُ أكبرْ - أو اللهُ أكبرُ)، والسكون هو الأولى، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((التكبير جزم)).

ثانياً: القرآة التامة، أن يقرأ الفاتحة وسورةً معها، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ((لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وقرآن معها))، وفي حديث آخر ((كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج)).

ولا بد من التأني حال القرآة وترك العجلة والسرعة حتى يتيقن إخراج كل حرف من مخرجه.

واعلم أيها المصلي أنّ في سورة الفاتحة أربع عشرة تشديدة نص بعض الأئمة بأن الصلاة تبطل إذا لم

تشدد تلك الحروف، وهي في الكلمات التالية(لله ٢. ربِّ . الرَّحمن ٢. الرَّحيم ٢. الدِّين . إيَّاك ٢. الصِّراط . الَّذين . الضَّالِّين) فهذه الحروف المشددة لا بد من تشديدها وإلا فسدت الصلاة.

وعليك أن تحذر إشباع الحركة بالمد حتى لا تتحول حرفاً، مثل الكسرة تصير ياء، والفتحة ألفاً والضمة واواً، فتولد حرفاً من الحركة وذلك غير صحيح، وذلك في مثل(مالكِ يوم الدين . إياك نعبد)، فلا تشبع الكسرة في مالك والفتحة في إياك.

وعلى المصلي الإنتباه لهمزة القطع في (صراط الذين أنعمت) فلا يَمُد النون في الذين بل يفتحها فقط ثم يقطع الهمزة في أنعمت.

وعلى المصلي التأمل لمعاني كلمات وآيات القرآن التي يقرأها، والتدبر فيها.

وعلى المصلي حال القيام والقرآءة أن يكون ساكناً رامياً ببصره موضع سجوده، ولا ينظر من عن يمينه ولا شماله، ولا يرفع بصره إلى السماء، لأنه ورد في ذلك نهي كبير كما ورد عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال((ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء لئن لم ينتهوا ليختطفن الله أبصارهم))، وروي أن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم كان يرفع بصره إلى السماء إذا صلى، فنزل قوله تعالى **{الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ}**.

ثالثاً: الركوع التام، ويكون بإنحناء الظهر حتى يستوي استواء تاماً، بحيث لو وضع على ظهره قدرُ ماءٍ لما انصَبّ، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا ركع سوَّى ظهره حتى لو صب عليه ماء لاستنقع.

وبوضع راحتي اليدين على الركبتين، وليس وضع الأصابع فقط، مع تفريق الأصابع، كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ركع فوضع كفيه مفرقاً لأصابعهما على ركبتيه، واستقبل بهما القبلة، وتجافا في ركوعه حتى لو شاء صبي دخل بين عضديه، واعتدل حتى لو صب على ظهره ماء لم يسل.

وبتفريج المرفقين حال الركوع إلا أن تكون في جماعة فتضمها حتى لا تؤذي المصلين.

وأن لا يرفع رأسه عن ظهره، كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا ركع لم يشخص رأسه ولم يصوبه ولكن بين ذلك.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله و سلم أنه قال ((لا صلاة لمن لم يتم ركوعها

وسجودها))، وقال أيضاً ((لا صلاة لمن لم يقم صلبه في الركوع والسجود)) وقال أيضاً ((أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته)) قالوا يا رسول الله: وكيف يسرق من صلاته؟ قال ((لا يتم ركوعها ولا سجودها)).

رابعاً: الرفع التام من الركوع، فلابد من الإطمئنان حال الرفع قدر سبحان الله على الأقل، حتى يرجع كل مفصل إلى مكانه وإلا بطلت، كما روي أن المصلي إذا لم يقف حتى يرجع كل عضو منه إلى موضعه لعنه كل عضو منه.

خامساً: السجود التام، وكيفيته: أن يضع الجبهة ـ والأنف على بعض الأقوال ـ على الأرض أو السجادة أو الفراش الطاهر، بدون أن يغطيهما شيء، كالغترة أو العصبة أو غيرهما، أما لو غطى بعضها فقط فلا بأس.

وأن يضع راحتي اليدين والأصابع ممتدة على الأرض، فلا يقبض على أصابعه فإن ذلك لا يجزي، وأن يضع الركبتين على الأرض.

وأن يضع القدمين على أطراف الأصابع منصوبة، فلا يجزي نصب الأصابع بدون ضغطها على الأرض، أو ضغط أكثرها، وهذا يفعله الكثير من الناس، بنصب أصابعه بدون ضغط، وهذا يبطل صلاته، والبعض يصلي بالناس وهو على هذه الحالة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذه الأعضاء تسمى المساجد التي يسجد عليها المصلي، كما روي عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم أنه أمر بالسجود على سبعة أعضاء، الجبهة، واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين.

وأن يمد ظهره قليلاً حتى ينفصل الفخذان عن البطن، ولا يلزق فخذيه في بطنه، لقول النبي صلى الله عليه و آله وسلم ((لا حظ للبطن في الفخذين))، والكثير من المصلين نراه يتجاهل هذه المسألة.

وأن يرفع مرفقيه عن الأرض، فلا يفترشهما، بل يضع يديه ويرفع مرفقيه، ويعتمد على ركبتيه وكفيه، لأن النبي صلى الله عليه و آله وسلم نهى أن يفترش الرجل ذراعيه في الصلاة افتراش الكلب، لأن الكلب حال قعوده يمد ويفترش ذراعيه، وقال بعض العلماء بفساد صلاة من فعل ذلك.

وأن يضم قدميه حال السجود لكي لا تبدو عورته حال سجوده.

فهذه صفة السجود الصحيح الذي هو سجود الصلاة التامة، وغيره سجود ناقص وبعضه قد

يبطل الصلاة.

سادساً: الإعتدال بين السجدتين، وصفة الإعتدال التام:

أن يقيم ظهره وصلبه حتى يرجع كل مفصل إلى موضعه، وأن يطمئن أقل شيء قدر سبحان الله للمستعجل.

وأن يفترش رجله اليسرى ويضع وركه الأيسر عليها، وينصب أصابع رجله اليمنى أو أكثرها، وإلا بطلت صلاته، كما روي عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم أنه كان يجلس في الصلاة على رجله اليسرى، وينصب اليمنى، ويكره أن يجلس على شقه الأيسر.

وبعض المصلين ينصب الأصابع في اليمنى واليسرى وهذا يبطل الصلاة، إلا لعذر، وبعض آخر يفترش اليمنى وينصب اليسرى وهذا مبطل للصلاة أيضاً، وبعض آخر يعزل رجليه إلى اليمين ويجلس على شقه الأيسر وهذا لا يجزي إلا لعذر فيجوز.

وأن يبسط كفيه على فخذيه حال القعود بين السجدتين، وأن ينظر في موضع سجوده، ولا يرفع رأسه شاخصاً إلى السماء، أو يطأطأ رأسه حتى يضعه بين صدره.

فهذه هي الصلاة التامة، التي يكون المصلي قد أتى فيها بما أوجب الله عليه، والتزم بما أمره به، جعلنا الله وإياكم من المصلين، وتقبل منا كل صلاة، إنه رحيم غفور.

٧- حول صلاة الجمعة

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الولي الحميد، الحكيم المجيد، الفعالِ لما يريد، علام الغيوب، وستار العيوب، وخالق الخلق، ومنزل القطر، ومدبر الأمر، رب الأرض والسماء، والآخرة والدنيا، واروث العالمين، وخير الفاتحين، الذي عظم شأنه فلا شيءٌ مثلَه، تواضع كلُّ شيء لعظمته، وذل كل شيء لعزته، واستسلم كل شيء لقدرته، وقرّ كلُّ شيء قرارَه لهيبته، وخضع كل شيء لملكه وربوبيته، الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وأن تقوم الساعة إلا بأمره، وأن يحدث شيء إلا بعلمه، نحمده على ما كان، ونستعينه من أمرنا على ما يكون، ونستغفره، ونستهديه.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ملكُ الملوك، وسيدُ السادات، وجبارُ الأرض والسماوات، القهار الكبير المتعال، ذو الجلال والإكرام، ديان يوم الدين، ربُّنا وربُّ آبائنا الأولين.

ونشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق، داعياً إلى الحق، وشاهداً على الخلق، فبلغ رسالات ربه كما أمره، لا متعدياً ولا مقصراً، وجاهد في الله أعداءه لا وانياً ولا ناكلاً، ونصح له في عباده صابراً محتسباً، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فقد كثرت في هذا الزمانِ مظاهرُ التهاونِ والغفلةِ التي غلبت على أبناءِ مجتمعاتِنا، وزادت نماذجُ الإبتعادِ عن الله، التي سيطرت على الكثيرِ من الناس، ومن تلك المظاهرِ والنماذجِ السيئةِ التهاونُ بصلاة الجمعة، وهي من أشد الأمور خطراً وضرراً على المسلم في دينه وإيمانه.

وقد عَظُمَ الخطبُ حتى أصبحنا لا نقيمُ لها في هذا الزمان وزناً، ولا نلقي لها بالاً، بل نتكاسل ونتهاون بها، كما قد تعودنا وألفنا التهاون بنظائرها من الطاعات، ولكن هذه العبادة ليست كغيرها، فقد أوجبَ اللهُ تعالى السعيَ إليها في كتابه الكريم إيجاباً قطعياً، وأمراً حتمياً فقال تعالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}**، فقد حرم الله البيع والشراء ونهى عنه، عند سماع النداء، وأمر

بالمبادرة والمسارعة إلى إجابة داعي الله تعالى.

أيها المؤمنون:

إن الله تعالى جعل لهذه الأمة ما لم يجعله لغيرها من الأمم، فاختار لها يوم الجمعة عيداً أسبوعياً، تجتمع فيه في شتى بقاع الأرض، لتناقش أوضاعها، وتتآلف قلوبها، وتصغي إلى المواعظ والعبر، لأن الإسلام دين يدعو إلى الاجتماع والتوحد والألفة، لما في ذلك من القوة والمهابة، وقد شرع الله لتحقيق ذلك عدة اجتماعات، صغرى، ومتوسطة، وكبرى:

فالإجتماعات الصغرى: إجتماع أهلِ كلِّ حَيٍّ أو قرية في الصلوات الخمس كل يوم وليلة.

والإجتماعات الوسطى: اجتماعات أهل كل بلد: في الجمعة والعيدين.

والكبرى: اجتماعات أهل الأقطار: في الحج بعرفة ومكة.

أيها المؤمنون:

يوم الجمعة يوم عظيم عند الله، فهو اليوم الذي تفزع الدواب منه إلا شياطين الإنس والجن، وهو اليوم الذي فيه تقوم الساعة، كما روي ((ما من ملك مقرب، ولا سماء، ولا أرض، ولا رياح، ولا جبال، ولا بحر، إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة)).

قال الإمام الهادي للحق يحيى بن الحسين عليه السلام:

ومن تعظيم الله لذلك اليوم أن جعله للمسلمين عيداً، وفيه ما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل أنه قال: ((إن يوم الجمعة يوم القيامة، وفيه تقوم الساعة)).

ثم قال عليه السلام: ما زلت مذ رويت هذا الحديث يدخلني في كل يوم جمعة وجل وخوف، وما ذلك من سوءِ ظني بربي، ولا قلة معرفة مني برحمة خالقي، ولكن مخافة من لقائه، ولم أقم بما أمرني بالقيام به، وأنهض بما حضني على النهوض فيه، وجعله أكبر فرائضه علي، وأعظمها عندي ولدي، في مباينة الفاسقين، ومجاهدة الظالمين، والنصرة لدين رب العالمين، إلى آخر كلامه عليه السلام.

يوم الجمعة سيد أيام الأسبوع، شرعت فيه صلاة الجمعة التي تعدُّ من آكد فروض الإسلام، وأعظم مجاميع المسلمين.

يوم الجمعة في الأيام كشهر رمضان في الشهور، وفيه ساعة الإجابة كليلة القدر في رمضان، وهي

وقت الزوال، الذي يغفل عنه العباد.

يوم الجمعة ميزان المسلم في الأسبوع، ورمضان ميزانه في السنة، والحج ميزانه في العمر.

يوم الجمعة حوى كثيراً من الفضائل والخير لهذه الأمة، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وأئمة أهل البيت وعلماؤهم يعدون له العدة، ويتهيئون فيه للعبادة وطلب المزيد.

كما روي أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام خطب في الجمعة، فقال: ألا إنّ هذا اليوم يوم جعله الله عيداً، وهو سيّد أيّامكم، وأفضل أعيادكم، وقد أمركم الله في كتابه بالسعي فيه إلى ذكره، فلتعظم رغبتكم فيه ولتخلص نيّتكم فيه، وأكثروا فيه التضرّع والدعاء ومسألة الرحمة والمغفرة، فإنّ الله عزّ وجلّ يستجيب لكلّ من دعاه، ويورد النار من عصاه، وكلّ متكبّر عن عبادته، قال الله عزّ وجل: **{أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}**، وفيه ساعة مباركة لا يسأل الله عبد مؤمن فيها شيئاً إلاّ أعطاه.

أصبحنا لا نفقه من يوم الجمعة إلا أنه يوم إجازة للموظفين، أو راحة للعاملين، أو نوم للغافلين، أو نزهة للمترفين، فصرنا لا نعرف شيئاً من فضله ومكانته، بل قد نعطي غيره من الأيام ما لا نعطيه من الإهتمام والتعظيم.

هذا اليوم الذي كادت مكانته وهيبته وعظمته أن تسقط من قلوب المسلمين في هذه الأزمنة، فبدلاً من أن يكون للإجتماع أصبح للإفتراق، وبدلاً من أن يكون للعبادة أصبح عندنا للراحة والدعة، وبدلاً من أن يكون للموعظة والعبرة أصبح للغفلة والغرة، فصارت أحواله عندنا على العكس تماماً مما أراده الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد أصبح الناس بالنسبة لصلاة الجمعة على أحوال متنوعة:

فمنهم من يتركها ولا يحضرها، ويزعم أن صلاة الجمعة غير واجبة، لأنه يشترط فيها شروطاً لم تتوفر عنده.

ومنهم من يتركها تكاسلاً وتهاوناً، ولا يصلي الجمعة بالكلية، وليس له عذر يبيح له الترك، وهو لا يعلم خطر فعله ذلك.

ومنهم من يحضر الجمعة ولكن لا يستشعر أهمية الجمعة وخطبتها، فهو لا يدري عن أي موضوع

تحدث الخطيب، فهو يدخل المسجد ويخرج منه كما دخله.

ومنهم من لا يحضر إلا متأخراً، لأنه كان منشغلاً إما بالنوم، أو بالتسكع في الشوارع، أو الضياع في الأسواق، أو غير ذلك من الأمور الملهية.

والبعض منهم قد لا يدرك إلا الصلاة أو بعضها.

ومنهم من يحضر الجمعة، ولكن يفعل أشياء قد تكون سبباً في إحباط أجره، وإبطال ثوابه.

ومنهم من يأتي إليها مبكراً، ويحرص عليه حرصاً زائداً، فلا يؤثر عليها شيئاً من أعمال الدنيا، بل يجعلها همه الأكبر وشغله الشاغل لما قد علم من فضلها، وما أقلهم.

كما روي عن علي عليه السلام أنه قال: (الناس في إتيان الجمعة ثلاثة: رجل حضر الجمعة باللغو والمراء فذلك حظُّه منها، ورجل جاء والإمام يخطب فصلى فإن شاء الله أعطاه وإن شاء حرمه، ورجل حضر قبل خروج الإمام فصلى ما قضى له، ثم جلس بإنصات وسكون حتى يخرج الإمام إلى أن قضيت الصلاة، وهي له كفارة ما بينها وبين الجمعة التي تليها، وزيادة ثلاثة أيام، وذلك لأن الله تعالى يقول: {من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها}.

أيها المؤمنون: قال الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام: ينبغي للمسلمين أن يُظهروا الزينة في يوم الجمعة، فيلبسوا خيار لباسهم، ويرتاشوا بأحسن رياشهم، ويتطيبوا بأطيب طيبهم، ويأكلوا أطيب طعامهم، ويريحوا أنفسهم من أعمالهم، وكذلك فليرفهوا على أرقائهم، لأنه يومٌ عظيم البركة؛ اختاره الله عز وجل لهذه الأمة، وفضّله على سائر الأيام، وجعله عيداً لأهل الإسلام، ويجب عليهم أن يفرقوا بينه وبين غيره من أيام دهرهم؛ لأن الله عز وجل قد فرق بينه وبين غيره من أيامهم؛ نعمةً أنعم بها عليهم، وفضيلةً بيّنها لهم وفيهم.

أيها المؤمنون: يوم الجمعة يوم يتميز فيها المطيعون من العاصين، ويتبين فيه أتباع الملائكة من أتباع الشياطين، حيث يحتدم الصراع، وتظهر المنافسة بين الملائكة وبين الشياطين، فالملائكة تدعو الناس إلى المساجد، والشياطين تدعو الناس إلى الأسواق واللهو واللعب، كما روي عن علي عليه السلام أنه قال وهو يخطب على المنبر: إذا كان يوم الجمعة غدت الشياطين براياتها إلى الأسواق يأخذون الناس بالربائث، ويذكرونهم الحوائج، ويثبطونهم عن الجمعة، وتغدو الملائكة براياتها إلى المساجد

يكتبون على كل رجل الساعة التي جاء فيها، فلان جاء من ساعة، فلان جاء من ساعتين، فإذا الرجل جلس مجلساً يستمكن فيه من الإستماع والنظر وأنصت ولم يلغِ كان له كِفلان من الأجر، وإذا جلس فيه مجلساً فتأدى وأنصت، ولم يلغ كان له كفلٌ من الأجر، ومن جلس مجلساً يستمكن فيه من الإستماع والنظر فَلَغا ولم ينصت كان عليه كفلان أو قال كفلٌ من وزر، ومن قال لأخيه يوم الجمعة: صَه فقد لَغا ومن لَغا فليس له من جمعته شيء، ثمّ قال في آخر ذلك: قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول ذلك.

وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا كان يوم الجمعة نزل أمين الله جبرئيل إلى المسجد الحرام فركز لواءه بالمسجد الحرام، وغدا سائر الملائكة إلى المساجد التي يجمع فيها يوم الجمعة، فركزوا ألويتهم وراياتهم بأبواب المساجد، ثمّ نشروا قراطيس من فضّة وأقلاماً من ذهب، ثمّ كتبوا الأوّل فالأوّل ممّن بكّر إلى الجمعة، فإذا بلغ من في المسجد سبعين رجلاً، قد بكّروا طووا القراطيس، فكان أُولئك السبعون كالذين اختارهم موسى من قومهم كانوا أنبياء.

وفي رواية أخرى: (إذا كان يوم الجمعة دفعت ألوية الحمد إلى الملائكة إلى كل مسجد يُجَمَّع فيه، فيحضر جبريل المسجد الحرام مع كل ملك منهم كتاب وجوههم كالقمر ليلة البدر معهم قراطيس فضة وأقلام ذهب يكتبون الناس على مراتبهم، فمن جاءه قبل خروج الإمام كتب من السابقين، ومن جاء بعد خروج الإمام كتب شهد الخطبة، ومن جاء بعد كتب شهد الجمعة، فإذا سلم الإمام تصفح الملك وجوه القوم، فإذا فقد الرجلَ ممن كان يكتبه فيما خلا من السابقين قال: اللهم عبدك فلان نكتبه فيما خلا من السابقين لا ندري ما خلفه، اللهم إن كان مريضاً فاشفه، وإن كان غائباً فأحسن صحابته، وإن كان قبضته فارحمه، ويؤمن الذين معه من الملائكة).

فأين المسارعون؟ وأين المسابقون؟ وأين المتنافسون؟!.

قال الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام:

صلاة الجمعة هي عندنا الصلاة الوسطى؛ التي ذكر الله العليُّ الأعلى، وهي من سائر الأيام الظهر، وكذلك بلغنا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رحمة الله عليه ورضوانه، أنه قال: (الصلاة الوسطى هي صلاة الجمعة، وهي في سائر الأيام الظهر).

غفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إن أحسن الحديث وأبلغ المواعظ كتاب الله عز وجل، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو الفتاح العليم، **بسم الله الرحمن الرحيم**، **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}**.

أستغفر الله العظيم لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أحقِّ من خُشِيَ وحُمِدَ، وأفضلِ من اتُّقِيَ وعُبِدَ، وأولى مَنْ عُظِّمَ ومُجِّدَ، نحمده لعظيم عنائه، وجزيل عطائه، وتظاهر نعمائه، وحسن بلائه، ونؤمن بهداه الذي لا يخبو ضياؤه، ولا ينمهد سناؤه، ولا تُوهن عراه، ونعوذ بالله من سوء كل الريب وظلم الفتن، ونستغفره من مكاسب الذنوب، ونستعصمه من مساوئ الأعمال، ومكاره الآمال، والهجوم في الأهوال، ومشاركة أهل الريب، والرضا بما يعمل الفجار في الأرض بغير الحق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي كان في أوليته متقادماً، وفى ديموميته متسيطراً، خضع الخلائق بوحدانيته وربوبيته.

وأشهد أنّ محمداً صلى الله عليه وآله عبدُه ورسوله، وخيرته من خلقه، اختاره بعلمه، واصطفاه لوحيه، وائتمنه على سره، وارتضاه لخلقه، وانتدبه لعظيم أمره، صلى الله وسلم عليه وعلى آله البررة الأتقياء.

أما بعد: أيها المؤمنون: إن من المحزن حقاً، والمؤسف جداً، ما نراه الواقع السيء الذي يعيشه شبابنا اليوم، من عدم مبالاتهم بالأوقات، وإضاعتهم للصلوات، وتفريطهم في الجمع والجماعات، مع أنهم يعلمون جيداً أن مدة الحياة قصيرة وإن طالت، وأن الفرحة ذاهبة وإن دامت، وأن الصحة سيعقبها السقم، والشباب يتلوه الهرم، فهيا لنشمر عن ساق الجد، ونعمل في الطاعات ونجتهد، لعل الله أن يرحمنا في يوم الشدة والجهد.

ولنأخذ بعضاً من الفضائل والأحكام المتعلقة بيوم الجمعة:

أولاً: فضل صلاة الجمعة والتبكير إليها

لأن من علم فضل شيء سيدفعه ذلك إلى الإهتمام به، والحرص عليه، وانتهاز الفرصة العظيمة واستغلالها بكل ما أوتي من جهد على فعل الخيرات وترك المنكرات، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن))، وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يغتسلُ رجلٌ يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا

تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى))، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من غسل واغتسل يوم الجمعة، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب، فدنا من الإمام واستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها))، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أنه قَال: ((مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَحْسَنَ غُسْلَهُ وَتَطَهَّرَ فَأَحْسَنَ طُهُورَهُ وَلَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ وَمَسَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنْ طِيبِ أَهْلِهِ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ وَلَمْ يَلْغُ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ اثْنَيْنِ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى)).

ثانياً: عقوبة المتهاون بها، والمتخلف عنها:

فقد ورد التحذير الشديد، والترهيب والتهديد، لمن تخلف عن الجمعة، وتركها، في روايات صحيحة أجمع عليها الموالف والمخالف وهي كثيرة جداً:

فمنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((من ترك الجمعة ثلاث مرات متواليات من غير ضرورة طبع الله على قلبه)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((لينتهين أقوام يسمعون النداء يوم الجمعة، ثم لا يأتونها أو ليطبعن الله على قلوبهم)).

وفي رواية : ((من ترك الجمعة من غير ضرورة كتب منافقاً في كتاب لا يمحى ولا يبدل)).

وفي حديث آخر: ((من سمع النداء يوم الجمعة ولم يأتها، ثم سمع النداء، ثم لم يأتها طبع على قلبه، فجعل قلب منافق)).

وعن علي عليه السلام أنّه قال: (يوشك أحدكم أن يتبدَّى حتّى لا يأتي المسجد إلاّ يوم الجمعة، ثمّ يستأخر حتّى لا يأتي الجمعة إلاّ مرّة ويدعها مرّة، ثمّ يستأخر حتّى لا يأتيها فيطبع الله على قلبه).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: (من ترك الجمعة ثلاثاً متتابعة لغير علّة كتب منافقاً)، وعنه أيضاً: (من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من ترك الجمعة ثلاثَ جمع متواليات، فقد نبذ الإسلام وراء ظهره)).

وسُئل ابن عباس – رضي الله عنهما – عن رجل يقوم الليل ويصوم النهار، وهو لا يشهد الجُمُعة ولا الجماعة، فقال: هو في النار.

وعن جابرٍ بن عبد الله، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم جمعةٍ فقال: ((واعلموا أن الله افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا في يومي هذا في شهري هذا في عامي هذا إلى يوم القيامة فمن تركها في حياتي وبعدي وله إمامٌ عادلٌ أو جائرٌ استخفافاً بها أو جحوداً لها، فلا جمع الله شمله، ولا بارك له في أمره، ألا ولا صلاة له، ألا ولا زكاة له، ألا ولا حج له، ألا ولا صوم له، ألا ولا بر له، حتى يتوب؛ فمن تاب تاب الله عليه.

فهذه بعض الروايات المتوعدة لمن تهاون وتخلف، وهي تدل على وجوب صلاة الجمعة، لأن الوعيد لا يكون إلا على ترك الواجب أو فعل المحظور.

ومن أدلة وجوبها التي ترد على من يحاول أن يجعل لنفسه عذراً مختلقاً في تركها، ما روي عن جابر: أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، قال: (مَنْ كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعةُ يومَ الجمعة، إلا مريضاً أو مسافراً، أو صبياً، أو مملوكاً).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة، إلا أربعة: عبد مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض)).

ثالثاً: بعض الفضائل والأعمال التي ينبغي ملازمتها والحرص عليها في يوم الجمعة:

فمنها: الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، كما ورد في الروايات المتكاثرة:

فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((أكثروا عليَّ من الصلاة يومَ الجمعة وليلة الجمعة، فإن أعمالكم معروضة عليّ)).

ولقد كان الصالحون يغتنمون فرصة ليلة الجمعة ويومها في أنواع العبادات، والإكثار من الصلوات والأذكار والأدعية وغيرها.

قرآءة سورة الكهف من خصائص يوم الجمعة كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((مَن قرأ سورة الكهف يومَ الجمعة، سطع له نور من تحتِ قدمه إلى عنان السماء، يضيء له يومَ القيامة، وغفر له ما بين الجمعتين))، وكذلك سورة يسين والدخان والسجدة وتبارك.

ومن خصائص الجمعة أنها كفارة للذنوب، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أربعةٌ يستأنفون العمل: المريض إذا برئ، والمشرك إذا أسلم، والمنصرف من الجمعة إيمانًا واحتساباً، والحاج)).

وعن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((ثلاث لو تعلم أمتي ما لها فيها لضربت عليها بالسهام: الأذان، والغدو إلى الجمعة، والصف الأول)).

ومن خصائصها وفضائلها: أن ليلتها تختص بالفضل من أولها إلى آخرها، فيفتح باب الإجابة من أول الليل، كما روي عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله تعالى في آخر ساعةٍ تبقى من الليل يأمر ببابٍ من أبواب سماء الدنيا فيفتح ثم ينادي ملكٌ يسمع ما بين الخافقين إلا الإنس والجن: ألا هل من مستغفرٍ فيغفر له، هل من تائبٍ فيتاب عليه، هل من داعٍ بخيرٍ يستجاب له، هل من سائلٍ يعطى سؤاله، هل من راغبٍ يعطى رغبته؟ يا صاحب الخير هلم، يا صاحب الشر أقصر، اللهم أعط منفق مالٍ خلفاً، اللهم أعط ممسك مالٍ تلفاً، فإذا كانت ليلة الجمعة فتح من أول الليل إلى آخره)).

ومن مات في ليلتها أو في يومها فله خصوصية النجاة من عذاب القبر كما روي عن علي عليه السلام ((ليلة الجمعة ليلة غراء، ويومها يوم أزهر، ومن مات ليلة الجمعة كتب له برآءة من ضغطة القبر، ومن مات يوم الجمعة، كتب له برآءة من النار)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسم ((من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وُقِيَ فتنة القبر)).

فكيف يتهاون بها اليومَ مسلم بعد معرفته لهذه الفضائل والخصائص، إلا من طبع الله على قلبه فأصبح لا يعي ولا يفقه، **{فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ}**، **{وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ}**، **{كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلوبِ الْمُعْتَدِينَ}**، **{خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ}**.

٨- حول صلاة الجماعة وفضلها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي هدانا لدينه القويم، وأبان لنا الحق المستقيم، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيي عن بينة وإن الله لسميع عليم، نحمده على نعمه الواسعةِ المدد، الكثيرةِ العدد، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه دائماً أبد الأبد.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفى المِمَجَّد، بَلَّغَ رسالة ربه إلى كل أحد، وجاهد في سبيل الله مَن كفر وجحد، صلى الله عليه وعلى آله الركع السجد.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإننا نعيش في هذا الزمان في حالة سيئة مليئة بالبعد عن الله تعالى، والتهاون بدينه، والإبتعاد عن تعاليمه، فنحن نحاول النظر إلى الأشياء البعيدة، ونريد الإهتمام بأمور كبيرة، مع التقصير الكبير، والتهاون الشديد بالأمور الأساسية، التي تبتني عليها القضايا الكبرى، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى نعدُّ الكلام في تلك القضايا الهامة التي أصبحنا نقصر فيها ونتهاون بها، من الكلام الذي ليس يواكب العصر، بل نتصامم ونتعامى عندما نسمع الموعظة أو الخطبة حول شيء من تلك الأسس الإسلامية، ونسخر ونستهزأ ونستهين بمن يعظ في ذلك المجال، مع العلم أننا في أمس الحاجة الضرورية إلى معرفة تلك القضايا والأسس.

فإن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، بدأ غريباً في تعاليمه وتشريعاته وآدابه، وهاهو اليوم أصبح غريباً في تلك التعاليم والتشريعات، فقد كان المشركون والكفار واليهود يستهزؤون ويسخرون بالمسلمين عندما يتعلمون شيئاً من تعاليم الدين التي نظن أنها بسيطة وسهلة، ولكن هي عند الله بالمكان السامي، والخطب الجسيم.

فهي عندنا حقيرة وعند الله خطيرة، عندنا أنها يسيرة وعند الله كبيرة، عندنا أنها هينة وعند الله هي عظيمة، وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم.

وتلك الأمور التي أصبحنا نتساهل بها، ولا نطيق سماع الخطب والمواعظ حولها، بل ونتأفف ونتضجر عندما نسمع الكلام فيها، بل ونتصامم ونحاول الإنشغال بما يفوت فهمنا وتعقلنا لتلك المواضيع، بل نحاول أن نشغل غيرنا ونصرفه عن سماع ذلك، ولا نكتفي بأن قد أضعنا أنفسنا، بل نخدم الشيطان في إضلال العباد، فبدلاً من أن نكون أدلة رشد وصلاح، نتحول إلى موانع وشواغل عن تلك الأمور الهامة.

فمن تلك الأمور والقضايا التي زادت بها غربة الدين في هذا الزمان: التهاون بأمر الصلاة التي هي عمود الدين، وركن الإسلام، والإهمال للجماعات والهجر لبيوت الله تعالى.

أيها المؤمنون: إن الصلاة شعيرة من شعائر الله الكبرى التي لا تساويها فريضة من الفرائض.

أي فريضة إسلامية أو واجب ديني ينادى له في اليوم والليلة خمس مرات، هلموا وأقبلوا وأجيبوا إلى الصلاة، التي هي عنوان الفلاح، والتي هي خير الأعمال عند الله، فلا يعدلها عمل، ولا يساويها فعل.

بل إن جميع الأعمال من صيام وحج وزكاة وجهاد وغيرها تتوقف على الصلاة، فإن كانت الصلاة مقبولة قبلت تلك الأعمال وإلا ردت، فالمتهاون بالصلاة لا يقبل منه صيام ولا حج ولا زكاة ولا جهاد ولا غيرها، والمحافظ والحريص عليها والمعظم لها، والمهتم بشأنها تصلح له أعماله الدينية والدنيوية.

أي الفرائض والشرائع أمر الله تعالى أن تبنى لها البيوت وتعمر لها المساجد لتؤدى فيها وتقام فيها، غير الصلاة.

أي الفرائض والشرائع لا تسقط على الكلف في أي حال من الأحوال، إلا إذا زال عقله، غير الصلاة.

أي الفرائض جعلها الله فارقاً بين الإيمان والكفر غير الصلاة، ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر))، وحديث: ((بين العبد وبين الكفر تركُ الصلاة)).

أي الفرائض يحكم بالكفر والردة، والخروج من الملة المحمدية على من تركها بالكلية، أو ترك فرضاً واحداً منها حتى خرج وقتها، غير الصلاة، فقد أجمع علماء الأمة المحمدية قاطبة، على اختلاف آرائهم ومذاهبهم أن من ترك صلاة فرض واحد مُتعمدًا حتى يخرج وقتها، فهو كافر مُرتد، وروي أن أصحاب

رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يكونوا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفرٌ إلا الصلاة، فقد روي: ((من ترك صلاة واحدة متعمدًا، فقد برئتْ منه ذمة الله))، وقد جاء في الحديث: ((لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة))، وقد روي عن معاذ بن جبل أنَّ رسول الله – صلَّى الله عليه وآله وسلَّم – قال: ((من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا، فقد برئت منه ذمة الله)).

أيها المؤمنون:

قد يتضجر الكثير من الناس عندما ويتضايق عندما يسمع الخطبة حول الصلاة، وتضجره ذلك دليل على أنه من المتهاونين بالصلاة، يريد خطبة تتكلم عن ما يدور في العالم، أو تتحدث عما يدور في الساحة، أو تتحدث عن أمور يعدها مهمة، فبالله عليك أخي المسلم هل هناك أمر أهم من الصلاة التي أصبح التكاسل والتهاون والتساهل بأمرها منتشراً بين المسلمين.

بالله عليك أخي المسلم كيف تريد أن نتحدث عن مواضيع بعيدة ونحن لا نصلي.

كيف نتكلم عن الوضع الفاسد؟! وتهاوُنُنَا بالصلاة من أهم وأعظم أسباب ذلك الوضع.

كيف نعالج أمر الأمة الإسلامية ونسعى إلى إصلاحها في أمور بعيدة ونحن لم نحسن الإهتمام بالأمور القريبة؟!.

كيف تريد أن تصلح أموراً أنت تهدمها بيدك، وتثلمها بمعولك، وتخربها بتهاونك، تريد أن تصلح أمر الناس وأنت أول الفاسدين، تزعم أنك تحاول الإصلاح وأنت أول المخربين.

أيها المؤمنون: إن القلب يذوب أسى وحزناً عندما نرى المساجد لا يتردد عليها إلا القليل مع أن المناطق والأحياء قد امتلأت بالسكان، فأين الشباب الذين نراهم على الأرصفة والشوارع، وفي الأندية والملاعب، وفي مجالس القات والأسواق، لماذا لا نراهم في المساجد.

كيف يكون الحضور لو دعاهم تاجر أو مسؤول.

أين الشباب الذين ينتظر منهم دينهم أن ينصروه، ونبيهم أن يذبوا ويدافعوا عنه، أترون من لم يمتثل أمر نبيه، ويجيب داعي ربه، هل سينصر الدين، هل سيذب عن حوزة الإسلام والمسلمين.

أصبح الناس يتساهلون بأهم الأمور وأعظمها، لأن الدين أصبح عندهم مهملاً متروكاً.

يعدون ما ليس من الدين ديناً، ويحسبون ما هو الدين الحق ضياعاً وضلالاً، وكأن الله تعالى وكل إلى

أولئك المغرورين – الذين لا يوثق بهم في خبر بسيط– أن يبينوا ما هو الدين.

إن مما يزيد في لوعة المسلم وحسرته أن يرى التجمع في أماكن اللهو واللعب أكثر بكثير من التجمع في بيوت الله، يسمعون منادي الله ينادي هلموا إلى بيوت الله جماعات وأفرادى وهم يتصاممون، وكأنهم لا يسمعون، بل ويستهزؤون ويسخرون، كما قال تعالى: **{وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ}**.

جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، **بسم اله الرحمن الرحيم {وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}**، أستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا مِنَ الضَّلَالِ، وبَصَّرَنا مِنَ العَمَى، الحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلاً، الحَمْدُ للهِ نَعْبُدُهُ وَنَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِي اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أيها المؤمنون:

لنقف الآن لحظات من أوقاتنا الثمينة، لنناقش مع أنفسنا بصدق وجد وصراحة بعض الأمور الهامة التي أصبح الناس يتهاونون بها في جانب الصلاة.

أولاً: سماع الأذان وإجابته.

ما أكثر المؤذنين وما أكثر الندآءات إلى الصلاة ولكن تعالوا وقت نداء المنادي إلى الصلاة فكم سترون من المصلين، لو عددت المساجد في المنطقة الواحدة، وعددت المصلين في كل المساجد لو جدت أعداد المساجد أكثر من أعداد المصلين فيها.

هل ذلك لقلة الناس، الجواب لا.

البيوت مليئة بالشباب والكهول والغلمان.

هل ذلك لانشغالهم. الجواب لا.

فهم في فراغ ليس له نظير، وقل من يكون مشغولاً أو معذوراً عذراً يبيح له الترك، لكنهم متواجدون قريباً من المساجد.

تعالوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليبين لنا حكم هذا الذي لا يجيب منادي الله.

فعن علي عليه السَّلام قال: من سمع النداء من جيران المسجد فلم يجب وهو صحيح من غير عذر فلا صلاة له.

عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم أنه قال ((من سمع النداء وهو في المسجد فخرج منه فهو منافق، إلا رجلاً يريد الرجوع إليه)).

وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((من سمع المنادي فلم يمنعه من اتباعه عذر، قالوا: وما العذر؟ قال: خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلى)).

وعن معاذ بن أنس الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الجفاء كل الجفاء والكفر والنفاق من سمع منادي الله ينادي بالصلاة ويدعو إلى الفلاح فلا يجيبه)).

ثانياً: من الأمور التي يقع فيها التهاون أمر الصلاة في الجماعة.

إن الجماعة من السنن المؤكدة التي واظب عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم طيلة حياته، ولم يؤثر أنه صلى فرادى في أي صلاة من صلواته حتى وهو في مرضه، بل وحتى في مرض موته لم يزل مواظباً على الجماعة، خرج وهو يتهادى بين رجلين، بل كان يحذر أصحابه من التهاون بالجماعة، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يواظبون عليها، وكان حضور الرجل إلى الجماعة والصلاة في المسجد دليل على أنه بصحة جيدة، فإذا ترك الحضور علموا أنه إما مسافر فيحفظوه في أهله، وإما مريض فيعودوه إلى بيته.

بل ذهب بعض أهل العلم إلى أن صلاة الجماعة من الواجبات، وذهبوا إلى أنها فرض عين.

إن هناك تساهلاً عظيماً في الصلاة مع الجماعة فمن الناس من لا يُرى في المسجد أبداً، ثم يتعذر بأنه يصلي ولكن يصلي في بيته، وفي الحقيقة هو كاذب لا يصلي، ومنهم من لا يُرى إلا في الجمعة، أو في بعض الأحيان، ومنهم من يسهر إلى نصف الليل فإذا أقبل الفجر نام قرير العين غافلاً عن الصلاة، ومنهم من يأتي إلى الجماعة في بعض الصلوات ويتخلف عن بعضها، وخاصة عن صلاة العصر والفجر، ومنهم من يأتي إلى الصلاة مع الجماعة ولكنه دائماً يأتي متأخراً قد فاتته تكبيرة الإحرام أو فاتته الركعة والركعتان، ونرى الصلاة تقام في بعض الصلوات ولا يوجد في المسجد إلا أنفار يحسبون بأصابع اليد، ثم يأتي الناس بعد ذلك، بل وصل الحال ببعض النعرضين والغافلين أن يشغل نفسه بالأحاديث والمجابر قاصداً حتى تفوت الجماعة، والبعض الآخر يرى أن الصلاة مع الجماعة فيه هدر لوقته الثمين، فالجماعة تؤخره عن لهوه ولعبه وغفلته، فهو يريد الإسراع لوحده، أو يريد أن لا يفوته العمل فأي بركة وأي توفيق سيكون في عمل كهذا العمل، **{وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}**، ويقول سبحانه

وتعالى **{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}**.

تعالوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لننظر ما حكم أولئك القوم، وأنت أخي المسلم اختر الحكم على نفسك من خلال ذلك:

فعن ابن عباس، وابن عمر أنهما سمعا النَّبِي صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمْ يقول على أعواد المنبر: ((لينتهين أقوام عَن ودعهم الجماعات – أي تركهم –، أو ليختمن اللَّه على قلوبهم، ثم لَيَكُونُنَّ من الغافلين)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((لقد هممت أن آمر بالصلاة أن تقام ثم آمر رجالاً من قريش فيحملون حزماً من حطب فيه نار فأحرق على قوم لا يحضرون الصلاة بيوتهم)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : ((لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيصلى بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : ((لولا ما في البيوت من النساء والذرية أقمت صلاة العشاء وأمرت فتياني يحرقون ما في البيوت بالنار)).

وعن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لينتهين رجال عن ترك الجماعة أو لأحرقن عليهم بيوتهم)).

وعن أبيّ بن كعب قال: صلّى بنا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يوماً الصبح فقال ((أشاهدٌ فلان؟))، قالوا: لا، قال ((أشاهدٌ فلان؟)) قالوا: لا، قال ((إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حَبْواً على الرُّكَبِ، وإنَّ الصفَّ الأوَّل على مثل صفِّ الملائكة، ولو علمتم ما فضيلته لابتدرتموه، وإنَّ صلاة الرَّجل مع الرَّجل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرَّجلين أزكى من صلاته مع الرَّجل، وما كثر فهو أَحَب إلى اللّه عزّوجلّ)).

وروي عن ابن أمِّ مكتوم، أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول اللّه إني رجل ضرير البصر شاسع الدار، ولي قائد لا يُلائِمُنِي، فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال ((هل

تسمع النِّداء؟)) قال: نعم، قال ((لا أجد لك رخصةً)).

وفي رواية أخرى عن ابن أم مكتوم قال: يا رسول اللّه إن المدينة كثيرة الهوامّ والسباع، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أتسمع حيَّ على الصلاة، حَيَّ على الفلاح؟)) قال: نعم، قال ((فحيَّ هلا)).

فهذا الرجل الأعمى الضرير اجتمعت فيه ستة أعذار، هو ضرير، وبعيد الدار، وليس له قائد يقوده إلى المسجد، وبينه وبين المسجد واد مسيل فيه شجر ونخيل أضف إلى ذلك كبر سنه ورقة عظمه ووجود الهوام والسباع بالمدينة ومع ذلك كله قال له النبي صلى الله عليه وسلم ((لا أجد لك رخصة))، فكيف سيكون حالنا نحن الذين لا عذر لنا وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يرخص لهذا الرجل بالتغيب عن الجماعة فمن رخص لنا نحن بالغياب عنها والتخلف عن أدائها جماعة.

وعن جابر بن عبد الله قال: فَقَدَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوماً في الصلاة فقال: ((ما خلفكم عن الصلاة ؟ قالوا: لحاً – أي نزاعاً أو خصومة- كان بيننا فقال: لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد)).

ورُوِي عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّه قال: ((فرق ما بيننا وبين المنافقين أنَّهم لا يستطيعون حضور العشاء والصبح في جماعة)).

ثالثاً: بعض الناس يدخل إلى المسجد والصلاة قائمة وقد صلى، أو يصلي لوحده ثم تقوم الجماعة فلا يصلي معهم، فماذا قال نبينا الكريم في ذلك:

عن يزيد بن الأسود أنه صلى مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وهو غلامٌ شابّ، فلما صلى إذا رجلان لم يصليا في ناحية المسجد، فدعا بهما فجيء بهما ترعد فرائصهما، فقال ((ما منعكما أن تصلِّيا معنا؟))، قالا: قد صلينا في رحالنا، فقال ((لا تفعلوا، إذا صلّى أحدكم في رحله ثمَّ أدرك الإِمام ولم يصلِّ فليصلِّ معه؛ فإِنَّها له نافلةٌ)).

عن يزيد بن عامر قال: جئت والنبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة، فجلست ولم أدخل معهم في الصلاة قال: فانصرف علينا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فرأى يزيد جالساً فقال ((ألم تسلم يا يزيد؟)) قال: بلى يا رسول اللّه قد أسلمت، قال ((فما منعك أن تدخل مع النّاس في صلاتهم؟)) قال: إني كنت قد صلَّيت في منزلي، وأنا أحسب أن قد صليتم فقال ((إذا جئت

إلى الصَّلاة فوجدت النَّاس فصلِّ معهم، وإن كنت قد صلَّيت تكن لك نافلةً، وهذه مكتوبة)).

وعن محجن الديلي أنه كان في مجلس مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأذن بالصلاة، فقام رسول الله فصلى، ثم رجع ومحجن في مجلسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ما منعك أن تصلي مع الناس ألست برجل مسلم))، فقال له: بلى يا رسول الله، ولكني كنت قد صليت في أهلي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((إذا جئت فصل مع الناس)).

وعن جابر بن يزيد بن الأسود، عن أبيه قال: شهدت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم حجته فصليت معه صلاة الصبح في مسجد الخيف فلما قضى صلاته وانحرف إذا هو برجلين في آخر القوم لم يصليا معه فقال: ((علي بهما فجيء بهما ترتعد فرائصهما فقال: ما منعكما أن تصليا معنا؟ فقالا: يا رسول الله إنا كنا قد صلينا في رحالنا، فقال: فلا تفعلا إذا صليتما في رحالكما ثم أتيتما مسجد جماعة فصليا معهم فإنها لكما نافلة)).

أيها المؤمنون:

إذا عرفنا بما تقدم من الأدلة والروايات عِظَم شأن الصلاة ومكانتها من الدين، فيجب علينا أنْ نَهتم بها، وأنْ نُشدد على أهلنا وأولادنا وكل من لنا عليه ولاية في إقامة الصلاة وحضور الجماعة، وأن لا ندع عُذرًا في تركها، ومن لم يسمع من أولادنا ولم يطع، فعلينا أن نهَدِّده ونعاقبه، وأن نغضب عليه أشدَّ الغضب، أعظم مما نغضب عليه لو أتلف علينا مالاً، فإن لم نفعل ذلك كنا والعياذ بالله من المستهينين بحقوق الله وبدينه.

لابد أن نعيد النظر في صلاتنا وأن نؤديها في جماعة حتى نحصل على الأجر العظيم، والثواب الكبير، وحتى يخرج المتهاون من دائرة النفاق والمنافقين، وإلا فلا يلومنّ أحدٌ إلا نفسه، فاختر لنفسك ما تريد أن تدعى به من الألقاب والأسماء، فأنت بتهاونك إنما تضر نفسك لاغيرك، وتجني عليها لا على سواها.

الحادي عشر:

الخطب المتعلقة بأمراض القلوب

٩- قسوة القلوب وعلاجها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لَا مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ وَ لَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ وَ لَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ وَ لَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ، لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ.

أما بعد أيها المؤمنون: فإن القَلْبَ أَشْرَفُ عُضوٍ في الإِنْسَانِ، جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى وِعَاءً قَابِلاً لما تَمْلَؤُهُ به، فَإِمَّا أنْ تَجْعَلَهُ وِعَاءً للخَيرِ وَالرَّشَادِ، فَيَكُونَ ذَاكِرًا للهِ عَامِلاً لَهُ، سَاعِيًا إِلَيهِ، فَيَكُونَ قَائِدًا للجَوَارِحِ وَالأَرْكَانِ إلى كُلِّ صَوَابٍ وخَيْرٍ، أَوْ تجعَلَهُ وعَاءً للشَّرِّ وَالفَسَادِ، غَافِلاً عَنِ اللهِ، عَامِلاً للشَّيطَانِ، سَاعِيًا إِلَيهِ؛ فيكُونَ قَائِدَاً للجوارحِ إلى كُلِّ ضَلَالٍ وشرٍّ.

فَإِنَّ للقُلُوبِ حَيَاةٌ كَحَيَاةِ الأجْسَادِ، بَلْ هي أَعْظَمُ مِنْهَا وَأَجْمَلُ، وحَاجةُ الإنسانِ إليها أكثرُ، وَلَهَا أَمْرَاضٌ كَأَمْرَاضِ الجسَدِ، بَلْ هي أَعْتَى مِنْهَا وَأَقْسَى، ويَتَضَرَّرُ الإنسانُ منها أكثرَ، وَعَلَى قَدْرِ حَيَاةِ القَلْبِ تَكُونُ حَيَاةُ الجَسَدِ وَالرُّوحِ، وَتَصْلُحُ الأَعْمَالُ، وَتُنَالُ الدَّرَجَاتُ، وَتُغْفَرُ الخَطِيئَاتُ، وَبِقَدْرِ فَسَادِ القَلْبِ وَاسْتِحْكَامِ آفَاتِهِ وأَمْرَاضِهِ تَكُونُ عَاهَةُ الجَسَدِ وَفَسَادُه.

وإِنَّ القلبَ يَمْرَضُ كما يمرضُ البدنُ، ويَصْدَأُ كما يَصْدَأُ الحديدُ، ويَجوعُ كما يجوعُ البطنُ، وأمراضُ القلبِ كثيرةٌ، وأنواعُها مُتَعَدِّدَة، والأَمْرَاضُ القلبيةُ تختلفُ وتتنوعُ بحسبِ نوعِ المؤثراتِ التي تحيط بها، فكلَّما قَوِيَت المؤثراتُ على القلب قوي المرضُ واشتَدَّ، ويَتَدَرَّجُ المَرَضُ فيه ويَزْدَادُ حتى يُطْمَسَ ويُقْفَلَ ويُطبَعَ عليه، ويزيغَ عن الحق، وعندها يكون القلبُ قد وصلَ إلى مرحلة خطيرة هي مرحلة الموت القلبي، التي هي أسوأُ وأخطرُ المراحل؛ لأنّ القلبَ حينئذٍ لا تنفعه المواعظُ، ولا تؤثرُ فيه العبرُ، بل قد ينتقلُ صاحِبُه من الإيمان إلى ضدِّه.

ومما يهيج أمراض القلوب الحالةُ التي نَعِيشُها في هذا الزمانِ المِلِيْءِ بما يَصُدُّ ويُلهي عن طاعةِ اللهِ، ويُقفلُ القلوبَ عما ينفعها، ويسبب في غفلتها عن الله تعالى، فإن الآفاتَ في هذا الزمان،

والأمراضَ في هذا العصر كثيرةٌ لا تحصى، فمنها ما هو على الأبدان، ومنها ما هو على القلوب والأديان، وهو أشد فتكاً وخطراً.

ومن أشدِّ الأمراض التي تصيب القلوب مرض قسوة القلب، وهو مرض خطير تنشأ عنه أمراض، وتظهر له أعراض، ولا يكاد يسلم من هذا المرض إلا القليل ممن سلمه الله وأخذَ بالأسباب، فيا ترى ما هو هذا المرض؟ وما هي علاماته وأعراضه؟ وكيف يمكن توقيه العلاج؟.

أَيُّهَا المؤمنون: القَسْوَةُ فِي القَلْبِ هِي غِلْظَتُهُ ونَبْوَتُهُ عَنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ وَإِعْرَاضُهُ عَنْهُ، وَهِي عِقَابٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى يَصُبُّهُ ويُنْزِلُهُ عَلَى المعْرِضِينَ عَنْ شَرْعِهِ وعبادتِهِ، المتَعدِينَ عَنْ هَدْيِهِ وَدِينِهِ وطاعَتهِ، كما قال تعالى {**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً**}.

إِنَّ مَنِ اسْتَغْرَقَ فِي المعَاصِي وَالآثَامِ، ونَقَضَ مَوَاثِيقَهُ مَعَ اللهِ طَرَدَهُ مِنْ صُفُوفِ أَهْلِ التَّقْوَى، وَأَبْعَدَهُ عَنْ مَهَابِطِ رَحْمَتِهِ، حَتَّى يَقْسُوَ قَلْبُهُ ويَعْلُوهُ الرَّانُ والظُّلْمَةُ، عقوبة من الله تعالى له على سوء أفعاله، كما روي عن بعض الصالحين أنه قال: (مَا ضُرِبَ عَبْدٌ بعُقُوبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ قَسْوَةِ قَلْبٍ، ومَا غَضِبَ اللهُ عَلَى قَوْمٍ إِلاَّ نَزَعَ الرَّحْمَةَ مِنْ قُلُوبِهِم).

إِنَّ مَن يَطُولُ عَلَيه العَهْدُ وَهو يَتَقَلَّبُ فِي النِّعَمِ عَلَى فِسْقٍ وَمَعْصِيَةٍ وَنِسْيَانٍ لِرَبِّهَ، وَابْتِعَادٍ عَنْ دِينِهِ، لاَ يلْبَثُ أَنْ تعْتَرِيَهَ أَمْرَاضُ النُّفُوسِ وَأَدْوَاءُ القُلُوبِ، فَيَقْسُوَ قَلْبُهُ، فَلاَ يَخْشَعُ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ، كما قال تعالى {**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**}.

فقد شبه الله تعالى القلوب بالحجارة، بل إن القلب القاسي أشد صلابة من الحجارة، ووجه التشبيه بين القلوب والحجارة، هو عدم الإنتفاع واللين، وعدم الخشوع لله والخشية منه.

وقد يقول القائل: كيف أعرف أعراض هذه القسوة، وأنها موجودة في قلبي؟

فالجواب: للقسوة أعراض وعلامات، إذا وجدتها في نفسك فاعلم أن قلبك قد صار قاسياً، غافلاً لاهياً، وهذه الأعراض تتفاوت وتختلف من شخص لآخر، فمن أعراضها:

أولاً: التكاسلُ عن الطاعات وأعمالِ الخير، بل ربما يفرط فيها، فهو يعتبرُ الصلاةَ مجردَ حركات من قيام وقعود، وركوع وسجود، يقوم بها بلا خشوع ولا خضوع، ولا يستحضر قلبه في أذكارها، بل يضيق بها ذرعاً، كأنه يحمل فوق ظهره ثقلاً، وهو يريد التخلص منه سريعاً، وكأنه في سجن يريد الخروج منه، وقد جعل الله هذه الصفة من صفات المنافقين فقال: **{وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ}**، وقال تعالى **{وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى}**.

ثانياً: عدمُ التأثر بآيات القرآن الكريم والمواعظ، فهو يسمع آيات الوعد والوعيد فلا يتأثر ولا يخشع قلبه ولا يخبت ولا ينيب، بل ويغفل عن قراءة القرآن وعن سماعه، ويجد ثقلاً ومللاً من ذلك، ويعجل الإنصراف عنه، مع أن الله تعالى يقول: **{فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ}**، ومدح الله المؤمنين بقوله **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}**.

ثالثاً: إذا قسى القلبُ أصبح لا يتأثرُ بشيء مما يدور حوله من الحوادث والمزعجات، كالموت والآيات الكونية، والعجائب التي تمر عليه بين حين وآخر، فهو يرى الأموات ويمشي في المقابر وكأن شيئاً لم يكن، وكفى بالموت واعظاً، ومن لم يتعظ بالموت فلا وعظه الله، وهو يرى ويسمع الزلازل والكوارث والصواعق ولا يبالي، قال تعالى: **{أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ}**.

فإن الله تعالى يجعل بعض تلك الحوادث والآيات الكونية للعظة والعبرة، قال تعالى: **{فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}**.

رابعاً: من أعراض قسوة القلب: إيثاره الدنيا على الآخرة، فتصبح الدنيا همَّه الأكبر، وشغله الشاغل، وتكون مصالحه الدنيوية ميزاناً في حبه وبغضه وعلاقاته مع الناس، فيحسد ويحقد بسبب الدنيا، ويوالي ويعادي من أجل الدنيا.

خامساً: يضعف في القلب تعظيمُ الله جل جلاله، وتنطفئ الغيرة الإيمانية فيه، ويقل فيه نور الإيمان، فهو يرى محارمَ الله تنتهك ولا يغضب، ويرى المنكرات يعملُ بها ولا يحرك ساكناً، ويسمع الموبقات والمحرمات وكأن شيئاً لم يكن ولم يحدث، فإذا وصل القلب إلى هذه الحالة لا يعرف

معروفاً، ولا ينكر منكراً، نُكِسَ فَجُعِلَ أعلاه أسفلَه.

سادساً: من أعراض القلب القاسي: الوحشة التي يجدها، وضيق الصدر، والشعور بالقلق والضيق بالناس، ولا يكاد يهنأ بعيش أو يطمئن، فيظل قلقاً متوتراً من كل شيء، يغضب لأتفه الأسباب أو بلا سبب.

سابعاً: يتهاون بالمعاصي والذنوب، فيتفنن في ارتكابها، ويجتهد في تحصيلها، ولا يبالي بما يرتكبها منها، بل يستصغر كبيرها، ويستهون عظيمها، حتى تصبح المعاصي عنده شيئاً عادياً، وأمراً مألوفاً، ومع ذلك يمني نفسه بصلاحها، وإذا ارتكب المعاصي تولدت منها أشباهها وأمثالها، وأصبح من الصعب عليه تركُها.

ومن أعراض هذا المرض الخطير: جمود العين عن البكاء من خشية الله، فهاهي العيونُ جامدةٌ لا تدمع، والقلوبُ لاهيةٌ لا تخشع، والأبدانُ متواكلةٌ لا تشكر؛ يقرأ الواحد منا صفحات تلو صفحات من كتاب الله، فلا يقف وقفةً تنهمر من عينه دمعةٌ من خشيةً الله، والتفكر والتدبر في بليغ آياته وخطابه، بل قد نرى مشاهد كثيرة تهد الجبال الراسيات، ثم نحن بعد هذا نمر بها ضاحكين غير مبالين ولا مستشعرين، أليس هذا مرضاً خطيراً؟ أليس هذا وجعاً فتاكاً؟ بلى يا عباد الله! إنه إن استمر بعبدٍ من عبادِ الله، ضيعَ عليه دنياه وآخرته.

إن القلب القاسي بعيد عن الله، بعيد عن تعاليم الله، بعيد عن الرحمة، بعيد الخشية، بعيد عن كل صفات الخير، قريب من الشيطان، قريب من الشهوات، قريب صفات الشر.

جعلني الله وإياكم من الذين ينتفعون بمواعظ الله، ويهتدون بهدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بسم الله الرحمن الرحيم **{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ}**، بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من البر والإحسان، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ذي المجد والثناء، والفضل والعطاء، نحمده على نعمه، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: عرفنا في الخطبة الأولى أعراض وعلامات قسوة القلب، فلنأت لمعرفة الأسباب التي تجعل القلبَ قاسياً، الأمور التي تسبب في صلابة القلب وعدم تقبله للطاعة، وعدم خشوعه لمولاه.

أيها الإخوة الكرام:

هناك عوامل أساسية، تسبب في قساوة القلب إذا عرفناها، تمكنا من علاجها، لأن الداء لا يمكن علاجه إلا بعد تشخيصه ومعرفة أسبابه، ومن تلك الأمور الموجبة للقساوة القلبية ما يلي:

أولاً: الغفلة: فهي داءٌ عضال، ومرض وبيل، وآفةٌ خطيرة، إذا استحوذت الغفلةُ على القلبِ، وتمكنت من النفسِ، واستأثرت على الجوراح والأعضاء، أدى ذلك إلى انغلاق أبواب الهداية، وعدم وصول المواعظ والعبر إلى القلب، وقد ذكر الله تعالى أن الغفلة هي سبب في الطبع على القلوب، فقال تعالى **{أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}**، ومن تأمل حال الخلق وجدهم كلهم إلا القليل ممن غفلت قلوبهم عن ذكر الله تعالى، واتبعوا أهواءهم، وفرطوا فيما ينفعهم ويعود بصلاحهم، واشتغلوا بما لا ينفعهم بل يعود بضررهم عاجلاً وآجلاً، فلهذا وقع الناس في الغفلة المؤدية إلى الطبع المفضي إلى القساوة، وقد أخبرنا الله تعالى عن أصحاب الغفلة أنهم أصحاب قلوب قاسية لا تَرِقُّ ولا تَلِين، ولا تنتفع بشيء من الموعظة، فهي كالحجارة أو أشد قسوة، لهم أعين يشاهدون بها ظواهر الأشياء، ولكنهم لا يبصرون بها حقائق الأمور، ولا يميزون بها بين المنافع والمضار، ولهم آذان يسمعون بها الباطل كالكذب والغناء والفحش والغيبة والنميمة، ولا ينتفعون بها في سماع الحق من كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأنى لهؤلاء الفوز والنجاة وتلك حالهم، وأنى لهم الهدى والاستقامة وتلك طريقتهم، يقول الله سبحانه **{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ**

لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}.

ثانياً: كثرة الوقوع في المعاصي والمنكرات: فإن المعصية ولو كانت صغيرة تمهد الطريق لأختها حتى تتابع المعاصي ويهون أمرها، ولا يدرك صاحبها خطرها، وتتسرب واحدة وراء الأخرى إلى قلبه، حتى لا يبالي بها، ولا يقدر على مفارقتها ويطلب ما هو أكثر منها، فيضعف في قلبه تعظيم الله وتعظيم حرماته، ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن العبد إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء، فإذا تاب ونزع واستغفر صُقِلَ قلبُه، وإن زاد زادت حتى تعلوَ قلبَه، فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل **في قوله {كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ}**، **ذنب وراء ذنب، ومعصية بعد أخرى.**

وقد مثل بعض الصالحين المعصية بالشجرة المؤذية التي تنبت في الأرض المزروعة، فإن سارع في إزالتها، هان عليه ذلك، وإن استصغرها واستهونها، قويت واشتدت، وامتدت عروقها، وغلظ جذعها بمرور الأيام والسنين، حتى تصير شجرة ضخمة لا يقتلعها إلا بتعب وعناء شديد، فكذلك المعاصي في القلب إن سارع التوبة سهل عليه ذلك، وإن تهاون بها تكاثرت وتزايدت وتداعت حتى يصعب الإقلاع عنها.

قال الإمامُ القاسمُ بنُ إبراهيمَ عليه السلام: (ما جَمَدَتِ العيونُ إلاَّ من قساوةِ القلوب، وما قست القلوبُ إلاَّ من كثرة الذنوب، وما كَثُرَتِ الذنوبُ إلاَّ بالرضا بالعيوب، وما وقع الرضى إلاَّ بعد الاجتراءِ على علامِ الغيوب، جُمُودُ العين، من وُجُودِ الرَّين.

ثالثاً: مصاحبة قرناء السوء، والجلوس في الأماكن الفاسدة: وهذا السبب من أكثر الأسباب تأثيراً على الإنسان في سلوكياته، لأن الإنسانَ سريعُ التأثر بمن حوله، فالشخصُ الذي يعيش في مجتمع أو بيئة مليئة بالمعاصي والمنكرات، ويجالس أناساً أكثر حديثهم عن المحرمات، ويكثرون المزاح والضحك والنكات وسماع الغناء ورؤية المسلسلات الإباحية الماجنة، هذا الشخص لا بد أن يتأثر بأولئك الجلساء، وطبعه يميل إلى طبعهم، فيقسو قلبه، ويعتاد على هذه المنكرات.

عن المرء لا تسألْ وَسَلْ عن قرينه　　　فكلُّ قرينٍ بالمُقارِنِ يَقْتَدِي

رابعاً: من أعظم أسباب القسوة، نسيان الموت وسكراته، والقبر وأهواله، وعذابه ونعيمه، ووضع

الموازين، ونشر الدواوين، ونسيان النار وما أعد الله فيها لأصحاب القلوب القاسية، فإن نسيان الموت يجعلك تأمل في حياة ممتدة لا نهاية لها، فتدخل في الدنيا وتنسى الآخرة، لأن حب الدنيا إذا طغى على القلب أضعف إيمانه شيئاً فشيئاً حتى تصبح العبادة ثقيلة مملة، ويجد لذته وسلواه في الدنيا وحطامها حتى ينسى الآخرة بالكلية، ويغفل عن هادم اللذات، ويبدأ عنده طول الأمل، وما اجتمعت هذه البلايا في شخص إلا أهلكته، وإذا مال القلب إلى الدنيا تشعب وتمادى، حتى يبتعد عن الله عز وجل، وعند ذلك تسقط مكانته عند الله، ولا يبالي به الله في أي وادٍ من أودية الدنيا سلك وهلك والعياذ بالله، إن العبد الذي ينسى ربه، ويُقبِلُ على الدنيا، يكون قد عَظَّمَ ما لا يستحق التعظيم وهي الدنيا، واستهان بما يستحق الإجلال والتكريم وهو الله تعالى، فلذلك كانت عاقبته من أسوأ العواقب.

فهذه أيها المؤمنون، أهم أسباب القسوة، فإذا قد عرفنا أسبابها سهُل علينا علاجها.

فلنأت إلى أخذ الدواء والعلاج لإزالة القسوة، والأسباب التي تجعل القلب رقيقاً منكسراً خاشعاً لخالقه عز وجل، يُقبل على الله بعد أن كان معرضاً عنه، ويقف عند حدوده بعد أن كان مجترئاً عليها، إنّ رِقَّةَ القلب من أجلِّ النعم وأعظمها، وما من قلب يُحرم هذه النعمة إلا وقع في التهديد بالعذاب من الله في قوله **{فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}**، وما رق قلب لله وانكسر إلا كان صاحبه سابقاً إلى الخيرات، مشمراً إلى الطاعات، حريصاً على طاعة الله ومحبته، **فمن علاج القسوة، الأمور التالية:**

أولاً: الإكثار من ذكر الله وتلاوة كتابه والنظر والتفكر في آيات القرآن الكريم، فما قرأ عبدٌ القرآنَ، وكان عند قراءته حاضرَ القلب، مفكراً متدبراً إلا وَجَدَ عينَه تدمع، وقلبَه يخشع، ونفسَه تزداد إيماناً ويقيناً، وما تلا عبد القرآن حق تلاوته أو استمع إلى آياته بفكر حاضر، إلا وجدته رقيق القلب، مقشعر الجلد من خشية الله، كما قال تعالى **{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}**، وقال تعالى: **{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}**.

ثانياً: تذكر الموت وما بعده من الأهوال، من سؤال القبر وظلمته ووحشته وضيقه، وأهوال الموت وسكراته، ومشاهدة أحوال المحتضرين وحضور الجنائز، فإن هذا مما يوقظ النفس من رقدتها، وينبهها

من غفلتها، فتعود إلى ربها وترق، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوصي أصحابه بذكر الموت في أحاديث كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم ((**أكثروا من ذكر هادم اللذات**))، لأن القلب إذا فارق ذكر الموت فسد وقسى.

ومما يزيل القسوة: زيارة القبور والتفكر في حال أهلها، وكيف صارت أجسادهم تحت التراب، وكيف كانوا يأكلون ويتمتعون ويلبسون، فأصبحوا تحت التراب في قبورهم، وتركوا ما ملكوا من أموال وبنين، ويتذكر أنه قريباً سيكون بينهم، وأنّ مآلَه هو مآلُهم، ومصيرَه هو مصيرُهم، فزيارة القبور عظة وعبرة، وتذكير وتنبيه لأهل الغفلة، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها؛ فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هُجراً))، ومن نظر إلى القبور وإلى أحوال أهلها انكسر قلبه ورق، وذهب ما به من القسوة والغفلة، وأقبل على ربه إقبال صدق وإخبات.

ومن علاج داء القسوة الدعاء والتضرع إلى الله تعالى في إزالة ما به، وتصفية باطنه، كما قال تعالى **{ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}**.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من أهل القلوب الواعية، التي تعرف المعروف فتتبعه، وتنكر المنكر فتجتنبه.

١٠- حول الإعراض عن الله تعالى ودينه

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي هدانا لدينه القويم، وأبان لنا الحق المستقيم، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيي عن بينة وإن الله لسميع عليم، نحمده على نعمه الواسعةِ المدد، الكثيرةِ العدد، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه دائماً أبد الأبد.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفى المِمَجَّد، بَلَّغَ رسالة ربه إلى كل أحد، وجاهد في سبيل الله مَن كفر وجحد، صلى الله عليه وعلى آله الركع السجد.

أما بعد: أيها المؤمنون:

نريدُ أن نتحدثَ معكم في هذه الجمعةِ المباركةِ عن موضوعٍ من أهمِّ المواضيعِ التي نُعاني منها في هذا الزمان، ونحتاج إلى معرفته كي نحذر منه، ونجتنب أسبابه ودواعيه، لأن هذا الموضوع يتحدث عن مرض مزمن في القلوب، وقد فشى في الناس عموماً، فلا يكاد يسلم منه إلا من عصمه الله، وهذا المرض هو السبب الداعي إلى كثير من الأمراض والعلل، سواء كانت من الأمراض التي تتعلق بالقلب أو باللسان أو بالأعضاء الأخرى، هذا الداء العضال، هو الإعراض عن الله تعالى، فقد يكون الإنسانُ مصاباً بهذا الداء الخطير وهو لا يشعر، أو يظن أنه ناج منه، ولكن هو في الحقيقة مصابٌ به إصابةً شديدة، وإنما يسول له الشيطان، ويمنيه الهوى أنه بعيدٌ عنه، وهو مرتطم فيه جداً.

فالإعراضُ عن الله تعالى أصلُ كلِّ بلاء، وأساسُ كل شقاء، فالضلالُ يَمُرُّ من خلاله، والغوايةُ تأتي عبر طريقه، فالإعراضُ عادةُ الكافرين والفاسقين، وخُلُقٌ من أخلاق المنافقين.

الإعراضُ عن الله إذا عشعش في القلب وخيّمَ فيه، أفسد على العبد دنياه، وأوبقه في آخرته.

أيها المؤمنون: إنّ الإعراضَ عن الله تعالى له مراتبٌ، فقد يكون الإعراضُ بالبعد عن دين الله، أو بالاعتراضِ على أحكام الله، أو بالإستنكاف والإستكبار عن الشريعة الإلهية، أو بالبعد عن هدي القرآن، أو بالصدود عن الناصحين الواعظين بالقرآن.

وقد ذكر الله تعالى هذا المرض في آيات كثيرة من القرآن، وسماه بأسماء متعددة، فسماه إعراضاً في قوله تعالى **{فَإِنْ أَعْرَضُوْا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيْظاً}**، وَيُسَمَّى الْإِعْرَاضُ تُوَلِّيَاً، كما قال تعالى **{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِيْنُ}**، وَيُسَمَّى صُدُوْداً، كما قال تعالى **{رَأَيْتَ الْمُنَافِقِيْنَ يَصُدُّوْنَ عَنْكَ صُدُوْداً}**، وَيُسَمَّى أُفُوْكَاً كما قال تعالى **{يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ}**، وَيُسَمَّى إِدْبَاراً كما قال تعالى **{ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ}**، وَالْقُرْآنُ مَلِيْءٌ بِالْإِخْبَارِ عَنْ الْمُعْرِضِيْنَ وَأَحْوَالِهِمْ وَأَوْصَافِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَعَاقِبَتِهِمْ.

فَالْإِعْرَاضُ: هو صرف الوجه عن الشيء كراهة له، وأما هنا فهو تركُ التطبيقِ والعملِ ببعضِ أَجْزَاءٍ مِنَ الْشَّرِيْعَةِ، لأنها لَا تُوَافِقُ هَوَى فردٍ أو جَمَاعَةٍ، فَيُعْرِضُ عَنْ حُكْمٍ لَا يُرِيْدُهُ، وَيَرُدُّ مَا فِيْهِ مِنْ الْأَدِلَّةِ إِمَّا رَدّاً مُبَاشِراً، وَإِمَّا بِتَأْوِيْلِهَا وَتَحْرِيْفِ مَعَانِيْهَا، وَإِمَّا بِضَرْبِ مُحْكَمِهَا بِمُتَشَابِهِهَا، وإما بالإستهزاءِ والإستهتارِ بها.

وَأَكْثَرُ الْمُعْرِضِيْنَ يعرضون عَنْ الله تَعَالَىْ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، فيُكَذِّبُوْنَ بِآيَاتِ الله تَعَالَىْ وَيُعْرِضُوْنَ عَنِ دِيْنِهِ، كما قال تعالى **{وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوْا عَنْهَا مُعْرِضِيْنَ * فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ}**، وكما قال تعالى **{وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوْا عَنْهَا مُعْرِضِيْنَ}**، وقال تعالى **{بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُوْنَ}**، وَيَتَكَرَّرُ مِنْهُمْ الْإِعْرَاضُ مَعَ كُلِّ آيَةٍ قُرْآنِيَّةٍ يُوْعَظُونَ بِهَا كما قال الله تعالى **{وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ}**.

وقد أزال اللهُ عذرَهم، بإقامةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؛ فالْخَلَلُ فِيْهِمْ حين لم يقبلوا ما جَاءَ عن اللهِ بكُلِّ رضى وانقياد، وَفِيْ أَسْمَاعِهِمْ حيث لَمْ تَسْتَمِعْ لآيَاتِهِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَفِي أَبْصَارِهِمْ حِيْنَ لَمْ تُبْصِرْ أَعْيُنُهُمْ آيَاتِ الله تَعَالَىْ الْكَوْنِيَّةِ، وَفِي عُقُوْلِهِمْ إذ لَمْ تُذْعِنْ قُلُوْبُهُمْ للهُ بِالْعُبُوْدِيَّةِ، **{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ}**.

وَقَدْ يَقَعُ الْإِعْرَاضُ مِنْ الْعَبْدِ بَعْدَ الْإِيْمَانِ وَالْإِذْعَانِ وَالْعِلْمِ بِالله، وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُوْنُ قُبْحَاً، وَأَعْظَمُ مَا يَكُوْنُ كُفْرَاً؛ إِذْ كَيْفَ يَسْتَبِيْنُ الْحَقُّ لِلْعَبْدِ، وَيَذُوْقُ حَلَاوَةَ الْإِيْمَانِ، ثُمَّ يُفَارِقُهُ إِلَىٰ ظُلُمَاتِ الْبَاطِلِ وَالْكُفْرِ وَالْنِّفَاقِ.

أيها المؤمنون: إن للإعراضاً أنواعاً وأقساماً، تختلف بحسب اختلاف المعرضين:

فالقسمُ الأولُ: هم الذين جهلوا الحقَّ فأعرضوا عنه، فجهلُهُم بالحق سببُ إعراضهم عنه، قال الله تعالى **{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ}**، ويكونُ هذا بالقلبِ واللسانِ، كالإعراض عَنْ مَعْرِفَةِ الله تَعَالَىْ، وَالنَّظَرِ فِيْ آيَاتِهِ الْكَوْنِيَّةِ أَوْ سَمَاعِ آيَاتِهِ، وهذا حَالُ أكثر الْكُفَّارِ، والبعضُ مِنْهُمْ قد يَعْلَمُ آيَاتِ الله تَعَالَىْ فَيُعْرِضُ مَعَ عِلْمِهِ بِهَا، وَهَذَا هُوَ الْجُحُوْدُ الَّذِيْ أخبرَ اللهُ تَعَالَىْ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: **{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}**.

والقسم الثاني: الذين عرفوا الحقّ، ثم فارقوه، وهم يدركون أَنَّهُمْ قد خرجوا من الحَقِّ إِلَى البَاطِلِ، وَمن الهُدَى إِلَى الضَّلاَلِ، وَهم يتعللون بأنهم لاَ يَسْتَطِيعُونَ اتِّبَاعَ الحَقِّ، بسبب الخِذْلاَنِ الَّذِي جعله الله عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى إِعْرَاضِهِمْ، كما قال تعالى **{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ}**.

والقسم الثالث: الذين عرفوا الحق، لكنَّ قبولهم له وردهم له يكون بحسب المصلحة والهوى، وهذه خصلةٌ من خصال المنافقين، قال الله عن أهلها **{وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ، وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ، أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}**، فتراه يُظْهِرُ الْقَبُوْلَ لِدِيْنِ الله تَعَالَىْ وللحقِّ بِلِسَانِهِ لَكِنَّهُ يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ بِقَلْبِهِ، وَيُعْرَفُ ذَلِكَ فِيْ تَصَرُّفَاتِهِ وَلَحْنِ قَوْلِهِ، وَهَذَا حَالُ الْمُنَافِقِيْنَ قَدِيْمَاً وَحَدِيْثَاً، وَكُلَّمَا كَثُرَ اعْتِرَاضُ الْشَّخْصِ عَلَى أَحْكَامِ الْشَّرِيعَةِ وِرَدِّهَا وَتَأْوِيْلِهَا كَانَ ذَلِكَ دَلِيْلاً عَلَىَ مَرَضِ قَلْبِهِ بِالْنِّفَاقِ؛ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىْ عَنْ الْمُنَافِقِيْنَ فِيْ الْعَهْدِ الْنَّبَوِيِّ وَمَيَّزَهُمْ بِكَثْرَةِ اعْتِرَاضَاتِهِمْ عَلَى أَحْكَامِهِ سُبْحَانَهُ وَأَحْكَامِ رَسُوْلِهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هذا القسم: أن يُذْعِنُ الرجلُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ لِلشَرِيْعَةِ وللحقِّ؛ لَكِنَّهُ يَعْتَرِضُ عَلَىَ بَعْضِهَا إِمَّا جَهْلاً، أَوْ لِهَوَىً فِيْ نَفْسِهِ، أَوْ تَقْلِيْدَاً لِأَهْلِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى، أو يخرجهُ تعصبُه عن القبول، وَهَذَا عَلَى خَطَرٍ عَظِيْمٍ أَنْ يُصَابَ بِفِتْنَةٍ أَوْ عَذَابٍ عَاجِلٍ؛ كما قال الله تَعَالَىْ: **{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**.

والقسم الرابع: الذين يعرفون الحقّ، ولكن في وقت الشدة والبلاء فقط، أما في وقت النعمة والرخاء فغافلون معرضون، قال الله حاكياً عن أهل هذا الصنف **{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ}**.

والقسم الخامس: الإعراض الذي يقع مِنَ أكثر النَّاسِ، وهو الإعراض عَنِ الْمَوَاعِظِ وَالتَّذْكِيْرِ، وَالإشْمِئزاز مِنْهَا، ومن الاسْتِمَاعَ إِلَيْهَا، وَهَذَا الإعراض فِيْهِ تشبُّهٌ بِالْمُشْرِكِيْنَ وَالْمُنَافِقِيْنَ، وَيُخْشَى عَلَى صاحبه مِنْ سُوْءِ الْعَاقِبَةِ، وَشُؤْمِ الْخَاتِمَةِ، فَقَدْ وَصَفَ اللهُ تَعَالَىْ الْمُشْرِكِيْنَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ **{وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}**، وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ يَفِرُّوْنَ مِنَ الْمَوَاعِظِ كفِرَارِ الْحُمُرِ الْوَحْشِيَّةِ مِنْ رُمَاتِهَا الذين يصطادونها، أَوْ كفرارها مِنَ الْأُسْدِ الهاجم عليها لِئَلَّا تَفْتَرِسَهَا، كما قال تعالى **{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ}**.

وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْمَوَاعِظِ وَالتَّذْكِيْرِ بِكَلَامِ اللهِ تَعَالَىْ وَكَلَامِ رَسُوْلِهِ صلى الله عليه وآله وسلم سَبَبٌ لِإِعْرَاضِ اللهِ تَعَالَىْ عَنِ الْعَبْدِ؛ كَمَا روي أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِيْ الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَىَ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِيْ الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيْهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِباً، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَىَ إِلَىَ اللهِ فَآوَاهُ اللهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ)).

جعلني وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، **بسم الله الرحمن الرحيم { فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى، وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}**.

بارك الله العظيم لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من البيان، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لانهاية له ولا انقطاع.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة صادرةً عن محض اليقين.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله المبعوث الأمين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: قد يتقلب المرء في ظلمات الإعراض وهو لا يشعر، فتراه يعارض النصوص القرآنية ولا يذعن لها؛ اتباعاً لهواه، ثم يجادل بالباطل ليرد به الحق، فهو واقع في مصيدة الإعراض، وهذا هو الضلال بعينه، قال تعالى **{فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}**.

المعرضون عن الله عليهم أن يفتشوا عن صدورهم، فربما قد فسدت قلوبهم وارتكسوا في الآثام وهم لا يشعرون، ربما انغمسوا في النفاق وتنقلوا بين شُعَبه وهم لا يدركون.

فكم من أقوام أعرضوا عن شريعة الله فكانوا بها من الجاهلين، فأصبحت أوامرُ الدين وتشريعاتُه غريبةً عليهم، فسبب لهم ذلك إلى الطعن في الدين، والاستهزاء بالشرع.

وكم من أُناس أعرضوا عن دين الله وتعلم العلم والعقيدة، فقادهم ذلك إلى الإلحاد في ذات الله وصفاته، والتهكم بعقيدة أهل الحق في ذلك.

أيها المؤمنون: إنَّ بِدَايَاتِ الضلال والإلحاد هو الإعراض عَنْ بَعْضِ أَحْكَامِ اللهِ تَعَالَى، ثم يتَطَوَّرُ إِلَى الاعْتِرَاضِ عَلَيْهَا، ثَمَّ إلى رَدِّهَا، إِلَى أَنْ يَصِلَ الإِعْرَاضُ إِلَى الزَّيْغِ وَالضَّلالِ، وَالاسْتِهَانَةِ بِاللهِ تَعَالَى، وَرَفْضِ دينه؛ **{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}**، **{فِي قُلُوبِهِم مَّرَض فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً}**، وقد توعد الله تعالى المعرضين بعقوبات دنيوية وأخروية، فمن أعظم العقوبات الدنيوية التي تصيب أهل الإعراض عن الله تعالى:

أولاً: أن يطمس اللهُ على قلوبهم فلا تعي الذكر، ولا تبصر الحق، ولا تستمع إلى الهدى، فهم يرتكسون في الكفر، وينغمسون في النفاق والاستكبار، ويجادلون بالباطل، وفي هذا يقول الله تعالى**{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى**

قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَداً}، كل ذلك عقوبةٌ من الله تعالى لهم على إعراضهم عنه.

ثانياً: توعد بالإنتقام منهم، كما قال تعالى (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ}**، وَانْتِقَامُهُ سُبْحَانَهُ مِنْهُمْ يَكُونُ فِي الدُّنْيَا بِمَا يُصِيبُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَيَكُونُ فِي الآخِرَةِ بِالعَذَابِ الشَّدِيدِ؛ **{وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ}**.

ثالثاً: من عقوبة الله تعالى للمعرضين عنه أنه يُعرض عنهم عقوبة لهم، ويكلهم إلى أنفسهم الأمارة بالسوء، فتزين لهم سوء أعمالهم، فيظنونه حسنًا وهو قبيح وسيء، فتزداد ضلالًا وإعراضاً، كما قال تعالى **{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}**، ومعنى نوله ما تولى، أي: نتركه وشأنه لعدم الإهتمام به.

رابعاً: من عقوبة المعرضين العاجلة في الدنيا ما يجدونه في صدورهم من الضيق والضنك الذي يجعل عيشهم مرّاً، ولو كانوا في الظاهر منعمين، كما قال تعالى **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى}**.

فكم نرى من صدود المعرضين عن التذكير، ونفورهم عن مواعظ القرآن الكريم، وضيق صدورهم حين يُذَكَّرون بآياته، فلا يطيقون ذلك ولا يتحملونه، ولا يعون ما فيه ولا يفقهونه، ويعترضون عليه بكلام الخلق، ويسارعون الخروج والهروب كي لا يستمعوه.

فمن أعظم أسباب الهموم والغموم: الإعراض عن الله عز وجل، والإقبال على الدنيا، فَمَا فِي الدنيا أَشْقَى مِنْ المعرض عن الله، وَلَا أَكْسَفُ بَالًا، وَلَا أَنْكَدُ عَيْشاً، وَلَا أَتْعَبُ قَلْباً.

وأما العقوبات الأخروية التي أعدها الله تعالى للمعرضين، فهي الشقاء والنكال، والحسرة والوبال، والخلود في العذاب الدائم المقيم، فالمعرض يحمل يوم القيامة وزر إعراضه، وإثم توليه وإدباره، كما قال تعالى **{وَقَدْ آَتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا *مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا * خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا}**، وَالذِّكْرُ هُوَ القُرْآنُ، فَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَقَدْ أَعْرَضَ عَنِ اللهِ تَعَالَى.

فعليك أخي المؤمن: أن تتخيل يوم القيامة الحالة التي أخبر الله تعالى أنه يحشر المعرضين عليها، في قوله تعالى **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى}**، يسلبه اللهُ عينيه في عرصات القيامة فلا يرى أمامه، كيف يسير؟ كل الخلائق ترى وهو لا يرى، فيقول: رب لم حشرتني أعمى؟ كيف أسير؟ كيف أرى كتابي؟ كيف أرى ميزاني؟ كيف أرى صحفي؟ كيف أهتدي إلى طريقي؟ فيجيبه الله تعالى **{قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى}**، كما قال تعالى: **{وَمَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاء مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}**، تجره الزبانية على وجهه، وتكبه على منخره، وهو يسمع شهيق النار، وصراخ المعذبين، ولا يرى شيئاً، لا يرى أمامه ولا خلفه ولا فوقه ولا تحته، ثم يلقى في النار على وجهه، قالوا: يا رسول الله! كيف يمشون على وجوههم؟ قال صلى الله عليه وآله: ((إن الذي أمشاهم على أرجلهم لقادر أن يُمَشِّيَهم على وجوههم)).

أيها المؤمنون: إن المعرضين عن الله تعالى فيهم كفار ومنافقون، وفيهم دعاة إلى سلوكهم في الإعراض، والكافر قد يلقي الشبهة على المؤمن ليصده عن السبيل، ويزين له الإعراض عن الدين، والمنافق في ذلك أخطر من الكافر؛ لأنه متلبس بالإسلام ظاهراً، ويتكلم بلسان المؤمنين، ويظهر النصح لهم، وهو يهدم دينهم من داخله، فكان الإعراض عن أهل الإعراض من الكفار والمنافقين هو العلاج الأنجح لحماية المؤمنين من فتنة الإعراض عن دين الله تعالى، وفتنة الاعتراض على حكمته وشريعته.

فقد بين الله طريقة التعامل مع المعرضين؛ لئلا يجرفَ المعرضون غيرهم إلى إعراضهم، فيصدوهم عن الحق، ويزينوا لهم الباطل.

ورأس الأمر الرباني في التعامل مع المعرضين هو الإعراض عنهم، كما قال الله تعالى **{فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الحَيَاةَ الدُّنْيَا}**، أي: لا تأس عليهم إذ لم يهتدوا؛ لأن

بعض الناس في دعوته الكفار إلى الإيمان قد يتنازل عن شيء من الشريعة يعلم أن الكفار لا يريدونه؛ وذلك لترغيبهم في الإيمان، أو يكتم عنهم شيئاً لا يقبلونه حين يسألونه عنه، فينكره أو يتأوله خوفا من إعراضهم عن الإسلام بسببه، فيتنازل عن بعض المبادئ لأجل الآخرين، وهذا مزلق خطير، وقع فيه بعض من يدعون إلى الإسلام، فأرادوا أن يستدركوا على الله عز وجل، فحرفوا شريعته.

والتوجيه الرباني واضح كل الوضوح في وجوب الإعراض عمن أعرض عن دين الله تعالى، وليس مساومته على شيء من الشريعة ليقبلها. فمن تولى عن ذكر الله تعالى، وجب الإعراض عنه بنص الكتاب؛ وذلك أن مهمة الداعية إلى الحق هي البلاغ لا الهداية، فمن تولى عن سماع البلاغ أو قبوله فلا حيلة فيه، كما قال الله تعالى **{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ}**، وقوله تعالى **{فإن أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ}**، وقوله تعالى **{فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُون}**.

وأما الإعراض عن المنافقين فجاء في آيات كثيرة؛ لأن خطر المنافق أعظم من خطر الكافر **{سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون}**، فبين سبحانه سبب الإعراض عنهم بأنهم رجس، فما يفوهون به من النفاق هو رجس وقذر تقذف به أفواههم، فينبغي للمؤمن أن يتنزه عنه، ويتباعد عن مواطنه، لئلا يتنجس بقذر قولهم، لأن المنافقين يظهرون النصح للمؤمنين، لكنهم في الحقيقة خدام لأعدائهم؛ ولذا وجب الإعراض عن قولهم، وعدم أخذ نصيحتهم، ولا اتخاذهم بطانة؛ لأنهم أهل غش وخيانة، فإذا أعرض المؤمنون عنهم، وتوكلوا على الله تعالى لم يضرهم المنافقون شيئاً مهما بلغ كيدهم، وعظم مكرهم، كما قال تعالى: **{وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً}**.

فإذا خاض المعرضون عن الله تعالى في شريعته الغراء بالسخرية منها، أو من أحكامها، أو حملتها ودعاتها، أو حاولوا تأويلها أو تبديلها أو ردها؛ وجب على أهل الإيمان الإعراض عنهم، ومجانبة مجالسهم، ومفارقة تجمعاتهم؛ لئلا يهان دين الله تعالى وهم حضور فتحل السخطة

عليهم، كما قال تعالى **{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}**، فأمر الله تعالى بالإعراض عمن يخوضون في آيات الله تعالى.

وأكد الله تعالى هذا الأمر في آية أخرى مذكراً بهذه الآية: **{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً}**، فجعل سبحانه من حضر تلك المجالس التي يسخر فيها بدينه، ويخاض في آياته مثل الساخر سواء بسواء: **{إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً}**، وسواء كان الخوض في آيات الله تعالى، والسخرية بدينه في مجلة أو صحيفة أو كتاب فإنه يجب على المؤمن عدم اقتنائها، ولا مطالعتها، بل مقاطعتها، وإن كانت في إذاعة أو فضائية وجب عليه عدم مشاهدتها ولا الاستماع إليها، وإن كانت في مجلس أعرض عن ذلك المجلس وفارق أهله، وهذه هي حقيقة الإعراض عن المعرضين عن دين الله تعالى، المأمور به في كتابه العزيز؛ لئلا يتلوث الحاضر أو السامع أو القارئ بشيء من قذر المنافقين ورجسهم فيلوث قلبه.

وإذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبه الوقيعة في أولياء الله، لأن أولياء الله لا يقبلون السخرية والإستهزاء والإعراض عن الله تعالى وعن ذكره، فيضطر المعرضون إلى التعريض والإتهام لأولياء الله تعالى، وهذا ديدنُ وطريقةُ أعداءِ الحق والدين، فإن من عادى شيئاً أو أعرض عنه عادى حملتَه والدعاةَ إليه، فإن المشركين والكفار لما أعرضوا عن الدين والهدى عادَوا الأنبياء ووقعوا فيهم وآذوهم.

فلنحذر كل الحذر من هذا الداء العضال، الذي قد استفحل في القلوب، وعلينا أن نجلوا صدأ الإعراض بالرغبة في الدين والذكر، وأن نعود أنفسنا كيف نتقرب إلى الله تعالى.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من أهل القلوب الواعية، التي تعرف المعروف فتتبعه، وتنكر المنكر فتجتنبه.

١١- حول الكبر

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ، وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمًى وَ حَرَماً عَلَى غَيْرِهِ، وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ، وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ، نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً، وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ، صَدَعَ بِالْحَقِّ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المؤمنون:

من الصفات التي اتصف الله تعالى بها، وانفرد بالإختصاص بها تسمية ووصفاً، فلا يسمى بها غير الله، ولا يوصف بها سوى الله، هي المتكبر والمتعال، فهو تعالى ذو العظمة والعلو والكبرياء، فمن نازع الله في هذه الصفات قصمه وأذله وخذله، كما روي في الحديث القدسي عن الله تعالى: ((الكبرياءُ ردائي والعظمةُ إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيتُه في النار ولا أبالي))، فالكبرياء والعظمة صفتان لله تعالى لا يشاركه فيهما مشارك، ولا يجوز لأحد من المخلوقين أن يتعاطاهما، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل والعبودية، فقد حرم الله تعالى الكبر والتعالي وكلَّ ما يدعو إليهما من التجبر والطغيان.

فالكبر معصية كبيرة من أكبر الكبائر توقع العبد في مصيدة الكفر أو المعصية والمخالفة لله تعالى، فقد وقع في تلك المصيدة كثير من المكلفين، والأمم الماضين، فأول من وقع في تلك الشباك هو الشيطان، الذي تكبر عن السجود لآدم عليه السلام، حين اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ **{إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ}**، اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ، فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ

التَّذَلُّلِ، أَلا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكَبُّرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الآخِرَةِ سَعِيراً.

ثم سلك تلك الطريق، ووقع في شباك ذلك المضيق الأمم الكافرة، والقرون الماضية، أولهم قوم نوح عليه السلام كما حكى الله عنهم على لسان نبيه نوح عليه السلام **{وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا}**، وقال تعالى حاكياً عن قوم شعيب **{قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ}**، وقال تعالى حاكياً عن قوم صالح **{قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ}**، وقال تعالى حاكياً عن أكبر المتكبرين، الذي ملئ الأرض طغياناً وتكبراً، وارتقى به الحال إلى أن ادعى الربوبية والألوهية من دون الله **{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ}**، وتبعهم على هذا النهج كفار قريش حين أمروا بالسجود لله فقالوا: **{وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا}**، وكم حكى الله تعالى عن تكبر أقوام على خلق الله فكان مصيرهم إلى الهلاك والبوار، كما قال تعالى **{وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}**.

فالكبر أيها المؤمنون: مهلكةٌ وأيُّ مهلكة، فالمتكبر يصرفه العزيز الجبار عن تدبر آياته يقول تعالى: **{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ}**، المتكبر يختم الله على قلبه فلا يميز بين الحق والباطل، كما قال تعالى: **{كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ}**، فالكبر من أخلاق الكفار والفراعنة، وليس من أخلاق

الأنبياء والصالحين، لأن الله تعالى يقول في وصف الكفار بالكبر **{إِنَّهُمْ كَانُواْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ}**، وقال تعالى: **{إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ}**، وقال تعالى **{فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ}**.

أيها المؤمنون: الكبر مرض في القلب، وإحساس بالعظمة في النفس، تظهر علاماته على الجوارح، وتنعكس صورته في المعاملات، الكبر خُلقٌ يُزَيِّنُه الشيطانُ لضعفاءِ النفوس ومرضى القلوب، فينفُخُ فيهم حتى ينتفخ أحدهم ويرتفع كالبالون، فيحسب أنه على شيء، فتتلاعب به الأهواء، ويكون عرضة للسقوط والتلاشي في أي لحظة، هذا الخُلُقُ وهذا المرضُ فسره لنا خيرُ البرية صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله بقوله: ((الكِبرُ بَطَرُ الحقِ وغَمطُ الخَلْقِ))، فالمتكبر يردُّ الحقَّ ويرفُضه ولا يقبله مهما كان مصدرُه، وسواء كان على يدي الصغير أو الكبير أو الجليل أو الحقير، ويرى من نفسه أنه الأعلى، فهو يغمط الناس: أي يستحقرهم ويستهين بهم، وينظر إليهم نظرة احتقار وازدراء.

الكبر درجات بعضها أشد من بعض: فأعظم درجاته الكبر على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والكبر عن قبول الحق، وهذا من أشد درجات الكبر التي توصل المتكبر إلى الكفر.

ومن الكبر: أن يتكبر على شريعة الله وأحكامه، فيعترض على التشريعات الإلهية ولا يقبلها، ويجادل ويخاصم، فتأتيه بالآية والحديث الدالة على خطأه، فيرفض الرجوع إلى الصواب أنفة وتكبراً، وقد يتحجج بالظروف وتغير الزمان وحالاته، كما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلاً يأكل بشماله فقال له: ((كل بيمينك)) فقال الرجل – تكبراً–: لا أستطيع، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم ((لا استطعت)) فَشُلَّتْ يَمِينُ الرجل، فهلا انتهى أقوامٌ عن الكبر على شريعة الله من قبل أن تحل بهم عقوبة من العزيز الجبار.

ومن الكبر: أن يتكبر عن إنصاف خصمه عند طلبه إياه في شيء من الأمور المتنازع عليها في الأمور الدنيوية، فتراه يعرض عن القبول، ويرفض الرد والإجابة، على خصمه، لأنه يراه أقل منه قدراً، أو أصغر منه شأناً، كأن يكون المطالِب صغيراً أو فقيراً أو امرأة، والمطالَب كبيراً أو غنياً أو

وجيهاً، فهو يستكبر عن مواجهة خصمه، كما قال الله تعالى **{وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ، وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ، أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}**، فجعل الله ذلك مقياساً للمطيعين من المستكبرين.

غفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}**، أستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يَخفِرُ من انتصر بذمته، ولا يَقْهَرُ من استتر بعظمته، ولا يُكدِي مَن أذاعَ شكر نعمته، ولا يَهلَكُ من تغمده برحمته.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، فرداً صمداً، ليس له ند ولا شبيه.

ونشهد أن محمداً عبدُه المصطفى، ورسولُه المجتبى، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الهداة.

أما بعد: أيها المؤمنون: ومن أنواع الكبر: أن يتكبر العبد بما خوله الله وأنعم به عليه من نعمه، فهو يتبختر ويتكبر ويتعالى بما قسمه الله له ووهبه له، يتكبر بنعمة من نعم الله أتاه الله إياها، فهو يتكبر إما لسعة في المال، أو حصوله على منصب وجاه، وينسى أن الله هو الذي أعطاه وهو قادر على صرف ذلك عنه، ألا يتذكر ذلك المتكبر بنعمة الله أن أوّلَه نطفةٌ مذرة، وآخرَه جيفةٌ قذرة، وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة.

يا مظهرَ الكبرِ إعجاباً بصورته ... انظر خلاك فإنَّ النتنَ تَثرِيبُ

لو فكّر الناسُ فيما في بطونِهِمُ ... ما استشعرَ الكِبْرَ شُبَّانٌ ولا شِيبُ

هل في ابنِ آدمَ مثلُ الرأسِ مَكرُمَةٌ ... وهو بخمسٍ من الأقذارِ مضروبُ

أنفٌ يسيلُ وأذنٌ ريحها سَهَكٌ ... والعينُ مُرفَظَّةٌ والثَّغْرُ ملعُوبُ

يا ابنَ الترابِ ومأكولَ الترابِ غداً ... أَقصِرْ فإنَّك مأكولٌ ومشرُوبُ

ومن أشد المتكبرين مقتاً وهواناً على الله: نوع لم يُؤتَوا من أسباب الكبر شيئاً، ومع ذلك تأبى نفوسهم المريضة إلا الكبر، وهو الفقير المتكبر، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القيامةِ ولا يُزكيهم ولا ينظرُ إليهم ولهم عذابٌ أليم، وذكرَ منهم: وعائلٌ (أي فقير) مستكبر)).

وقد ذم الله تعالى المتكبرين في القرآن الكريم في آيات كثيرة، وعلى لسان النبي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديث متعددة:

فقال تعالى **{كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ}**، وقال تعالى **{إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا**

كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيه}، وقال تعالى **{ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}**، وقال تعالى **{إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا}**.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر))، فقال رجل: يا رسول الله: إني أحب أن يكون ثوبي غسيلاً، ورأسي دهيناً، وشراك نعلي جديداً، أذلك من الكبر يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((ذلك من الجمال، إن الله جميل يحب الجمال الكبر: بطر الحق وغمط الناس))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((أول ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلط، وغني لا يؤدي الزكاة، وفقير فخور))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر))، العتل: هو الغليظ الجافي، والجواظ: هو الذي يمنع النصفة من نفسه، والمستكبر: معروف، فهذه صفة أهل النار.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((بينما رجل يمشي في حُلة تعجبه نفسه، مرجل رأسه، يختال في مشيته إذ خسف الله به، فهو يتجلجل – أي يغوص وينزل – في الأرض إلى يوم القيامة)).

ومن هوان المتكبرين على الله، أنه يجعل لهم يوم القيامة حالة من الذل والهوان يعرفون بها بين أهل المحشر، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((يُحشرُ المتكبرونَ على أمثالِ الذّرّ (أي صغار النمل) في صُورِ الرجالِ يغْشاهمُ الذّلُ من كلِ مكان، يساقونَ إلى سَجنٍ في جهنمَ يُقالُ له بُولَسٌ، تعلوهم نار الأنيار يُسقونَ مِنْ عُصارَةِ أهلِ النارِ، طينةُ الخبال)).

وقد أعد الله للمتكبرين عذاباً أليماً، ومثوى في جهنم مقيماً، فقال تعالى **{أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ}**، وقال تعالى **{قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ}**، وجعل الجنة محرمة عليهم، كما قال تعالى **{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ، لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ}**، وجعل الدار الآخرة والجنة الفاخرة للمتواضعين، فقال تعالى **{تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى ٱلأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَٱلْعَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}**.

الثاني عشر:

الخطب المتعلقة بالفضائل والخصال الحميدة ومكارم الأخلاق

١٢- خطبة حول العلم وفضله

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، نحمده على جزيل النعم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الأولوهية والقدم، إلهاً واحداً، فرداً صمداً.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ إلى آخر الأمم، أفضلُ من عَلِمَ وعَلَّم، صلى الله عليه وعلى آله سادات الأمم، وأصحابه المتأدبين بآدابه وشرف وسلم وكرم.

أما بعد: أيها المؤمنون:

الإنسان يبحث عن الكمال، ومحامد الخصال، ولكن كمالَ الإنسان لا يكون إلا بالعلم، الذي يضاهي به ملائكةَ السماء، ويستحقُّ به رفيعَ الدرجات في العُقْبَى، مع جميل الثناء في الدنيا، ويتفضلُ مدادُه على دماءِ الشهداء، وتضعُ الملائكةُ أجنحتها تحت رجليه إذا مشى، ويستغفرُ له الطيرُ في الهواء، والحيتانُ في الماء، ويَفْضُلُ نومُ ليلة من لياليه على عبادة العابد سبعين سنة، وناهيك بذلك جلالة وعظماً.

فقد امتن الله تعالى على الإنسان بالعلم وجعله من أكبر النعم وأجلها، بل ذكرها الله تعالى وامتن بها على الإنسان بعد نعمة الخلق والإيجاد، فقال تعالى: **{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ ورَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ}**.

فقد افتتح الله كتابه الكريم المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، بنعمة الإيجاد للإنسان، ثم أردفها بنعمة العلم، فلو كان هناك مِنَّةٌ أعظم من العلم، أو توجد نعمة، بعد نعمة الإيجاد هي أعلى من العلم، لذكرها الله تعالى بدلاً عن العلم، فنعمة الإيجاد هي الأولى، وبعدها نعمة العلم، إذ لا فرق بين الإنسان وبين سائر الموجودات من الجمادات والحيوانات إلا بالعلم.

فقد ذكر الله تعالى في هذه السورة الكريمة أولَ حالٍ للإنسان وهي كونه علقة مع أنها أخس الأشياء، وآخر حالةٍ وهي صيرورته عالماً وهو أجل المراتب، فكأنه تعالى قال كنتَ في أول حالك في تلك الدرجة التي هي في نهاية الدناءة وغاية الخساسة، فصرت في آخر حالك في هذه الدرجة

التي هي الغاية في الشرف والنفاسة، وهذا حيث علمه بالقلم، وعلمه ما لم يعلم، بأن جعله قابلاً للتعلم، مؤهلاً للفهم، وهذا دليل واضح على أن العلمَ أشرفُ المراتب، وأعلى المناقب، إذ لو كان غيره أشرف لذكره الله تعالى وامتن به.

ومن فضل العلم: أن الله سبحانه قرن أولي العلم بنفسه وملائكته فقال: **{شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ والْمَلائِكَةُ وأُولُوا الْعِلْمِ}**، وزاد في إكرامهم على ذلك مع الاقتران المذكور بقوله تعالى **{وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلّا اللّهُ والرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}**، وبقوله تعالى **{قُلْ كَفى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وبَيْنَكُمْ ومَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ}**، وقال تعالى **{يَرْفَعِ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجات}**، **وقد خص الله سبحانه في كتابه العلماء بخمس مناقب:**

الأولى: الإيمان: قال تعالى: **{والرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ}**.

الثانية: التوحيد والمعرفة لله: قال تعالى: **{شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ والْمَلائِكَةُ وأُولُوا الْعِلْمِ}**.

الثالثة والرابعة: البكاء والحزن والخشوع: **{إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً، وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا}**.

الخامسة: الخشية لله تعالى: قال تعالى: **{إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ}**.

وقال تعالى مخاطباً لنبيه – مع ما آتاه من الله العلم والحكمة، أمره أن يطلب الإزدياد من العلم، فقال تعالى **{وقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً}**.

ومن فضل العلم: أن حملته مخصوصون بما لم يختص به غيرهم من اليقين والبيان والإطمئنان إلى الهدى، والمعرفة لكثير مما أراده الله تعالى في كتابه من المعاني والمقاصد، كما قال تعالى: **{بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}**، وقال تعالى: **{وتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ}**.

وقد رغب الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في هذه المرتبة العالية، والمنقبة السامية، في أحاديث كثيرة، نذكر منها بعضاً لعلها تكون دافعة لنا إلى الإهتمام بهذه التجارة

الرابحة، التي أصبحت أسواقُها في هذا الزمان كاسدة، وأحوالها عند أكثر الناس فاسدة، بل أصبح الناس يهتمون بأشياء لا تصلح إلا بالعلم، دون أن يهتموا بالأصل الذي هو العلم، ولقد راج الجهل عند الناس، وأصبح مألوفاً معتاداً عندهم وهو لا يشعرون، فرغم تطور الثقافات، وتنوع المعلومات، وتفاووت الحضارات، إلا أن الجهل الديني لا زال يسيطر على مشاعرنا، وتظهر ملامحه وعلاماته في جميع حالاتنا، وإن كنا نتظاهر بخلاف ذلك، فكم من صاحب منظر حسن، وصاحب سمت رائق، وصاحب لسان منطيق، ولكن هو كالبيضة الفاسدة، ظاهرها أبيض، وباطنها منتن، لو سألته عن أبسط مسائل الدين وأسهلها، في عباداته اليومية التي يتعبد اللهَ بها، أو في معاملاته اليومية التي يتعامل بين الناس بها، لوجدته عارياً عن لباس العلم، وإن تردى بلباس الزينة، خالياً عن ثقافة الدين، وإن امتلأ بثقافة العصر، بعيداً عن مجال الكتاب والسنة وقوانينها، وإن اقترب من القوانين العصرية وأحسن حفظها، وهذا أمر صعب وخطير على كافة المسلمين، حيث يهتمون بالأدنى، ويتركون الأهم الأعلى، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولنستمع إلى بعض الأحاديث الصحيحة الواردة في فضل العلم، والحث على التزود منه:

فعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: بابٌ من العلم نتعلَّمُه أحبُّ إلينا من ألفِ ركعةٍ تطوعاً، وقال سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((إذا جاء الموتُ طالبَ العلم وهو على هذه الحال مات شهيداً)).

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم ((من غدا إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو ليعلمه، كان له أجر معتمر تام العمرة، ومن راح إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو ليعلمه فله أجر حاج تام الحجة)).

وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن أحب الخلائق إلى الله عز وجل لشابٌ حديثُ السِّنِّ، في صورةٍ حسنةٍ جعلَ شبابَهُ وجمالَهُ في طاعة الله، ذلك الذي يباهي به اللهُ الملائكة يقول: هذا عبدي حقاً)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((من خرج يطلب باباً من العلم ليرد به باطلاً إلى حق، وضالاً إلى هدى كان عمله كعبادة أربعين عاماً)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلمين، فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف إلى باب العالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة، وبنى الله له بكل قدم مدينة في الجنة، ويمشي على الأرض وهي تستغفر له، ويمسي ويصبح مغفوراً له، وشهدت الملائكة أنهم عتقاء الله من النار)).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((من طلب العلم فهو كالصائم نهاره القائم ليله، وإن باباً من العلم يتعلمه الرجلُ خيرٌ له من أن يكون له أبو قُبيسٍ ذهباً فأنفقه في سبيل الله)).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام كان بينه وبين الأنبياء درجة واحدة في الجنة)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((فضل العالم على العابد سبعون درجة بين كل درجتين حضر الفرس سبعين عاماً، وذلك لأن الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم فيزيلها، والعابد يقبل على عبادته)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في الماء ليصلون على معلم الناس الخير)).

غفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}

أستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله نحمدُهُ ونستعينُه، ونؤمنُ به، ونتوكلُ عليه، حمداً يكون أرضى الحمد له، وأتم الحمد لديه.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، فرداً صمداً، ليس له ند ولا شبيه.

ونشهد أن محمداً عبدُه المصطفى، ورسولُه المجتبى، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الهداة.

أما بعد: أيها المؤمنون: العلم شيء عظيم لا يقاس به شيء من أمور الدنيا، لا يقاس به ملك ولا مال ولا سلطان، ولا جنود ولا أعوان، فهو الكنز الباقي الذي يبقى بعد فناء أهله، كما روي عن جعفرِ الصادق عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((طلبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم، فاطلبوا العلمَ في مَظَانِّه، واقتبسوه من أهله، فإنَّ تَعَلُّمَهُ لله تعالى حسنةٌ، وطلبَه عبادةٌ، والمذاكرةَ به تسبيحٌ، والعملَ به جهادٌ، وتعليمَه من لا يَعْلَمُهُ صدقةٌ، وبذلَهُ لأهله قربةٌ إلى الله تعالى، لأنه معالمُ الحلالِ والحرامِ، ومنارُ سبيلِ الجنة، والمؤْنِسُ في الوَحْشَة، والصاحبُ في الغربةِ والوحدة، والمحَدِّثُ في الخَلْوَة، والدليلُ على السراء والضراء، والسلاحُ على الأعداء، والزَّينُ عند الأخلاء، يرفعُ اللهُ به أقواماً فيجعلهم في الخير قادةً، تُقْتَبَسُ آثارُهم، ويُقتدَى بفعالِهم، ويُنْتَهَى إلى آرائهم، ترغبُ الملائكةُ في خُلَّتِهم – أي صحبتهم –، وبأجنحتها تمسَحُهم، وفي صلواتها تُبارِكُ عليهم، يستغفرُ لهم كلُّ رَطْبٍ ويَابس، حتى حيتانِ البحر وهوامِّه، وسباعِ البَرِّ وأنعامِه، إنَّ العلمَ حياةُ القلوب من الجهل، وضياءُ الأبصار من الظلمة، وقوةُ الأبدان من الضَّعفِ، يَبلُغُ بالعبد منازلَ الأخيار، ومجالسَ الأبرار، والدرجاتِ العلا في الآخرة والأولى، الذكرُ فيه يعدلُ بالصيام، ومدارستُه بالقيام، به يطاعُ الربُّ ويُعْبَدُ، وبه تُوصَلُ الأرحامُ، ويعرفُ الحلالُ والحرام، والعلمُ إمامٌ والعملُ تابِعُهُ، يُلْهَمُهُ السعداءُ، ويُحْرَمُهُ الأشقياء، فطوبى لمن لم يُحْرِمْهُ اللهُ من حَظِّه)).

وروي أن مما أوحى الله إلى عيسى عليه السلام في الإنجيل: ويل لمن سمع بالعلم ولم يطلبه، كيف يحشر مع الجهال إلى النار؟! اطلبوا العلم وتعلموه فإن العلم إن لم يُسْعِدْكُم لم يُشْقِكُم، وإن لم يَرفَعْكُم لم يَضَعْكُم، وإن لم يُغْنِكُم لم يُفْقِرْكُم، وإن لم يَنْفَعْكُم لم يَضُرَّكُم، ولا تقولوا نخافُ أنْ نعلَمَ فَلَا نَعْمَلُ، ولكن قولوا نرجو أن نعلَمَ ونعمَلَ، والعلمُ يشفعُ لصاحبه، وحقٌّ على الله أن لا يُخْزِيَه، إنَّ الله تعالى يقول يوم القيامة: يا معشرَ العلماءِ ما ظَنُّكم بربكم؟، فيقولون: ظننا أن يرحَمنا

ويغفرَ لنا، فيقول تعالى: فإني قد فعلت، إني قد استودعتُكُم حِكْمَتِي لا لشرٍّ أرَدْتُهُ بكم بل لخيرٍ أردته بكم، فادخلوا في صالح عبادي إلى جَنَّتِي برحمتي).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: (العلم أفضل من المال بسبعة:

الأول: أنه ميراث الأنبياء والمال ميراث الفراعنة، **الثاني:** العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص بها، **الثالث:** يحتاج المال إلى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه، **الرابع:** العلم يدخل في الكفن ويبقى المال، **الخامس:** المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا يحصل إلا للمؤمن.

السادس: جميع الناس يحتاجون إلى العالم في أمر دينهم ولا يحتاجون إلى صاحب المال.

السابع: العلم يقوي الرجل على المرور على الصراط والمال يمنعه).

وعن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه الباقر، عن جده زين العابدين، عن أبيه الحسين السبط عليهم السلام، قال: قال لي علي عليه السلام: قِوَامُ الدنيا بأربعة: بعالمٍ ناطقٍ بعلمِهِ عامِلٍ به، وبغنيٍ لا يبخلُ بفضلِ ماله على أهلِ دِيْن اللّه، وبفقيرٍ لا يبيعُ آخرتَه بدنياه، وبمتعلمٍ لا يستكبرُ عن طلبِ العِلْم.

فإذا بخلَ العالمُ بعلمه، وبخلَ الغنيُّ بفضلِ مالِهِ على أهلِ دينِ اللّهِ، وباعَ الفقيرُ آخرتَه بدنياه، واستكبرَ الجاهلُ عن طلب العِلْم، رجعت الدنيا إلى بدئِهَا، فلا تغرَّنَّكُم كثرةُ المساجِدِ، وأجسادٌ مختلفة، قيل: يا أمير المؤمنين، فما العيش في ذلك الزمان؟ قال: خالطوهم في الظاهر، وخالفوهم في الباطن، وتوقعوا فيما بين ذلك الفَرَجَ من اللّهِ عز وجل.

العِلْم زَيْنٌ وتشريفٌ لصاحبِهِ ... فاطْلُبْ هُديتَ فُنونَ العِلْمِ والأَدَبَا
لا خيرَ فيمن له أصلٌ بلا أَدَبٍ ... حتى يَكُونَ على ما زَانَهُ حَدِبَا
العِلْمُ كنزٌ وذُخرٌ لا نفادَ له ... نِعْمَ القرينُ إذا ما صَاحِبٌ صَحِبَا
قد يجمعُ المرءُ مالاً ثمَّ يُحْرَمُهُ ... عما قليلٍ فيلقى الذُّلَّ والحَرَبَا
وجامعُ العِلْمِ مغبوطٌ به أَبَدَاً ... ولا يُحَاذِرُ منه الفوتَ والسَّلَبَا
يا جامعَ العِلْمِ نعمَ الذُّخرُ تجمَعُهُ ... لا تَعْدِلَنَّ به دُرَّاً ولا ذَهَبَا

فالعلم كنز لا يساويه كنز في الدينا، وهو أنفع شيء في الدنيا، وهو ذخر يبقى بعد فناء الدنيا،

فعلينا بالعلم إن أؤدنا الفوز في الآخرة والأولى، ونسأل الله أن يفتح قلوبنا للعلم وتعلمه، والعمل به وتطبيقه، إنه على كل شيء قدير.

١٣- حول فضل أهل البيت عليهم السلام ووجوب اتباعهم

الخطبة الأولى

بسم الله الرحم الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي جعل التفضيل سنته الجارية بين خلقه أجمعين، من الأولين والآخرين، مِنَّةً منه تعالى للمفَضَّلين، وابتلاء منه جل جلاله للمفضولين، ليثيب المفضلين إن شكروا، ويعاقبهم إن تجبروا، ويثيب المفضولين إن صبروا، ويعاقبهم إن جحدوا وكفروا، الذي عم الأحياء بنعمتِه، واختص ما شاء برحمتِه، فالكل من بريته كامن في ظل إحسانه، وراتع في روض إنعامه وامتنانه، فالشكر واجب على الجميع، والناس بين عاص ومطيع.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً مقرونة بالإخلاص، مؤدية إلى النجاة والخلاص.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اختصه بالنبوة من بين جميع الأعارب، وأوجب تصديقه وطاعته على أهل المشارق والمغارب، والأباعد من خلقه والأقارب، فصدع بالرسالة، وأدى ما حمل من الأمانة، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الهداة الميامين، المطهرين من الأرجاس، المفضلين على كافة الناس، وجزاه الله عنا وعنهم أفضل ما جزى نبياً عن عترته، ورسولاً عن أمته.

أما بعد: أيها المؤمنون:

الإبتلاء والإختبار سنة من سنن الله تعالى الجارية بين عباده، يبتلي بها اللهُ عبادَه ليتبين الصادق في إيمانه من الكاذب، وليتميز المؤمن الذي يسلم لأحكام الله وأوامره ممن يعترض على أحكام الله ويتبع أهواءه وشهواته، كما قال تعالى {مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيْزَ الخَبِيْثَ مِنَ الْطَّيِّبِ}، وكما يقول تعالى {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرَاً أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}.

وقد ابتلى الله تعالى الأمم السابقة بابتلاءات متفاوتة، فمنهم من يتقبل الإبتلاء بكل رضى وتسليم فيكون من الناجين، ومنهم من يرفض ذلك ويعترض على أوامر الله ولا يسلم لها، فيكون من الهالكين.

فالإبتلاء أَعظمُ التكاليفِ على المكلفين، وسبب هلاك الأمم المستكبرين، فقد زلّت فيه أقدامُ خلقٍ كثيرٍ من العالمين، من الأولين والآخرين.

فأول ابتلاء وقع هو ما ابتلى اللهُ به ملائكته المقربين بالسجود لآدم، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ – وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ– {إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ} اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ، فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ، أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكَبُّرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيراً).

وقد جَرَت عادةُ الله في خلقه، أن يُلْبِسَ مَن تَكَبَّر عن أمره أثوابَ الصَّغَار، وأن يجزي مَن لم يسلم لأمره، أنواعَ الخزي والشنار؛ وكفى خزياً وهواناً لمن يتكبر عن أمر الله أنَّ قدوتَه في ذلك إبليسُ ـ لعنه الله ـ، فعدوُّ الله أولُ مَن سَخِطَ أمر الله، وقد عاقبه الله بالهوان والنار، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ، عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ، كَلَّا مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ، فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ)).

وابتلى اللهُ قومَ طالوتَ عليه السلام مع ما هم فيه من التعب والجهد، والعطش الشديد بنهر من الماء حَرَّمَ عليهم الشربَ منه والإغتسال، إلا من أخذ منه غرفة بيده، كما قال تعالى {إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيْكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ} فخسر وهلك في ذلك الإبتلاء والإختبار الشديد أكثر القوم كما قال تعالى {فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ}.

وابتلى قومَ صالحٍ عليه السلام بالناقة التي كانت تقاسمهم الشرب من ماء البئر، فكان الماء يوماً لها ويوماً لهم، وفي اليوم الذي تشرب ماء البئر تطوف على بيوتهم فيحتلبون منها ما شاؤا، كما قال

تعالى {وَيَا قَومِ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوْهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ ولَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُم عَذَابُ يَومٍ عَظِيم}، وكما يقول تعالى {لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَومٍ مَعْلُوم}، فلم يطيقوا ذلك الإبتلاء ولم يصبروا عليه {فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ، فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَومٍ عَظِيمٍ}.

وابتلى الله تعالى هذه الأمة بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأمر بمحبتهم وموالاتهم، وأوجب اتباعهم، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((لكل شيء أساس ، وأساس الإسلام حبنا أهل البيت))، فقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}.

فقد ابتلى الله هذه الأمة بأهل بيت نبيها، كما ابتلى إبليس بآدم أبي البشر، فلا ينْزل عند حكم الله تعالى، ويمتثل أمر الله بالجَنَان والأركان، إلا من امتحن الله قلوبهم للتقوى، من المؤمنين المتقين.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه وجنبنا معاصيه وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وغفر لنا ولكم سالف ذنوبنا فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، بسم الله الرحمن الرحيم{قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولجميع إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى وسلم عليه وعلى آله.

أما بعد: أيها المؤمنون: الواجب على كل مؤمن أن يعتقد فضل أهل البيت عليهم السلام على غيرهم، وأن يعمل بمقتضى ذلك فيهم، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لايؤمن عبد حتى أكون أحبّ إليه من نفسه، وأهلي أحب إليه من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته، وذاتي أحب إليه من ذاته)).

وعن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((نحن شجرةُ النبوة ومعدنُ الرسالة، ليس أحدٌ من الخلائقِ يَفْضُلُ أهلَ بيتي غيري))، وفي حديث آخر: ((نحن أهلَ بيت لا يقاس بنا أحد)).

وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: (لا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً، هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي، وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ).

وقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((قدِّموهم ولا تَقدَّموهم، وتعلّموا منهم ولا تعلموهم؛ ولا تخالفوهم فتضلوا، ولا تشتموهم فتكفروا)).

وقد ورد الوعيد الشديد، على من أبغضهم أو آذاهم أو سبهم أو خذلهم، كما روي عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((من كان في قلبه مثقالُ حبَّة من خردلٍ عداوةً لي ولأهل بيتي لم يَرِحْ رائحةَ الجنَّة)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من كان في قلبه مثقالُ حبة من خردلٍ عداوةً لي ولأهل بيتي فليس من الله ولا من رسوله في شيء)).

وعن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((حُرِّمَتْ الجنةُ على من ظَلَمَ أهل بيتي وقاتلَهم والمعينِ عليهم، ومن سَبَّهم، أولئك لا خلاقَ لهم في الآخرة، ولا يُكلِّمُهم اللهُ يوم القيامة، ولا يزكيهم

ولهم عذابٌ أليم)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((لو أن رجلاً صَفَن بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقي الله وهو مبغضٌ لأهل بيت محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وسَلَّم دَخَلَ النار)).

وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((إذا كان يومُ القيامةِ نادى منادٍ أَلَا لا يَجُوزَنَّ أَحَدٌ إلا بجواز، فيقال: وما ذلك الجواز؟، فيقول: حُبُّ أهلِ البيت المستضعفين في الأرض، المغلوبين على حقّهم، فمن لَقِيَنِي بحبهم أسكنته جنَّتي، ومن لقيني ببغضهم أنزلته مع أهل النفاق)).

فلنحذر كل الحذر من المساس بأعراضهم، أو محاولة صد الناس عنهم، أومنعهم منهم، أو محاولة إبعاد الناس عنهم بالتقول عليهم والإفتراء، وقد تعددت وتنوعت الأساليب في ذلك، فلنتق الله في علماء أهل البيت الذين أوجب الله علينا اتباعهم، ولنحذر ممن يدعو إلى ذلك ويحث عليه.

ونذكر هنا كلاماً عظيماً للإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني عليه السلام في رسالة أرسل بها إلى الشيعة في طبرستان، قال فيها: (يَا شيعتَنَا الأخيار، وخَلَفَ الأبرار، فإنكم تريدون مَحَلَّة، دونها مَهلَكَةٌ مُضِلَّة، لا تُجازُ بغير دليل، ولا تُعْبَرُ من الزاد بقليل، من سلكها بنفسه ضَلَّ، ومن ترك الزاد لها خُذِل، آلُ نبيكم أدلاؤُكُم عليها ، وأعمالُكم الصالحةُ زادكم إليها، فلا تُفرِّطُوا – رحمكم الله تعالى– في الزادِ والدليلِ قبل سُلُوكِهَا، فكم سَلَكَهَا قبلكُم من المفَرِّطِينَ فَهَلَك، وكم رَامَ الرجعة منها فمُنع ذلك).

ثم قال عليه السلام: (أصلُ التأويلِ أولُ الخَبَال –أي الفساد–، والإختلافُ في الأئمةِ أولُ الضلال، والإعتمادُ على غيرِ الذرية أولُ الوبال، أصلُ العلم مع السؤال، وأصلُ الجهل مع الجدال، العالمُ في غير عِلمِنا، كالجاهل لحقنا، الراغبُ في عدونا، كالزاهد فينا، المحسنُ إلى عدونا كالمسيء بنا، الشاكرُ لعدونا كالذامِّ لنا، المتعرضُ لنحلتنا كالغازي علينا، معارضُنا في التأويل كمعارضِ جدنا في التنزيل، الراعي لما لم يُسْتَرْعَ كالمضيعِ لما استُرْعِي، القائمُ بما لم يُستأمن عليه كالمتعدي فيما استُحْفِظ، الخاذلُ لنا كالمعين علينا، المتخلفُ عن داعينا كالمجيب لعدونا، معارضُنا في الحكم كالحاكم بغير الحق علينا، المفرقُ بين الأئمة الهادين كالمفرق بين النبيئين، هنا أصل الفتنة يا جماعة الشيعة).

وصدق الإمام القاسم العياني صلوات الله عليه فإنَّ أصلَ الفتنة، وأعظمَ أسبابِ الفرقة، هو التفريقُ

بين العترة عَلَيْهم السَّلام، كما يفعل البعض من أهل زماننا ممن يدعي اتباع علماءِ أهلِ البيت فتراه يفرق بينهم، ولا يوالي منهم إلا من تعلقت له بموالاته مصلحة، أو اتباعُ هوى، ولو لم يبلغ مبلغَ غيره علماً وفضلاً ومكانة، بينما تراه يُعرِضُ ويَصُدُّ عن غير من يُحِبُّ، بلسانه وتعريضاته، وإذا ذُكروا عنده أعرض وبرطم، ولوى عنقه تجهم، وقال فيهم قول المبغض المتهجم، والبعض ممن يتستر بلباس الموالاة والمحبة، وهو في البغض والعداوة في أرفع رتبة، يتبع من تقدم دون من تأخر، فهو تائه في بحر الضلال، سالك في مسالك الجهال، فهو بمنزلة من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، فلم يغن عنهم إيمانهم بالبعض شيئاً ولم يخرجهم من زمرة الضالين، كذلك يكون من أعرض عن أكابر علماء أهل البيت وأنكرهم مقامهم.

ثم قال الإمام عَلَيْه السَّلام: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينتظمان بغير زمام، ولا يُؤدَّى فرضُهما بغير إمام، الإقرارُ بالنبوءة لا يصلح إلاَّ مع الإقرار بالذريَّة، الإقرار بالكتاب لا يصح بغير نصاب، مقلدُ الناس كالباني على غير أساس، طالبُ العلم من أهله كمشتري الدرِّ بعد خُبره، المؤتمُّ بغير العترة كالأعمى يتبع الأعمى).

ثم قال عليه السلام: (أمَا تعلمون –رحمكم الله وهداكم– أنَّ أصلَ الهلكة منذ بعث اللهُ سبحانه وتعالى آدمَ عَلَيْه السَّلام إلى هذه الغاية، لم تكن إلاَّ بالإحتقار بالأنبياء صلوات الله عليهم في أيامهم، وبالذريَّة من بعدهم إلى أن تقوم الساعة، أيها الشيعة إنكم أُتيتُم من أنفسكم، ولم تُؤتَوا من ذرية نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم).

وفقنا الله لطاعته، وعصمنا من معصيته، وجعلنا من أتباع محمد وأهل بيته الطاهرين، إنه على كل شيء قدير.

١٤- فضل الأعمال اليسيرة المتهاوَن بها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، مخرجِ الموجودِ من العدم، والسابقِ الأزليةِ بالقدم، والجوَادِ على الخلق بسوابغِ النعم، والعوَّادِ عليهم بالفضل والكرم، الذي لا يعجزه كثرةُ الإنفاق، ولا يُمسكُ خشية الإملاق، ولا يَنْقُصُه إدرارُ الأرزاق، ولا يُدرك بأُناسِيِّ الأحداق، أحمده على جزيل إحسانه، وأعوذ به من حلول خذلانه، وأستهديه بنور برهانه، وأؤمن به حقَّ إيمانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يحويه حدٌّ ولا يدركُه نظر، ولا يُتَصَوَّرُ في الفِكَر، ولا يتمثلُ بجسم أو قُدَر، أو يُنسبُ إلى عرضٍ أو جوهر.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، المنتجبُ المصطفى، صلى الله عليه وعلى آله ما بقي الأنام، وما تعاقبت الأيام، وتناوبت الأعوام، وما خطرت الأوهام، وتدبرت الأفهام.

أما بعد: أيها المؤمنون: فإنّ من كريمِ فضلِ الله علينا، وجزيلِ عطائه وثوابِه لدينا، أنه تعالى تعبَّدنا بأمورٍ يسيرة في أدائها، عظيمةٍ في أجرها وثوابها؛ وذلك لمحبته تعالى للمؤمنين، وإكرامه لهم، بما أعدّ لهم من الثواب العظيم في جنته، وتلك الأعمالُ اليسيرةُ تزيدُ المؤمنَ إيماناً ومداومةً على المسابقة إلى فعل الخيرات، والطمعِ في مرضاة الله، والبحثِ عن الأعمال التي تُكَثِرُ الحسنات وتكفرُ السيئات.

لأن الله تعالى هو الذي يضاعف الدرجات، ويقبل التوبة من عباده، ويحبّ التوَّابين، ويتجاوز عن المذنبين المسيئين إن صدقوا التوبة ولم يصرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون.

وتلك الأعمال اليسيرة قد فرط فيها الكثير من الناس إما جهلاً لفضلها، أو انشغالاً بما يلهي عنها، أو استثقالاً لها، لأنها وإن كانت أعمالاً سهلة، ولكن ثوابها كثير، فالشيطان يحرص على إبعاد الإنسان عن التسبب في الأجر الكثير، كما أنه يسعى ليوقعه في العذاب الكبير.

وسنذكر إخوة الإيمان، بعضاً من تلك الأعمال التي نتساهل عنها، ونورد شيئاً من الثواب الذي وعد الله عليها، تنبيهاً للغافلين، وتأكيداً على المواظبين، وطمعاً في تعليم الجاهلين:

فمن ذلك: متابعة المؤذن في أذانه:

فإن الكثير من الناس إذا سمع النداء ولو كان في المسجد ينتظر الصلاة، وكان في أثناء حديث مع غيره فإنه لا يقطع حديثه ويتابعُ المؤذن، بل يستمر فيما بينهم من الحديث والكلام، ويُعرضُ عن متابعة المؤذن، فيفوته الفضل والأجر، وإليك أخي المسلم ما أعد الله من الثواب على متابعة المؤذن:

عن أمير المؤمنين علي عَلَيْه السَّلام، قال: (ثلاث لا يدعهن إلاَّ عاجز: رجل سمع مؤذناً لا يقول كما يقول، ورجل لقي جنازة لا يسلم على أهلها، ويأخذ بجوانب السرير، فإنه إذا فعل ذلك كان له أجران، ورجل أدرك الإمام ساجداً لم يكبر ثم يسجد معه، ولا يعتد بها).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ((إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ مرةً صلى الله عليه بها عشراً)).

وروي أن رجلاً قال يا رسول الله: إن المؤذنين يفضُلُوننا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((قل كما يقولون فإذا انتهيت فسل تُعْطَه)).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ((من قال حين يسمعُ النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له الشفاعةُ يومَ القيامة)).

وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقول ((من الجفاء أربعة: أن يسمع المؤذن يقول الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، فلا يقول مثل ما يقول.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من سمِعَ المؤذِّنَ وقال مِثلَ قوله كان له كأجرِه، وإذا قال المؤذِّن: أشهدُ أن محمداً رسولُ الله، فقال مَن سمِعَه: وأنا أشهدُ، رضِيتُ بالله ربًّا، وبمُحمَّدٍ رسولاً، وبالإسلام دينًا؛ غُفِرَ له ذنبُه)).

ومن ذلك: الصلاة على الجنازة وتشييعها ودفنها

فإن البعض من الناس يتساهل بفضل وأجر الصلاة على جنازة المؤمن، لأنه قد تقرر في الأذهان أنها فرض كفاية إذا قام بها البعض سقطت عن الباقين، فيكون هذا سبباً في أن يفوت الإنسان كثيراً من الأجر والثواب، فإن من شهدَ جنازة مؤمن حاز على عدة أعمال من الطاعات، فمنها

الصلاة على الجنازة، ومنها التشييع لها، ومنها حمل الجنازة، ومنها الدفن والحثي بالتراب عليها، ومنها الإنتظار والبقاء حتى إكمال الدفن، وفي كل واحدة من هذه الطاعات والأعمال الصالحات أجر كبير، وثواب كبير، وإليك أخي المسلم شيئاً من الأخبار الواردة في فضل تلك الأعمال:

فعن أمير المؤمنين علي عَلَيْه السَّلام، قال: قال رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: ((من غسل أخاً له مسلماً، فنظَّفه فلم يقذره، ولم ينظر إلى عورته، ولم يذكر منه سوءاً، ثم شيعه وصلى عليه، ثم جلس حتى يدلى في قبره خرج من ذنوبه عطلاً)).

وعن علي عَلَيْه السَّلام أنه كان إذا حثى على ميت قال: (اللهم إيماناً بك، وتصديقاً برسلك، وإيماناً ببعثك، هذا ما وعد اللَّه ورسوله، وصدق اللَّه ورسوله) ثم قال: (من فعل ذلك كان له بكل ذرة من تراب حسنة).

وروى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام قال: بلغنا عن رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم أنه قال: ((من حثى على قبر أخيه ثلاث حثيات من تراب كُفِّر عنه من ذنوبه ذنوبُ عام)).

ومما يتركه الناس استعجالاً هو المسارعة إلى الإنصراف قبل إتمام الدفن، أو لا يتبعون الجنازة، فيفوت المسلم أجراً عظيماً لأجل عجلة بسيطة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان)). قيل: وما القيراطان؟ قال: ((مثل الجبلين العظيمين)).

غفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}

أستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يَخفِرُ من انتصر بذمته، ولا يَقْهَرُ من استتر بعظمته، ولا يُكدِي مَن أذاعَ شكر نعمته، ولا يَهلَكُ من تغمده برحمته.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، فرداً صمداً، ليس له ند ولا شبيه.

ونشهد أن محمداً عبدُه المصطفى، ورسولُه المجتبى، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الهداة.

أما بعد: أيها المؤمنون: من الأعمال التي يحصل فيها التهاونُ الكبيرُ هي السننُ المؤكدةُ التي سنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وداوم عليها، فيتهاون الكثير من المصلين بسنة المغرب والظهر والوتر، والعجب أن ذلك التهاون ليس له عذرٌ ولا موجب، والمشكلةُ الكبرى أنّ ذلك التهاونُ والتركُ ليس مرة أو مرتين بل على الإستمرار، فترى الكثير ممن يجمع بين الصلاتين يترك تلك السنة المؤكدة بدون عذر وبلا سبب، وقد اعتاد ذلك الكثير من الناس، وهذا التهاون بالسنن المؤكدة هو من الأسباب التي جعلتنا نتهاون بالفرائض، فلو حافظنا على النوافل لدعتنا للحفاظ على السنن المؤكدة، ولو حافظنا على السننِ المؤكدة لسهلت علينا المحافظةُ والإهتمامُ بالفرائض الواجبة، وبسبب تهاون الآباء بالسنن يشب الأولاد وهم لا يعرفون عنها شيئاً، فإن الولد حين يرى أباه أو غيره من الناس يبادر الخروج من باب المسجد بعد الفريضة بدون أن يتسنن فإنه سيفعل مثله، ويَشِبُّ ويَشِيبُ وهو لا يعرف شيئاً عن تلك السنن، وإليك أخي المسلم بعضاً من الأدلة على أهمية تلك السنن المؤكدة:

فمن ذلك صلاة الوتر: فإنها من آكد السنن، التي داوم عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى توفي، ولم يتركها في سفر ولا حضر، بل وكان يتنفل وهو على دابته فإذا أراد أن يوتر نزل من دابته وصلى الوتر مستقراً، ومما يدل على أهمية الوتر أن جماعة من أهل العلم ذهبوا إلى وجوبها، ولكن هي عندنا ليست بواجبة ولكن هي سنة لا ينبغي التهاون بها، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: (إن الوتر ليس بحتم كالصلاة المكتوبة، ولكن سنةٌ، فلا تدعوها)، وفي رواية عن علي عليه السلام: (ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إن الله وَتْرٌ يحبُّ الوَتْرَ، فأوتروا يا أهل القرآن))، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((إن الله قد أمدكم

بصلاة هي خير لكم من حمر النعم)) قالوا: وما هي يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((الوتر ما بين صلاة العشاء إلى طلوع الفجر)).

وصلاة الوتر هي ثلاث ركعات متتالية، كما روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوتر بثلاث ركعات لا يسلم إلا في آخرهن، يقرأ في الأولى بسبح اسم ربك الأعلى، وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون، وفي الثالثة قل هو الله أحد والمعوِّذتين).

ووقتها ممتد من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر، فيوتر بعد العشاء أو في نصف الليل أو في وقت السحر من آخر الليل، كما روي عن علي عليه السلام أنه قال (مِن كُلِّ الليلِ قد أوتر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى انتهى وتره إلى السحر)، فالذي يقوم قبل الفجر تأخيره له أفضل، والذي يخشى أن يفوته الوتر فلا ينام إلا وقت أوتر، كما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم فليوتر آخر الليل)).

وقد يسأل البعض من الناس عمن طلع عليه الفجر ولم يوتر، هل يوتر بعد الفجر أم لا؟

فالجواب: أنه إذا نام عن الوتر حتى طلع الفجرُ فيجوز له الوتر إلى قبلِ طلوعِ الشمس، ومن فاته الوتر ليلاً جاز له أن يقضيه في النهار، كما روي عن علي عليه السلام قال: ((أتى رجل فقال: إنّ أبا موسى الأشعري يزعم أنه لا وتر بعد الفجر. فقال علي عليه السلام: (لقد أغرق في النزع وأفرط في الفتوى؛ الوتر ما بين الآذانين)، -يعني ما بين صلاة العشاء إلى صلاة الفجر إلى الإقامة-.

قال الإمام زيد عليه السلام: والوتر ليس بحتمٍ، ولا ينبغي للعبد أن يتعمد تركه، ومن رأى أنه يفرغ من وِتره ومن ركعتي الفجر ومن الفجر قبل طلوع الشمس فليفعل، وليبدأ بالوتر)).

وسئل الإمامُ زيدُ بنُ عليٍّ عليه السلام عن الرجل ينام عن وتره أو ينساه؟.

فقال الإمام زيد عليه السلام: يوتر من النهار — يعني قضاء-.

ولكن لا ينبغي للمؤمن أن يتعمد التأخير إلى بعد الفجر، إلا لعذر أو نسيان، أما بدون ذلك فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من أدركه الوتر فلم يوتر، فلا وتر له))، والمعنى من تمكن من الوتر فتركه متعمداً بدون نوم أو نسيان حتى ذهب وقته فلا وتر له.

١٥- حول العقل وأهميته

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي لا تُدْرِكُ الْاَوْهامُ صِفَتَهُ، الَّذي ذَهَلَتِ الْعُقُولُ عَنْ مَبْلَغِ عَظَمَتِهِ، الْواحِدِ بِغَيْرِ تَشْبيهٍ، الْعالِمِ بِغَيْرِ تَكْوينٍ، الْباقي بِغَيْرِ كُلْفَةٍ، الْمَوْصُوفِ بِغَيْرِ غايَةٍ، الْمَعْرُوفِ بِغَيْرِ مُنْتَهى، رَبِّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظيمِ، وَرَبِّ الْاَنْبِياءِ وَالْمُرْسَلينَ، وَرَبِّ الْاَوَّلينَ وَالْاخِرينَ.

اَللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ بِجَميعِ مَحامِدِكَ كُلِّها، ما عَلِمْنا مِنْها وَما لَمْ نَعْلَمْ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً يُوافي نِعَمَكَ، وَيُوافي مَزيدَ كَرَمِكَ، حَمْداً يَزيدُ عَلى حَمْدِ جَميعِ خَلْقِكَ، حَمْداً نَبْلُغُ بِهِ رِضاكَ، وَنُؤَدّي بِهِ شُكْرَكَ، وَنَسْتَوْجِبُ بِهِ الْمَزيدَ مِنْ عِنْدِكَ.

وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ اِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ، لَهُ شَهادَةَ الْحَقِّ وَكَلِمَةَ الْاِخْلاصِ، شَهادَةً أَرْجُو بها النجاةَ يومَ المعادِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهِرينَ إلى يومِ التَّنَادِ.

أما بعد أيها المؤمنون: خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وركبه أحسن تركيب، وفضله على سائر المخلوقات بما وهب له من العقل، الذي جعله أساس التكليف، وأناط به الأحكام والتشريع، وجعله هادياً إلى الرشاد، ومميزاً بين الأضداد، من التمييز بين الحق والباطل والخير والشر، وداعياً إلى مكارم الأخلاق، وجعله آلة التفكير والتنبيه، وهو نعمة من أتم النعم، وحجة من أبلغ الحجج، وجعله هادياً إلى طريق النجاة.

والعقل هو الحجة الكبرى التي امتنَّ الله تعالى بها على عباده، والمنحةَ الإلهيةَ العظيمةَ التي يستطيع المرء معها أن يفكر وينظر، وهو الأداة الوحيدة التي يكون الإنسان من خلالها متأملاً ومفكراً، وفاهماً وناظراً معتبراً، فالمرء الذي يحاول أن ينظر في المسائل والأدلة بآلة أخرى غير العقل لا يُمْكِنُهُ أن ينظر أو يفكر؛ لأنَّه قد ضيَّعَ الأداة التي لا بدَّ له من استخدامها.

ولقد مدح الله تعالى أصحاب العقول والبصائر، الذين يستعملون عقولهم في النظر والتفكر والإعتبار، في آيات كثيرةٍ من القرآن الكريم، فوصفهم بأنهم المتذكرون، فقال تعالى **{وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ}**،

وأنهم العالمون فقال تعالى **{لآية لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}** ، في آيات كثيرة، وأنهم المتفكرون فقال سبحانه **{نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**، وقال تعالى **{وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ}** ووجّه إليهم الخطابات الكثيرة، حتى كأنهم المخاطبون فقط دون غيرهم.

وقد شحن الله تعالى كتابه العزيز بوجوب استخدام العقل وأهميته، وكذلك النظر والتأمل، وذلك لأهمية العقل، هذا العنصر الكبير في حياة الإنسان، سواء الدينية أو الدنيوية.

وقد شنَّع الله تعالى على من لَمْ يتأملْ ويَنظرْ في آياته عز وجل، وأعرض عن النظر فيها، فقال تعالى **{وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ}**.

وقد أعطانا الله تعالى هذه الآلة العظيمة لنستطيع من خلاله إلى التوصل إلى معرفة الله وعبادته، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام ((العقل آلة أُعطيناها لاستعمال العبودية لا لإدراك الربوبية، فمن استعملها في إدراك الربوبية فاتته العبودية ولم ينل الربوبية)).

ولما كان العقل هو الطريق إلى معرفة الله تعالى، فهناك تلازم وارتباط بين الإيمان والعقل، فمن عمل عقله كمل إيمانه، ومن نقص إيمانه فذلك دليل على سوء استخدامه لعقله.

كم روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((قسم الله العقل ثلاثة أجزاء، فمن كُنَّ فيه فهو عاقل، ومن لم يكُنَّ فيه فلا عقل له، حسن المعرفة بالله عز وجل، وحسن الطاعة، وحسن الصبر لله)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم، وتواضعوا بالعقل تعرفون ما أمرتم به وما نهيتم عنه)).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا تقرَّب الناس إلى خالقهم بأنواع البر، فتقرَّب إلى الله بأنواع العقل، تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الناس في الدنيا، وعند الله في الآخرة)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((كم من عاقلٍ عقل عن الله أمره وهو حقيرٌ عند الناس دميم المنظر ينجو غداً، وكم من ظريف اللسان جميل المنظر عند الناس يهلك غداً في القيامة)).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: ((والله لقد سبق إلى جنات عدن أقوامٌ فما كانوا بأكثر

الناس صلاة ولا صياماً ولا حجاً ولا اعتماراً، ولكنهم عقلوا عن الله مواعظه، فوجلت منهم القلوب، وخشعت منهم الجوارح، واطمأنت منهم النفوس، ففاتوا الخليقة برفيع الدرجات، وعظيم المنزلة عند الله في الآخرة)).

فالعاقل: هو من استخدم عقله في ما يجلب له الخير، ويدفع عنه الشر، ولا خير أعظم من ثواب الله وجنته، ولا شر أعظم من عقاب الله وناره.

أيها المؤمنون: الإنسان المكلف يعمل ما يعمله من الأعمال وهو في حالة اختيار كاملة، وهو يعرف ما يعمله هل هو صواب أو أخطأ، وهل هو طاعة أو معصية.

فبعقلك أيها الإنسان تعرف حسن أفعالك وقبحها.

فأنت عندما تعمل الطاعات، وتفعل الخيرات، تعلم بعقلك حسن فعلك، وترتاح نفسك على ما قمتَ به من طاعة لربك..

وعندما تعمل المعاصي، أو تقصر في الطاعات، تعلم بعقلك قبح فعلك.

عقلك يعاتبك على الإخلال بالواجبات، عقلك يلومك عندما تنام عن الصلوات، عقلك يؤنبك عندما تترك الجماعات، عقلك ينبهك عندما تؤثر الدنيا على الآخرة.

عقلك يصدر لك علامات التحذير عندما تهم بما لا يرضي ربك، ولكن أنت الذي تتجاهل تلك المؤشرات، وتتساهل بتلك التحذيرات، ولا تقف بصراحة وجد مع نفسك التي تأمرك وتدعوك إلى المخالفات.

فما من عاقل لبيب إلا وهو يجد ذلك في نفسه، لأن الله تعالى يقول {ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها} فأنت إنما تغالط نفسك، وتمكر بها، عندما تنصاع لأوامرها، وتتجاهل تحذيراتِ العقل وتنبيهاته، وإذا حاولت المغالطة فأنت إما ناقص عقل أو سيء تفكير وتدبير.

لأن العقل والنفس خصمان متعاديان، فالعقل مجبول على الخير، والنفس مجبولة على الشر، العقل مجبول على ما ينفع، والنفس مجبولة على خلاف ذلك.

فكل واحد منهما ينازع الآخر، فإن غلب العقل على النفس صير النفس من جنوده، وسهل لها الخيرات، وأبعدها عن الشبهات، وأخضعها وأدبها على تحمل الطاعات، وأكرهها على المشاق من

العبادات، لكي ترتاح عند الجزاء في الآخرة.

وإن تغلَّبت النفسُ على العقل، صيرت العقل من جنودها، وجعلته خادماً لها في ألاعيبها، فبدلاً من أن يكون آلة لخلاصك تُصَيِّرُهُ النفسُ آلةً لتورطك وهلاكك.

وبدلاً من أن يكون العقل آلة للتفكير في أساليب الطاعة، وتنوع العبادة، تصيره النفس آلة للتفكير في أساليب المعصية، وطرق استخدامها، والمهارة فيها، وتجعل من العقل وسيلةً للتفكير في التحيل على الناس، وابتزاز أموالهم، وأخذ حقوقهم، واستنتاج الأساليب المبتكرة في ذلك.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، إنه كريم جواد بر رؤوف رحيم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ذي المنن التي لا يحصيها العادون، والنعم التي لا يجازيها المجتهدون، والصنائع التي لا يستطيع دفعها الجاحدون، والدلائل التي يستبصر بنورها الموجودون، أحمده جاهراً بحمده، شاكراً لرفده، حمد موفق لرشده، وأثق بوعده، له الشكرُ الدائمُ، والأمرُ اللازم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى وسلم عليه وعلى آله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

أيها المؤمنون: عندنا قصور كبير في مفهوم العقل والذكاء، فالذكي عندنا وفي مفهومنا، هو البصير بجمع الدنيا والحريص عليها، والمحب لها، والمتفنن في ادخارها وجمعها، فنصفه بالحاذق، وبالذكي، وبالرجل الحكيم، وإن أخل بدينه، وقصر في أمر آخرته، حتى وإن أضاع الصلوات، وترك الجمع والجماعات، ومنع الزكوات، وهجر كتاب الله الليالي والأيام المتتابعات، فهذا عندنا رجل حكيم، وذكي ألمعي.

بينما إذا رأينا رجلاً لا يبالي بالدنيا، ولا يهتم بشؤونها، ولا يحرص على جمعها، وهو مكبٌّ على الطاعة، منشغل بالعبادة، حريص على الصلوات، مهتم يالجمع والجماعات، عاكف على تلاوة السور والآيات، ملازم لجمع العلوم، وصفناه بالأوصاف التي لا تليق به، فهو عندنا وفي مفهومنا، إنسان مضيع، وأبلهٌ، وقليل التدبير.

ولكن إذا رجعنا إلى المفهوم الديني الصحيح وجدنا أن الرجل اللبيب والعاقل هو الحريص على الآخرة، المؤثرُ لها على الدنيا، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأصحابه يوماً ((مَن أكَيسُ الناس)) يعني أذكاهُم وأحذقَهم وأفطنَهم، فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((أكثركم ذكراً للموت، وأشدكم استعداداً له)).

النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((إن لله خواص يسكنهم الرفيع من الجنة كانوا أعقل الناس، قال: قلنا يا رسول الله وكيف كانوا أعقل الناس؟ قال: كانت همتهم المسابقة إلى ربهم،

والمسارعة إلى ما يرضيه، وزهدوا في الدنيا وفضولها ورياستها ونعيمها، وهانت عليهم فصبروا قليلاً واستراحوا طويلاً)).

عن أبي ذر في حديثٍ فيه تواريخ الأنبياء عليهم السلام وذكر كتبهم، قال: قلت: يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: ((كانت أمثالاً كلها أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعضٍ، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها، وإن كانت من كافرٍ.

وكان فيها: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعةٌ يناجي فيها ربه، وساعةٌ يحاسب فيها نفسه، وساعةٌ يتفكر فيها في صنع الله، وساعةٌ يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب.

وعلى العاقل أن لا يكون ضاعناً - أي مسافراً- إلا لثلاثٍ: تزوُّدٍ لمعادٍ، أو مرمَّةٍ لمعاشٍ، أو لذَّةٍ في غير محرمٍ.

وعلى العاقل أن يكون بصيراً في زمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه، ومن حَسَبَ كلامَه من عَمله قل كلامه إلا فيما يعنيه)).

فقال لي: يا رسول الله إن السلام يقرؤك السلام ويقول لك: أتحب أن يجعل لك تهامة ذهباً وفضةً تزول معك حيث تزول، ولا ينقصك ذلك مما وعدتك في الآخرة جناح بعوضةٍ، فقلت له: هل أعمر ما خرب الله، يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ويجمعها من لا عقل له، فقال جبريل: وفقك الله يا رسول الله، لقد أخبرني بكلامك هذا إسرافيل تحت العرش من قبل أن آتيك)).

وروي أن رجلاً صالحاً قال لصديق له: يا فلان، هل أنت على حال ترضاها للموت؟ قال: لا. قال: فهل عزمت على التحول من حالك هذا إلى حال ترضاها للموت؟ قال: لا. قال: فهل تدري متى الموت نازل بك؟ قال: لا. قال: فهل بعد الموت دار مستعتب؟ قال: لا. قال: ما رأيت مثل هذه الخصال رضي بها عاقل.

فالعقل نعمة سيسألنا الله عنها، فلنستخدمها فيما يكون مخلصاً في الجواب يوم القيامة، قبل حلول الحسرة والندامة.

١٦- حول انتظار الفرج

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ، وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ، والبَلَاءَ والمحنَ بالفرجِ والنصرِ، لمن ثبتَ وصبَرَ، نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، السِّرَاعِ إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ، وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ، وَوَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ، إِيمَاناً نَفَى إِخْلَاصُهُ الشِّرْكَ، وَيَقِينُهُ الشَّكَّ.

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ، وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ، لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ.

أما بعد: أيها المؤمنون: الناس يعيشون في هذه الأزمنة في شدائد وفتن، وملمات ومحن، وعوارض وإحن، وأسباب ذلك كله من العباد، فأعمالهم السيئة، وأفعالهم القبيحة، وغفلتهم المتراكمة، وابتعادهم عن الرجوع إلى الله تعالى، هي التي تهيج أسباب النوائب، وتفتح أبواب المصائب، كما قال الله تعالى **{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}**، وكما قال تعالى **{وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا، وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا}**، ولكن الله تعالى برحمته يمهلنا ولا يعاجلنا، لعلنا أن نرجع ونتوب كما قال تعالى **{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا}**، فالشدائد والمصائب لا تزول ولا تكشف ولا تفرج إلا بالرجوع إلى الله تعالى والأوبة، وصدق الإنابة والتوبة، التي تمحى بها الحوبة.

ولكن الغالب على الناس أنهم لا يتذكرون الرجوع إلى الله، ولا يهتمون بالتوبة والدعاء والذكر إلا إذا ألمت بهم الملمات، ودهمتهم المصيبات، كما يقول الله تعالى **{لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ}**، ويقول تعالى **{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ}**، ويقول تعالى **{هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ**

دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}، فالله تعالى هو القادر وحده على كشف ما يصيب الناس، كما قال تعالى **{قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، قُلِ اللّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ}**، ويقول تعالى: **{أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ}**، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل عن معنى قوله تعالى **{يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}**، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((من شأنه أن يغفر ذنباً، ويكشف كرباً، ويرفع قوماً ويضع آخرين))، وروي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى **{وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}**، أنه قال: له وجهان: أحدهما: أن ذكر الله لكم أكثر من ذكركم إياه، والثاني: أن ذكر الله تعالى لكم أكبر من كل عبادة سواه.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((إن يونس عليه السلام، حين بدا له أن يدعو الله عز وجل بالظلمات، حين ناداه وهو في بطن الحوت، فقال: اللهم، "لا إله إلاّ أنتَ، سبحانك إنّي كنت من الظالمين"، فأقبلت الدعوة تحف بالعرش، فقال الملائكة: يا رب هذا صوت ضعيف مكروب، من بلاد غربة.

فقال: أما تعرفون ذاك ؟ قالوا: ومن هو ؟ قال: ذاك عبدي يونس، الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل، ودعوة مجابة، فقالوا: يا رب، أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء، فتنجيه من البلاء ؟ قال: بلى، فأمر الحوت فطرحه بالعراء، فأنبت الله عليه شجرة اليقطينة.

فبيد الله مفاتيح الفرج، ومن عنده يلتمس المخرج، ومنه تُستمد الإعانة، وهو العالم بأحوال العباد، والقادر على كشف ما أصابهم، وهو تعالى الذي ينزل البلاء على العباد، إما ابتلاء واختباراً، ليبلوهم ويختبرهم من الذي يصبر ومن الذي يجزع؟، وإما أن يكون عقوبة وانتقاماً من العصاة المجرمين.

فالمحن للمؤمنين فيها تمحيص من الذنوب، وتنبيه من الغفلة، وتعريض للثواب بالصبر، وتذكير بالنعمة، واستدعاء للمثوبة، فالمؤمن إذا ابتلي صبر، لأنه يعلم أن الإبتلاء تعريض له على الصبر، والصبر أجره عظيم، فهو من أعظم العبادات، ولأن مفتاح الفرج مع الصبر، وهو مقدمة النصر، لأنّ النصرَ مع الصبر.

فعن بعض الأنبياء عليهم السلام، أنه قال: (المحن تأديب من الله، والأدب لا يدوم، فطوبى لمن تصبر على التأديب، وتثبت عند المحنة، فيجب له لبس إكليل الغلبة، وتاج الفلاح، الذي وعد الله به محبيه، وأهل طاعته).

وروي عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((سلوا الله عز وجل من فضله، فإن الله يحب أن يُسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج من الله تعالى)).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله عز وجل)).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال له في حديث ذكره: ((واعلم أن النصر مع الصبر، والفرجَ مع الكرب، وأن مع العسر يسراً)).

فالإبتلاء من الله تعالى يكون على قدر الإيمان، والمعونة من الله للعبد المؤمن تكون على قدر البلاء، والفرج يكون على قدر البلاء، كما روي عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن المعونة من الله عز وجل، تأتي العبد على قدر المؤونة، وإن الصبر يأتي على قدر شدة البلاء))، وفي رواية: ((إن الفرج يأتي من الله تعالى، على قدر شدة البلاء)).

اصبر على الدهر إن أصبحت بالضيق في لججٍ تهوي إلى لجج

فإن تضايق أمر عنك مرتتجٌ فاطلب لنفسك باباً غير مرتتج

لا تيأسنّ إذا ما ضقت من فرجٍ يأتي به اللّه في الروحات والدلج

فما تجرّع كأسَ الصبر معتصمٌ باللّه إلاّ أتاه اللّهُ بالفرج

غفر الله لنا ولكم سالف آثامنا فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ {١} وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ {٢} الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ {٣} وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ {٤} فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا {٥} إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا {٦} فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ {٧} وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ {٨}**، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، نحمده ونستعينه ونستهديه الهدى، ونعوذ بالله من الضلالة والردى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، والقائم بلا عناء، والدائم بلا فناء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين والأنبياء، صلوات الله عليه وعلى آله الأصفياء الأتقياء.

أما بعد: أيها المؤمنون:

أنزل الله تعالى سورة الشرح التي قرأناها في آخر الخطبة الأولى، تلك السورة الكريمة أنزلها الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم يذكره فيها بما امتنّ به عليه من المنن العظام، والنعم الجسام، التي منها شرح صدره بعد الغم والضيق، ووضع وزره وهو الإثم عنه، بعد أن أثقل الظهر، ورفع اللهُ تعالى ذكرَ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بحيث جعله مذكوراً معه، في الشهادتين والأذان وغيرها من المواضع الشريفة، وبعد هذه المنن العظيمة، أعلم الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالبشارة له ولأمته، بأن مع العسر الواحد يسرين، إذا رغبوا إلى الله تعالى ربهم، وأخلصوا له طاعاتهم ونياتهم.

وقد روي عن علي عليه السلام، أنه قال: (لا يغلب العسرُ الواحد يسرين)، يريد أن العسر الأول هو الثاني، وأن اليسر الثاني هو غير الأول، وذلك أن العسر معرفة، فإذا أعيد، فالثاني هو الأول، لأن الألف واللام لتعريفه، ويسر، بلا ألف ولام، نكرة، فإذا أعيد، فالثاني غير الأول.

وقال الله تعالى: **{سيجعلُ اللّهُ بعد عسرٍ يسراً}**، وقال تعالى: **{ومن يتّقِ اللّهَ يجعل له مخرجاً، ويرزُقْهُ من حيث لا يحتسب، ومن يتوكّل على اللّه فهو حسبُهُ}**.

روي أن كسرى غضب على حكيم فحبسه عند غضبه، في بيت كالقبر ظلمة وضيقاً، وصفده بالحديد، وألبسه الخشن من الصوف، وأمر أن يقتر عليه في الطعام والشراب، ولا يزاد كل يوم، على قرصين خبزاً شعيراً، وكف ملح جريش، ودورق ماء، وأن تحصى ألفاظه فتنقل إليه، فأقام ذلك الحكيم في السجن شهوراً، لا تسمع له لفظة.

فقال كسرى: أدخلوا إليه أصحابه، ومروهم أن يسألوه، ويفاتحوه في الكلام، واسمعوا ما يجري بينهم، وعَرِّفُونِيه.

فدخل إليه جماعة من أصحابه المختصين به، فقالوا له: أيها الحكيم، نراك في هذا الضيق والحديد والصوف والشدة التي وقعت فيها، ومع هذا فإن سحنة وجهك، وصحة جسمك، على حالهما، لم تتغيرا، فما السبب في ذلك ؟

فقال: إني عملت لي دواء من ستة أخلاط، آخذ منه كل يوم شيئاً، فهو الذي أبقاني على ما ترون.

قالوا: فصفه لنا، فعسى أن نبتلى بمثل بلواك، أو أحد من إخواننا، فنستعمله ونصفه له.

قال: الخلط الأول: الثقة بالله عز وجل، والخلط الثاني: علمي بأن كل مقدر كائن، والخلط الثالث: الصبر خير ما استعمله الممتحنون، والخلط الرابع: إن لم أصبر أنا فأي شيء أعمل، ولم أُعِن على نفسي بالجزع، والخلط الخامس: قد يمكن أن أكون في شر مما أنا فيه، والخلط السادس: من ساعة إلى ساعة فرج.

قال: فبلغ كسرى كلامه، فعفا عنه.

وكتب الوليد بن عبد الملك بن مروان إلى عامله على المدينة، أن يضرب الإمام الحسن الرضا بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، خمسمائة سوط في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأخرجَ الإمامَ الحسن الرضا إلى المسجد، فبينما هو يقرأ على الناس كتاب الوليد بن عبد الملك، إذ جاء علي بن الحسين عليهما السلام، مبادراً يريد الحسن الرضا، فدخل والناس معه إلى المسجد، واجتمع الناس، حتى انتهى إلى الحسن فقال له: يا ابن عم، ادع بدعاء الكرب.

فقال: وما هو يا ابن عم ؟ قال: قل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان الله رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين.

فأخذ الإمام الحسن يكررها، فلما انتهى العامل من قراءة الكتاب ونزل عن المنبر، قال للناس: أرى رجلاً مظلوماً، ثم أطلقه ولم يضربه، وكتب إلى الوليد يعتذر للإمام الحسن الرضا.

١٧- أسباب البلاء ودوافعه

الخطبة الأولى

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ أَهْلِ الحَمْدِ والثَّنَاءِ، وَرَبِّ الأَرْضِ والسَّمَاءِ، وخَالِقِ الخَلْقِ وَالأَنَامِ، وَمُدَبِّرُ اللَّيَالِي والأَيَّامِ، الَّذِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ رَحْمَتُه، وَأَبْدَعْتْ كُلَّ خَلقٍ حِكْمَتُهُ، وَقَهَرَ كُلَّ ذِي سُلْطَانٍ سُلْطَانُهُ، وَبَهَرَ كُلَّ بُرْهَانٍ بُرْهَانُهُ، وَدَلَّتْ بَدَائِعُ صَنْعَتِهِ، وَمَوَاقِعِ خِلْقَتِهِ، عَلَى أَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَإِلَهُ كُلِّ مَعْبُودٍ، وَمَنْشِئ كُلِّ مَحْسُوسٍ وَمَعْقُولٍ، وَمُحْدِثُ كُلِّ عِلَّةٍ وَمَعْلُولٍ.

وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، شَهَادَةً أَوْجَبَهَا حُكْمُ الْمِلَّةِ، وَكَلِمَةً صَدَّقَهَا وَاضِحُ الأَدِلَّةِ، وَأَنَّ مُحَمَّدَاً صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الأَمِينُ الْمَيْمُونُ، أَرْسَلَهُ هَادِيَاً لِخَلْقِهِ، وَدَاعِيَاً إِلَى حَقِّهِ، فَأَدَّى الرِّسَالَةَ، وَأَقَامَ الدَّلَالَةَ، وَدَعَا إِلَى دَارِ النَّعِيمِ، وَهَدَى إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ الأَبْرَارِ، وَعِتْرَتِهِ الأَطْهَارِ.

أما بعد: أيها المؤمنون: فإننا في زمان كثيرةٍ محنُه، شديدةٍ فتنُه، متعددةٍ فيه أنواع البلاء، متنوعةٍ فيه أسباب الشدائد والأواء، مصاعبُه تتصاعد، ومصائبُه تتزايد، فلا بد من أن نتخذ لنا منه جُنَناً واقية، ونعدّ لنا عليه لردّ قسوته أسلحة ماضية، وأن نتدرع بدروع قوية حامية، فإننا نجد في هذه الأزمنة أنواعاً من البلاء لم تكن عند من قبلنا معروفة، وليست عند من سبقنا مألوفة، من أمراض يصعب علاجها، ومصائب متلونة أعراضها، ومعيشة صعبة، وقلة بركة في الثمار، وانتزاع البركة من الأموال، وغلاء في الأسعار، وكل ذلك أسبابه بأيدينا، وعلاجه سهل ويسير علينا، كما يقول الله تعالى **{إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ}**، ونحن نريد أن نتكلم في هذه الخطبة المباركة عن (أسباب البلاء وكيف ندفعه).

أخي المسلم: إن للبلاء أسباباً، وللمصائب أبواباً، فلا بد أن نتعرف على أسبابه كي نحذرها ولا نقعَ فيها، وأن نغلق أبوابه حتى لا نتورط في الدخول فيها، فإن ما عُرِفَت أسبابه هان وسهُل علاجه، وما اتضح وبان قَرُب تقويم اعوجاجه.

فأما أسباب البلاء فكثيرة: ولنقف مع المصطفى صلوات الله عليه وآله وهو يبينها لأمته كي تحذرها، فعن علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ((إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة فقد حل بها البلاء))، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال ((إذا كان المغْنَمُ دولاً، وإذا كانت الأمانةُ مَغنمَاً، والزكاةُ مغرمَاً، وأطاع الرجلُ زوجته وعقّ أمه، وبرّ صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصواتُ في المساجد، وكان زعيمُ القوم أرذلهم، وأُكرِمَ الرجلُ مخافة شره، وشُربت الخمر، ولُبس الحريرُ، واتُخِذَتِ القيناتُ والمعازفُ، ولَعَنَ آخرُ هذه الأمة أَوّلَها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء، و خسفاً ومسخاً)).

وعن الإمام الشهيد زيد بن علي، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، قال: قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (إذا كان زعيمُ القوم فاسقَهم، وأكرم الرجل اتقاء شره، وعُظِّم أربابُ الدنيا، واستُخِفّ بِحَمَلة القرآن، وكان تجارتُهم الرِّبا، ومأكلُهم أموالَ اليتامى، وعطلت المساجد، وأكرم الرجل صديقه وعَقَّ أباه، وتواصلوا على الباطل، وقطعوا الأرحام، واتخذوا كتاب اللّه مزامير، وتُفُقِّهَ لغير الدين، وأكل الرجل أمانته، وأُتُمِنَ الخونةُ، وخُوِّنَ الأمناءُ، واستعلت كلمةُ السفهاء، ورفعت الأصوات في المساجد، واتُخِذَتِ طاعةُ اللّه بضاعةً، وكَثُرَ القراءُ، وقَلّ الفقهاءُ، فعند ذلك توقعوا ريحاً حمراء، وخسفاً وزلازل، وأموراً عظاماً).

أخي المسلم: إذا وقفنا مع أنفسنا وقفة الصدق والمحاسبة، فإنا نجد أن هذه الخصال إذا لم تكن قد وجدت برمتها وأجمعها، فقد حصل ووقع أكثرها، ومارس الناس أنواعاً متعددة منها، صدقت يا حبيب القلوب، ويا رسول الرحمة والهدى، قد أصبحت أمتك تتعامل بما نهيتها عنه، وحذرتها منه، وتركت أوامرك خلفها ظهرياً، ونبذت كل نصيحة وهداية منك نبذاً ظاهراً جلياً، فالمعاصي يعملونها ظاهراً، ويتخذونها مثلاً سائراً، فالأمانة قد أضيعت، حيث وقعت في أيدي غير الأمناء، وحيث تولى أمور الناس وشؤونهم الخونة الأشقياء، وهاهم أهل الأموال والتجارات يعتبرون إخراج الزكاة غرماً موجعاً ونقصاً لأموالهم، وأكثرهم لا يخرجونها بطيبة من أنفسهم، وقد أتخذ أكثر الناس طاعة الله تعالى سلعة وبضاعة لهم يستأكلون بها الأموال، ويستحلون بها الحرام، ويتظاهرون بالصلاح.

ونرى القراء كثيرين، ولكن أهل الدراية بالعلم، وأهل الفقه والفهم قليلون بل أقل من القليل، ولم

تحفظ حرمة حملة القرآن الذين يقرؤونه لله، ويعلمونه من أجل الله، ويقيمون حدوده، ويقفون عند نواهيه وزواجره، ويعملون بأحكامه وأوامره.

ونرى الحقوق قد أضيعت وأهملت، فحقوق الوالدين لا ترعى ولا تحترم، بل بفضل الرجل زوجته على أمه، ويطيعها ويعصي أمه، ويحسن إليها ويسيء إلى أمه، ويحترم الرجل صديقه ولا يحترم أباه، ويمتثل أمر صديقه ويرجحه ويعمل به على أمر أبيه.

وقطعت الأرحام بدون سبب، وفشت العداوات بينهم بالبهتان والكذب، فقطعوا التواصل والزيارة، والسلام وحلو العبارة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وعطلت المساجد من العبادات، وتركت من الطاعات، وأهملت من الجماعات، واجتمع الناس فيها لأحاديث الدنيا، واستبدلوا اللهو فيها بالطاعة، والفرادى بالجماعة، ورفعت فيها الأصوات بدون الذكر، بل بالدنيا وأحاديثها.

وأصبح زعيمُ القوم والقائمُ بأمورهم، والمعتني بشؤونهم أرذلَهُم رأياً، وأشدَّهم عسفاً، وأسفههم عقلاً، وأكلت أموال اليتامى ظلماً، وأكل الربا جهراً، وتعامل الناس به بيعاً وشراء، وشربت الخمور باسمها وبغير اسمها، فقد وقع ما أخبره بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد وقعت أيضاً العقوبات الموعودة على العمل بهذه الخصال الذميمة، وهي الخسف والزلازل، التي هي عبارة عن الفتن والمشاكل، وكثرة الفساد والرذائل.

فالواجب على المسلم أن يجتنب هذه الخصال، وأن يكون منها على أشد الحذر والإبتعاد.

جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}**، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مالك الملك، مجري الفلك، مسخر الرياح، فالق الإصباح، ديان الدين، رب العالمين، الحمد لله على حلمه بعد علمه، والحمد لله على عفوه بعد قدرته، والحمد لله على طول أناته في غضبه، وهو قادر على ما يريد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله المنتخب المصطفى للرسالة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المسلمون: بما أننا وإياكم قد عرفنا الأسباب التي عمنا بها البلاء، فلنأت لتناول الدواء، كي نستأصل ذلك الداء، ولنذهب وإياكم إلى طبيب القلوب وشفائها، ونور الأبصار وضيائها، الحبيب المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله لنأخذ منه وصفات طبية، علاجية روحية، لنصلح بها ديننا ودنيانا، فمن تلك العلاجات:

أولاً: قرآءة القرآن: وهو الدواء الكافي، والعلاج الشافي، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: ((يدفع اللّه عن مستمع القرآن بلوى الدنيا، ويدفع اللّه عن تالي القرآن بلوى الآخرة)).

وعنه عليه السلام، أنه قال: (من قرأ فاتحة الكتاب، فقال الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، صرف الله عنه سبعين نوعاً من البلى، أهونها الهمّ).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قرأ آية الكرسي وخواتم البقرة عند الكرب أغاثه الله عز وجل، ومن قرأها إذا أوى إلى فراشه فإنه لا يزال عليه من الله حافظ، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله)).

وعن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي: أكثر من قراءة ياسين فإن في قراءة ياسين عشر بركات، ما قرأها قط جائع إلاَّ شبع، ولا قرأها ظمآن قط إلاَّ روي، ولا عار إلاَّ كسي، ولا مريض إلاَّ برئ، ولا خائف إلاَّ أمن، ولا مسجون إلاَّ أخرج، ولا عزب إلاَّ روج، ولا مسافر إلاَّ أعين على سفره، ولا قرأها أحد ضلت له ضالة إلاَّ وجدها، ولا قرئت عن رأس ميت قد حضر أجله إلاَّ خفف الله عليه، ومن قرأها

صباحاً كان في أمان حتَّى يمسي، ومن قرأها مساءً كان في أمان حتَّى يصبح.

وروي أيضاً أن من قرأ هذه الآية وهي قوله تعالى **{حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}** من قرأها سبعاً حين يصبح وحين يمسي كفاه الله ما أهمه من أمور الدنيا والآخرة.

وكذلك سورة قل هو الله أحد، ورد أن مَن قرأها حين يأخذ مضجعه وكل الله به خمسين ألف ملك يحفظونه حتى يصبح.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليله كفتاه)).

ثانياً: الدعاء: فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكثر منه، ويعلم أصحابه الكثير من الأدعية والأذكار والتعوذات، التي تربط علاقتهم مع الله وتقويها، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، ويعلمها أصحابه.

وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة)).

وعن الحسن رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع)).

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام، قال، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم ((إن الدعاء يردُّ القضاء، وإن البِرَّ يزيد في العمر، وإن الحج لينفي الفقر، وإن صدقة النهار تدفع ميتة السوء، وإن صدقة الليل تطفي غضب الرَّب تبارك وتعالى)).

وعن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((من لزم الإستغفار، جعل اللّه له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب)).

ثالثاً: الصدقة، وصلة الرحم، وصنائع المعروف: من الأدوية النافعة من أضرار البلاء، والمانعة من وصوله إلى أهلها، فعن علي عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((بادروا بالصدقة، فإن البلاء لا ينحط إليها)).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة)).

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يقول: ((أربع من تمسك بهن فقد تمسك بالعروة الوثقى)). فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي ماهي؟ قال ((الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة، وصلة الرحم، وصدقة الليل تدفع غضب الرب ويبعث اللّه صاحبها من الآمنين يوم القيامة لا يأتي باباً من أبواب الجنة إلا دخل من أيها شاء)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((إِنَّ اللَّهَ لَيَدْرَأُ – أَيْ يَدْفَعُ – بِالصَّدَقَةِ سَبْعِينَ بَابًا مِنْ مِيتَةِ السُّوءِ)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالصَّدَقَةُ خُفْيا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ)).

وعن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من أحب أن يملأ له في عمره، ويبسط له في رزقه، ويستجاب له الدعاء، ويدفع عنه ميتة السوء، فليطع أبويه في طاعة الله، وليصل رحمه)).

رابعاً: الذكر لله تعالى: فإن ذاكر الله قريب من الله، ويحوطه الله بأنواع الحراسة والحماية والحفظ، وذكر الله كثير، فهو تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير، وتقديس وتمجيد، فعن زيد بن علي عن آبائه، عن علي عليهم السلام، قال (من سبَّح الله تعالى في كل يومٍ مائة مرة، وحمده مائة مرة، وكبَّره مائة مرة، وهلله مائة مرة، وقال لا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم مائة مرة، رفع الله عنه من البلى سبعين نوعاً، أدناها القتل، وكتب له من الحسنات عدد ما سبح سبعين ضعفاً، ومحى عنه من السيئات سبعين ضعفاً).

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهم السلام عن أبي ذر رحمة اللّه عليه، قال: أوصاني رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: أن أكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) فإنها كنز من كنوز الجنة، ويدفع اللّه بها تسعاً وتسعين باباً من أبواب البلاء أدناها وأيسرها الهم والحزن.

وعن علي عليه السلاَّم، قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم ((يا علي: ألا

أعلمك كلمة إذا وقعت في ورطة فقلتها)). قلت: بلى يا رسول الله، جعلني الله فداك، فرب خير علمتني. قال ((فإذا وقعت في ورطة قل: بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن الله يصرف بها ما شاء من أنواع البلايا))، وفي رواية عن ابن عباس ((صرف الله عنه سبعين بابًا من البلاء أولها الهم والغم واللمم)).

وعن عبدالله بن جعفر، قال: علمتني أمي أسماء بنت عميس شيئاً أمرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله عند الكرب ((الله ربي لا أشرك به شيئاً)).

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرمضاء فلم يُشْكِنا -أي لم يرفع شكوانا- وقال ((أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها تدفع تسعة وتسعين باباً من الضر أدناها الهم والفقر)).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من قال لا إله إلا الله قبل كل شيء، ولا إله إلا الله يبقى ربنا ويفنى كل شيء، عوفي من الهم والحزن)).

وعن أسماء بنت عميس قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((هل في البيت إلا أنتم يا بني عبد المطلب)) قلنا: لا يا رسول الله، قال ((إذا نزل بأحدكم هم أو غم أو سقم أو أزل أو لأواء)) قال: وذكر السادسة ونسيتها ((فليقل: الله الله ربي لا أشرك به شيئاً)).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، من قالها عشر مرات حين يصبح كتب له بها مائة حسنة، ومحي عنه بها مائة سيئة، وكانت له عدل رقبة، وحفظ بها يؤمئذ حتى يمسي، ومن قال مثل ذلك حين يمسي كان له مثل ذلك)).

خامساً: فعل الصالحات: بأن يحافظ المسلم على الطاعات، ولا سيما أن يعمل نقيض تلك الأسباب التي تسبب البلاء، فيؤدي الأمانة بدلاً عن الخيانة، والبر بدلاً الفجور، والصلة بدلاً عن القطيعة، وأكل الحلال بدلاً عن الحرام، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((لا تزال أمتي بخير ما تحابُّوا، وأدُّوا الأمانة، واجتنبوا الحرام، وأقروا الضيف، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، فإن لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالسنين والقحط)).

جعلنا الله وإياكم ممن يعمل بما يعلم، وينتفع بما يسمع، إنه عليٌّ كبير، وهو على كل شيء قدير.

١٨- مكفرات الذنوب

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المذكور بكل لسان، المشكور على كل إحسان، المعبود في كل مكان، ذي المنن التي لا يحصيها العادون، والنعم التي لا يجازيها المجتهدون، والصنائع التي لا يستطيع دفعها الجاحدون، والدلائل التي يستبصر بنورها الموجودون، أحمده جاهراً بحمده، شاكراً لرفده، حمد موفقٍ لرشده، واثِقٍ بوعده، له الشكرُ الدائمُ، والأمرُ اللازم.

اللهم إني أُشهدك وأنت أقرب الشاهدين، وأشهد ملائكتك المقربين، وعبادك الصالحين، من الجِنَّةِ والناس أجمعين، أني أَشهد بسريرةٍ زكيةٍ، وبصيرةٍ من الشك بريَّةٍ، أنك أنت اللهُ ربي لا أشرك بك أحداً، ولا أجد من دونك ملتحداً، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الذي لا يدخل في عَدَد، والفردُ الذي لا يقاس بأحد، علا عن المشاكلة والمناسبة، وخلا من الأولاد والصاحبة، شهادةً أعتقدها بإخلاص وإيقان، وأعدُّها طمعاً في الخلاص والأمان، أُسِرُّها تصديقاً بربوبيتك، وأظهرها تحقيقاً لوحدانيتك، لا أَصُدُّ عن سبيلها، ولا أَلحدُ في تأويلها.

وأشهد أن محمداً نبيُّه المرسلُ، ووليُّه المفَضَّلُ، وشهيدُه المعَدَّلُ، المؤيد بالنور المضي، والمسدَّدُ بالأمر المرضي، بعثه بالأوامر الشافية، والزواجر الناهية، والدلائل الهادية، التي أوضح برهانها، وشرح بيانها، في كتاب مهيمن على كل كتاب، جامع لكل رشد وصواب، فيه نبأ القرون، وتفصيل الشؤون، وفرض الصلاة والصيام، والفرق بين الحلال والحرام، فدعى إلى خير سبيل، وشفى من هيام الغليل، حتى علا الحقُّ وظهر، وزهق الباطلُ وانحسر، صلى الله عليه وآله صلاة دائمة ممهدة، لا تنقضي لها مدة، ولا تنحصر لها عدة.

أما بعد: أيها المؤمنون: يقول الله تعالى **{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى}**، ويقول تعالى: **{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ}**، ويقول تعالى: **{أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ}**، الذنوب حجاب عن رحمة الله، وهي أعظم أسباب البعد عن الله،

وأشد المقسيات للقلوب، وهي التي تمنع الإنسان من الإستجابة لداعي الله، والتأثر بالمواعظ والعبر، والذنوب تجعل حجاباً بين العبد وبين ربه، وتحول بينه وبين كل ما يحبه، الذنوب سموم مهلكة، وسهام مسمومة، والسبب في دخول الإنسان في النار وخلوده في العذاب والخزي والهوان، وهي جرأة على الله، ومجاوزة للحدود، ومخالفة للمعبود، وسلوك لطريق الكفران والجحود، لأن العاصي المرتكب للذنوب مخلٌ ومقصرٌ وتاركٌ للشكر الواجب عليه للمنعم الذي مَنّ عليه بأصول النعم، والشكرُ هو بالطاعةِ والإمتثال، والمعصيةُ مخالفةٌ، والمخالفةُ كفرٌ للنعمة، ولْيعلم العبدُ العاصي أنَّ مجموعَ الضرر الدنيوي والأخروي حاصلٌ بسبب الذنوب، فإذا علم الإنسانُ هذا فعليه أن يثير لواعج الخوف في قلبه، ويحرك آثار الفزع في لبه، ليكون ذلك داعياً إلى الإقلاع في الحال عن الذنوب، وسرعة المبادرة في الرجوع إلى علام الغيوب، فإذا أحاطت الحسرة والندامة بالقلب حصل التأسف على التفريط فيما مضى، والتلهف على ما فاته في ما قد سلف وانقضى، فيدعوه ذلك إلى أن يندم ندماً يظهر على جوارحه، ويبين على صفحات وجهه وقواسمه، ويرسل القلب من خلال ذلك الندم والحسرة والأسف أوامرَ إلى العين أن تذرف دمعها، لتبرد لوعة الموقف، ويبين بها صدق الإعتراف من التائب المعترف، وبعد الندم يحصل للقلب حالة العزم على فعل الطاعة والإقلاع عن المعصية في الحال والإستقبال، عزماً قوياً لا يشوبه الوهن، وانطلاقاً صريحاً لا يختلجه خدع ولا مكر ولا سوء ظن.

فإذا وصل العبد إلى هذه الحال يكون قد ألم بالتوبة من جميع الأطراف، وأحاط بجوانبها إحاطة أحكمها صحة الإعتراف، فيطلق عليه حينئذ اسم التائب، ومن تاب فلن يكون من عفو الله ورحمته بخائب، فما عليه إلا الإستمرار، والإكثار من الذكر والدعاء والإستغفار، والتنحي والبعد عن دواعي الذنوب والأوزار، ومراقبة الله في الإعلان والإسرار، حتى يذوق حلاوة الرجوع، وتسيل قسوة القلب بالخوف والجزع والخشوع، ويظهر لله التذلل والإنابة والخضوع، ويقمع داعي الشهوة فيرفض بها الولوع.

والإنسان – أيها الأحبة المؤمنون – مُعَرَّضٌ في كل يوم لزيادة الذنوب، وتراكم العيوب، كيف لا، وأعداؤه يحيطون به من كل جانب، فالشيطان يوقعه في العظائم، والهوى يجعله يرتطم في شباك المصائب، والنفس الأمارة بالسوء تسول له وتسهل عليه تلك المطالب، وقرناء السوء يعينونه على المعاصي، فلا بد أن نجعل لنا ما يكون للذنوب مكفراً، وللخطايا غافراً.

ومن رحمة الله بنا، وتفضله علينا، فقد هيء لنا أسباباً، وفتح لنا أبواباً، إذا أخذنا بتلك الأسباب، ودخلنا تلك الأبواب، كفر عن الذنوب والسيئات، ومحى عنا الأوزار والخطيئات، وأقال لنا العثرة، فإليك أخي المؤمن الحريص على نفسه بعض مكفرات الذنوب، التي تمحو الأدران، وتنفع الإنسان، وتقربه إلى الرحمن:

فأول المكفرات: هو التوبة: وهي أعظم طاعة يقدمها العبد أمام ذنوبه، وأقوى ماسح يمسح بها غشوات عيوبه، والتوبة هي مبدأ طريق السالكين، ورأس مال الفائزين، وأول أقدام المريدين، ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين.

فعن أنس بن مالك، قال، قيل: يا رسول اللّه، الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب، قال: ((ما من آدمي إلا وله خطايا وذنوب يقترفها، فمن كانت سجيّته العقل، وغريزته اليقين، لم تضره ذنوبه)) قيل: وكيف ذاك يا رسول اللّه؟ قال: ((لأنَّه كلما أخطأ لم يلبث أن يتدارك ذلك بتوبة، وندامة على ما كان منه، فيمحو ذلك ذنوبه، ويبقى له فضل يدخل به الجنة)).

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: ((يا علي ما من دار فيها فرحة إلا تبعتها ترحة، وما من هَمٍّ إلا وله فرج إلا هم أهل النار، وما من نعيم إلا وله زوال إلا نعيم أهل الجنة، فإذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها سريعاً وعليك بصنائع الخير؛ فإنها تدفع مصارع الشر)).

الثاني من مكفرات الذنوب: هو الإستغفار: فعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه الحسين عن علي عليهم السلام، قال، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((لكل داء دواء، ودواء الذنوب الإستغفار)).

وعن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من ختم يومه يقول عشر مرات: أستغفر الله العظيم التواب الرحيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم أستغفره وأتوب إليه اللهم اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم، إلا غفر له ما كان منه في يومه، ومن قال لها في الليل إلا غفر له ما كان منه في ليلته)).

وقبول الإستغفار وصدقُه، مترتب على صدق التوبة، فإذا خلصت التوبة، كان الإستغفار صحيحاً،

وإذا لم تخلص كان الإستغفار مشوباً، وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه.

بسم الله الرحمن الرحيم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظيم شأنه، الواضح برهانه، أحمده على حسن البلاء وتظاهر النَّعماء، وأستعينه على ما آتانا من الدنيا والآخرة، وأتوكل عليه، وكفى بالله وكيلاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، ويميت ويحيي وهو على كل شيء قدير إلهاً واحداً صمداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يشرك في حكمه أحداً، رب كل شيء، وربنا ورب آبآئنا الأولين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صَلى الله عَلَيه وَآلِهِ وسلم أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ارتضاه لنفسه، وانتجبه لدينه، واصطفاه على جميع خلقه لتبليغ الرسالة بالحجة على عباده، فصلى الله عليه وعلى أهل بيته الأخيار الصادقين الأبرار.

أما بعد أيها المؤمنون: نواصل معكم بقية مكفرات الذنوب:

الثالث: إسباغ الوضوء وإتمام الصلاة

فإن للعبادة والطاعة دور كبير، ومجال واسع، في محو الذنوب وتكفيرها، فالطاعة ضد للمعصية، والمعصية ضد للطاعة، والطاعة تسبب في الثواب والحسنات، والحسنات يذهبن السيئات، والوضوء والصلاة من أعظم الطاعات، وأيسر العبادات، المكفرة للخطيئات، وهي متكررة في اليوم والليلة خمس مرات، لا يبقى معها شيء من الأوزار لمن تاب وأناب.

فعن علي عليه السلام، قال: قال النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((ألا أدلكم على ما يكفِّر اللّه به الذنوب والخطايا: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلك الرباط)).

وعن أبي سعد الخدري، قال، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((ألا أدلكم على ما يكفر اللّه به الخطايا، ويزيد به في الحسنات؟ قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطَى إلى المسجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فما منكم من رجل يخرج من بيته متطهراً فيُصَلّ في الجماعة مع المسلمين، ثم يجلس في مجلسه ينتظر الصلاة الأخرى، إلا والملائكة

تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، فإذا قمتم إلى الصلاة فسووا صفوفكم، وسدوا الفُرَج، فإني أراكم من وراء ظهري، وإذا قال إمامكم: اللّه أكبر. فقولوا: اللّه أكبر، فإذا ركع فاركعوا، وإذا قال: سمع اللّه لمن حمده. فقولوا: ربنا لك الحمد، وخير صفوف الرجال المقدَّم، وشرها المؤخَّر، وخير صفوف النساء المؤخَّر، وشرها المقدَّم)).

وعن عبد اللّه بن مسعود أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، قال: ((إذا توضأ العبد المؤمن، خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه، فإذا غسل يديه، خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه، قال: ثم كان مشيه إلى المسجد نافلة له)).

وعن الإمام الشهيد زيد بن علي، عن آبائه، عن عَليّ كرم الله وجهه قال:(الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتُنبَت الكبائر، وهي التي قال الله تعالى **{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}**.

الرابع من مكفرات الذنوب: قيام الليل: فعن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أذنب ذنباً فذكره فأفزعه، فقام في جوف الليل فصلى ما كتب الله له، ثم قال: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، غُفِرَ له ما لم تكن مظلمة فيما بينه وبين عبد مؤمن، فإن ذلك إلى المظلوم)).

وعن بلال قال، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: « عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله وتكفير للسيئات، ومنهاة عن الإثم، ومطردة لداعي الحسد)).

الخامس من المكفرات: ذكر الله تعالى: فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ما على الأرض رجل يقول لا اله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كفرت عنه ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر)).

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من قال في سوق لا إله إلا الله

وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتب الله له بها ألف ألف حسنة ومحا عنه بها ألف ألف سيئة وبنى له بيتا في الجنة)).

وعن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((أيعجز أحدكم أن يكسب في اليوم ألف حسنة قال: ومن يطيق ذلك قال: يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة وتمحى عنه ألف سيئة)).

فهيا بنا أيها الأحبة لنأخذ بهذه النصائح والإرشادات النبوية، كي نحصل لنا الكثير من الحسنات التي نحتاج إليها بعد الممات، وأثناء الحساب في العرصات، قبل أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين.

وها نحن نستقبل وإياكم شهر التوبة والصيام، فلنستقبله بالتوبة، والرجوع والأوبة، حتى يدخل علينا وقد طهرنا أنفسنا من الذنوب، وسترنا أحوالنا من العيوب، حتى نعمل الصالحات فتكون مقبولة، ونثابر على الطاعات بصدق وعزيمة.

وفقني الله وإياكم للتوبة، وعصمنا من الخطايا والحوبة، إنه على كل شيء قدير.

١٩- الصدق والكذب

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ ذِي المجْدِ والثَّنَاءِ، وَالفَضْلِ وَالعَطَاءِ، الَّذِي عَمَّتْ نِعْمَتُهُ، وَفَاضَتْ رَحْمَتُهُ، وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ، مُبْدِئُ الخَلْقِ وَالبَشَرِ، وَمُنْبِتُ النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، وَمُنْشِئُ الغُيُوثِ والسَّحَائِبِ، وَمُدَبِّرُ الأَفْلَاكِ وَالكَوَاكِبِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، شَهَادَةً تَخْلُصُ بِهَا الطَّوِيَّةُ، وَكَلِمَةً تَدْعُو بِهَا البَرِيَّةُ.

وأشهدَ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالبَيَانِ اللائِحِ، والبُرْهَانِ الوَاضِحِ، إلى أُمَّةٍ غَاوِيَةٍ، يَعْبُدُونَ الوَثَنَ، وَيَمْحُونَ السُّنَنَ، فَعَلَّمَ الجَاهِلَ، وعَدَّلَ المائِلَ، وأَوْضَحَ الخَفِيَّ، وَأَرْشَدَ الغَوِيَّ، فَصَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون: لقد جاءَ الإسلامُ آمراً بمكارم الأخلاق وداعياً إليها، وحاثاً ومرغباً فيها، وناهياً ومحذراً عن مساويء الأخلاق، ألا وإنَّ من مكارم الأخلاق لزومَ الصدق في الأقوال والأفعال، فإنَّ الصدقَ يهدي إلى البر، والبرُّ يهدي إلى الجنة، ولا يزالُ الرجل يصدُقُ، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، ولقد أمر الله بالصدق، وأثنى على أهله فقال تعالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}**، وقال تعالى: **{وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ، لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ}** ولقد رفع الله للصادقين ذكرهم في حياتهم وبعد مماتهم، فهم محلُّ ثَقَةِ الناس، وبذكرهم تطيب المجالس ويثنى عليهم كلُّ أحد، فالإنسانُ الصادقُ معتبرٌ بين الناس في حياته ومماته فهو موضع ثقتهم، في أخباره ومعاملته، وموضع ثناء حسن، ويترحمُ عليه الناسُ بعد وفاته.

أيها المؤمنون: إن من مساويء الأخلاق أن يكون الإنسان كاذباً في قوله وفعله، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا، ولقد أخبر الله تعالى في كتابه أن الكذب من صفات من لا يؤمنون بالله فقال تعالى **{إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ}**، وقد جعل النبي

صلى الله عليه وآله وسلم الكذب من علامات النفاق حيث فقال ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)) والله سبحانه وتعالى بحكمته وضع الكاذبين في الموضع اللائق بهم، فكانوا محلاً للقدح وعدم الثقة، وذلك جزاء الكاذبين.

فالصدقُ من أخلاق المؤمنين، وعلاماتِ المتقين، وسيماء الأولياء والصالحين، يتحرون الصدق ولو على رقابهم، ولو كان فيه هلاكهم في الدنيا، ولكن يتيقنون أن فيه نجاتهم في الآخرة، يتبعون النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في قوله ((تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة)).

والصدق درجة ومنزلة يحكم العقل والفطرة بحسنها، ووجوب التعامل بها، لأن العقل يقضي بالأمور الحسنة، وينهى عن الأمور السيئة القبيحة، ولقد كان للصدق وأهلِه مرتبةً عاليةً، ومكانةً ساميةً حتى قبل ورود الشرع الشريف بذلك، فقد كان أهل الجاهلية يمدحون الصادق ويحبونه، انظروا في الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله فإنه لما امتاز واشتهر في الجاهلية بالصدق لقب بالصادق الأمين، وكان لقباً مميزاً له عند الناس أجمعين.

وفي نقيض ذلك فإن المؤمن لا يمكن أن يكذب، لأنه يؤمن بآيات الله، يؤمن برسوله، يؤمن بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)).

ما أقبحَ غايةَ الكذب، وما أسفلَ مرتبةَ الكاذب، الكذبُ يفضي إلى الفجور وهو الميل والإنحراف عن الصراط السوي، ثم مصيرُ صاحبه إلى النار، وبئس القرار، ويا ويلَ أهلِ النار، والكاذبُ سافلٌ ساقط من عين رحمة الله ورعايته، لأنه مكتوب عند الله كذابًا، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((لا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً))، وبئس هذا الوصف لمن اتصف به، إن الإنسان لينفر أن يقال له بين الناس يا كاذب، فكيف يرضى أن يكتب عند خالقه كذابًا، وإن الكاذب لمحذور في حياته لا يوثق به في خبر ولا معاملة، وإنه لموضع الثناء القبيح بعد وفاته.

أيها المؤمنون: هناك بعض الأحوال التي يتساهل بها الناس، ويعدونها من الأمور الجائزة وهي من الكذب المنهي عنه، الذي ورد التهديد والوعيد عليه، ونذكر منها ما يلي:

أولاً: البعض من الناس يتخذ الكذب مهنة ليضحك به القوم فيألف ذلك ويعتاده، لما يرى من ضحك الناس عليه، ويستمر على عمله فيهون عليه، وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ثم ويل له)).

ثانياً: البعض من الناس يكذب على الصبيان، لأنهم لا يوجهون إليه النقد، ولكنه في الحقيقة أوقع نفسه في الكذب، وفتح لهم باب التهاون به، والتربي عليه، فعن عبد الله بن عامر أن أمه دعته ذات يوم فقالت له: تعالَ أعطك، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما أردت أن تعطيه))، قالت: تمرًا، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((أما إنك لو لم تعطه شيئاً لكتبت عليك كذبةً)).

ثالثاً: من أنواع الكذب الكذبُ في الرؤيا، فالبعض قد يخترع حلماً، أو يزيد فيه ما ليس فيه، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إِنَّ مِنْ أَفْرَى الْفِرَى أَنْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ))، والْفِرْيَةُ: هي الْكِذْبَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي يُتَعَجَّب مِنْهَا، ومعنى الحديثِ أنَّ من أعظمِ أنواعِ الكذبِ أن يقولَ الإنسانُ: رأيتُ في منامي كذا وكذا وهو في الحقيقةِ كاذب، لأن الرؤيا الصالحةَ جزءٌ من ستةٍ وأربعينَ جُزءًا من النبوةِ، وجزاءُ من يكذِب في إحدى أجزاءِ النبوةِ هو ما قاله رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ))أي من ادعى حلماً لم يره، فإن عقابه وعذابه أن يكلف أن يعقد بين شعرتين، كما يعقِد بين حبلين ولا يستطيعُ أحد أن يعقِدَ بين شعيرتينِ.

رابعاً: البعض من الناس يقسم الكذب إلى كذبة بيضاء، وكذبة سوداء، فتراه يكذب ويفتري وإذا تبين كذبه قال هذه كذبة بيضاء، مع أن الكذب لا يحل منه شيء في أي حالة من الحالات إلا على جهة التعريض في بعض الحالات كالخدعة في الحرب أو لأجل الإصلاح بين الناس.

والعجب من بعض الناس الذي يتخذ الكذبَ شطارةً ومهارةً، فيقابل هذا بوجه، وهذا بوجه، وشرُّ الناس ذو الوجهين، ثم يفتي نفسه بأن الكذبَ مباح، فيجمع بين الكذب على الناس، والكذب على الشريعة، وإن من أقبح الكذب أن يقرن الكاذب قوله باليمين الكاذبة، وأقبح من ذلك أن يتضمن كذبه أكلاً للمال بالباطل أيضاً، فيجتمع له ثلاث مساويء الكذب، والحلف عليه، وأكل المال بغير حق، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر

لقي الله وهو عليه غضبان)).

وفي هذه الأزمنة يكثر الكذب عند البيع والشراء والخصومة، فتجد البائع أو المشتري يكذب أن سلعته سيمت بكذا، أو دفع فيها كذا وكذا وهو كاذب، وقد يزيد على ذلك يميناً فاجرة، وقصده أن بنفق سلعته، أو يأخذ من أموال الناس زيادة في الثمن بسبب يمينه.

ويرى بعض الناس أن الغش والخداع حذق وعقل وفطانة، وغنيمة وكسب، فيفرح إذا غش غيره أو خدعه، ويرى أن ذلك منقبة له ورفعة، والواقع أن الغش والخداع سَفَهٌ وغُرْمٌ، ووضيعةٌ وهلاكٌ وخسارةٌ ودمارٌ، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إذا كَذَبَ العبدُ تباعدَ عنه المَلَكُ ميلاً من نَتَنِ ما جاءَ به)).

جعلني الله وإياكم من الصادقين، وجنبنا طبائع الكاذبين، إنه على كل شيء قدير، وهو بكل شيء عليم، بسم الله الرحمن الرحيم **{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}**، بارك الله العظيم لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعني وإياكم بما فيه من المواعظ والذكر الحكيم، إنه تعالى جواد كريم، بر رؤوف رحيم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لا غاية له ولا انتهاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين والأنبياء، صلوات الله عليه وعلى آله الأتقياء.

أما بعد أيها المؤمنون: إن من علاماتِ الساعة أن يفشوَ الكذبَ، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((لا تقوم الساعةُ حتى تظهرَ الفتنُ، ويكثرَ الكذبُ، وتتقاربَ الأسواقُ، ويتقاربَ الزمانُ، ويكثُرَ الهرجُ))، قيل: وما الهرجُ؟ قال: ((القتل))، ومن علاماتِها أن يصدَّقَ الكاذبُ، وتستقبِله وسائلُ الإعلامِ ليتكلم بالكذب، وفي المقابلِ يُكذَّبَ الصادقُ، ويُتهم بما ليس فيه، ولا يسمحُ له بالكتابةِ أو الظهورِ للإدلاء بكلمة الحق والصدق، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن أمامَ الدجالِ سنينُ خَدَّاعةٌ؛ يُكَذَّبُ فيها الصادقُ، ويُصدَّقُ فيها الكاذبُ، ويُخَوَّنُ فيها الأمينُ، ويُؤتمنُ فيها الخائنُ، ويَتَكلمُ فيها الرويبضةُ))، قيل: وما الرويبضةُ؟ قال: ((الفويسقُ يتكلمُ في أمرِ العامةِ)).

فاحذروا رحمني الله وإياكم من الكذب، فإنه بئس الطريقة والمذهب، والكذب أنواع وأقسام، فمنها الكذب في عبادة الله، فاحذروا أن تعبدوا الله رياءً أو سمعةً أو خداعًا ونفاقًا، ومنها الكذب في اتباع رسول الله لا تبتدعوا في شريعته ما ليس فيها، ولا تخالفوه في هديه فتضلوا، ومنها الكذب على الناس لا تخبروهم بخلاف الواقع، ولا تعاملوهم بخلاف الحقيقة.

أيها المؤمنون: الكذب من خصال المنافقين، كما قال تعالى **{وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}**، وكما يقول تعالى **{فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}**، وكما يقول جل جلاله: **{إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ}**.

والعجب من بعض المنخدعين الذين يستمرؤون الكذب، ويفتون أنفسهم بحله وجوازه، ويتساهلون في أمره: فترى الرجل يكذب إما تهاوناً بالكذب، وهو معصية خطيرة، وأشد الذنوب ما

تهاون به صاحبه، وتراه يكذب إما لاعتقاد فاسد: حيث يظن أن الكذب لا يحرم إلا إذا تضمن أكل مال الغير، أو الإضرار بالغير، وتراه يكذب لطمع مادي يتمتع به في دنياه، وإما لتقليد أعمى لا هداية فيه، وكل ذلك خداع للنفس، وتضليل للفكر، فالتهاون بالكذب عنوان الرذيلة، فالكذبة الواحدة تخرق السياج الحائل بينك وبين الكذب، حتى لا يبقى دونه حائل، فالكذب كغيره من المعاصي تستوحش منه النفس المطمئنة الراضية المرضية، فإذا وَقعتَ في الكذب مرةً هان عليك شأنه، ثم تقع فيه ثانيًا فيهون عليك أكثر، حتى يصبح أمراً مألوفاً، كأنه سجية وطبيعة، فيكذب ويتحرى الكذب بدون حياء من الله ولا حشمة من الناس.

أيها المؤمنون: الكذب مراتبُ ودرجاتٌ متفاوتةٌ في القبح:

فأعظمُ الكذبِ وأشدُّه الكذبُ على الله كما قال تعالى **{فَمَنِ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}** ويقول تعالى **{انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا}** وقال تعالى**{قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ}**، ومن الكذب على الله تعالى الفتوى والحكم بغير ما أنزل الله، والتغرير والتلبيس على الناس بأنه من الصالحين، وأهل التقوى واليقين، وهو بخلاف ذلك.

ويتلوه في القبح والجرأة الكذبُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو من الذنوبِ الموجبةِ لدخولِ النارِ، وذلك بأنْ يقولَ: قالَ رسولُ الله وهو كاذبٌ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إنَّ كَذِبًا عَليَّ ليسَ كَكَذِبٍ على أحدٍ، فمن كَذَبَ عليَّ متعمدًا فليتبوأْ مَقْعَدَه من النارِ)).

ثم يأتي بعده الكذب على أئمة الهدى وعلى العلماء العاملين لكي يزين للناس قبح فعله الذي يلومه عليه الناس، فيأتي لينسب فعله ذلك إلى العالم ليصدقه الناس ويتبعوه في كذبه، وما أكثر الكذب على الله ورسوله وعلى أهل العلم في هذه الأزمنة.

ومن جملة الكاذبينَ: من ينقلُ حديثًا وهو يعلمُ أنه كَذِب، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من حَدَّثَ حديثًا وهُو يرى أنَّه كَذِب فهو أحدُ الكاذبينَ))، وهذا يدلُّ على وجوبِ التثبتِ، وعدمِ نشرِ ما

يغلِبُ على الظنِ كَذِبُه، إما لبُعدِه وغرابتِه، أو لصدورِه من معروفٍ بالكذبِ، أو لكونه في مؤمن يبعُدُ أن يقعَ منه ذلكَ، وكذلك الثرثارُ الذي يحدِّثُ بكل ما سمعَ هو من جملة الكاذبينَ أيضًا، قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((كفى بالمرءِ كذِبًا أن يحدِّثَ بكلِّ ما سمِع)).

أيها المؤمنون: للكذب دابَّة يسيرُ عليها، ومَطِية ينتشرُ بها، وهي أن يقول: قالوا أو سمعنا أو قرأنا أو نحوِ ذلك من العباراتِ الناتجة عن تخمين وعدم يقين، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ((بئس مَطِيَّةُ الكَذِبِ زعموا))، أي بئس المطيةُ للكذب كلمةَ زعموا، قال عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه: (إنَّ الشيطانَ ليتمثلُ في صورةِ الرجلِ، فيأتي القومَ فيحدِّثُهم بالحديثِ من الكَذِبِ، فيتفرقون، فيقولُ الرجلُ منهم: سمعتُ رجلاً أعرفُ وجهَهُ ولا أدري ما اسمُه يحدِّث).

فإذا كان في المجتمعِ من ينقُل الأخبارَ وهو يعلمُ كَذِبها، ومَن يحدِّثُ بكلِّ ما سمعَ، ومَن يجعل مطيته في كذبه زَعموا أو قالوا أو سمعنا أو قرأنا، إذا كانَ هذا في المجتمعِ ترعرعتْ الإشاعات، وبلَغَتْ عَنانَ السماءِ، ولا يخفى على عاقلٍ خطرُ الإشاعات الكاذبة في المجتمعِ، فكم من بيتٍ حطَّمتْ سمُعَته، وكم من مسلمٍ ظلمتْه، وكم من بريء اتهمته، وكم من عِرضٍ هتكته، وقد أعد الله تعالى لمن ينشر الإشاعات الكاذبة عذاباً عظيماً في القبر، وهو أن يقومَ عليه قائمٌ بكَلّوبٍ من حديدٍ، فيُدْخِلُ ذلك الكلّوبَ في شِدْقِه، فيُشَرْشِرُ أحدَ شِدْقَيهِ حتى يبلُغَ قَفاه، ثم يَفْعَلُ بالشدقِ الآخرِ مثلَ ذلك، ثم يعودُ للشدقِ الأولِ فإذا هو قدْ التئمَ على هيئتِه الأولى، فيُشرشِرُه إلى قفاه، ثم يعودُ إلى الآخرِ، كما جاءَ ذلك الوعيد عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وهكذا يُعَذَّبُ في القبر، لأنَّه يَكذِبُ الكِذْبةَ فتنتشر بين الناس.

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، واحذروا الشائعاتِ ونشرَها، فإن أعظم الفساد أن يتكلمَ الإنسانُ بكلِ ما سمعَ.

وكثيرًا ما تكونُ الإشاعات مواكبةً للأزماتِ، ومتكاثرةً في أوقاتِ النكباتِ، والمشكلاتِ الشخصيةِ والعائليةِ، فتبدأُ عناكِبُ الفساد بنسجِ القِصصِ والمواقفِ النابعةِ من تصوراتِهم وخيالاتِهم وتحليلاتِهم، وتنشرُها بين الآخرينَ، إما بغرَضِ التسليةِ، أو بغرضِ التشهيرِ، أو بغرض التشفي، لتجدَ

الجميعَ في النهاية يتحدثونَ فيها زوراً وكذباً.

وأخطرُ الإشاعاتِ أن تكونَ على يدِ من نثِقُ بهم، ويعتبرُهم المجتمعُ أهلَ العلمِ والمعرفةِ والثقافةِ، فهؤلاءِ أكثرُ خطرًا باعتبارِهم أكثرَ تأثيرًا في نفوسِ الآخرينَ، فلا بدَّ من التريُّثِ والانتباهِ لكلِّ ما نتلقاه، ولابد أن نلجأُ إلى إعمالِ العقلِ والتفكيرِ، لا أن نكونَ مجردَ إمّعاتٍ نتلقى ونقلّدُ وننشُرُ، فخطرُ الإشاعةِ على المجتمعِ يفوقُ أخطرَ الأمراضِ، فهي أكبرُ فتكًا وأكثرُ تأثيرًا، وتستحِقُّ منا حِرصًا ووعيًا وإدراكًا نصل به إلى جادةِ الحقِ والصوابِ.

وقد أعد الله لمن ترك الكذب ثواباً عظيماً كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أَنَا زَعِيمٌ – أي كفيل وضامن– بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ –أي في أدنى الجنة– لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ))، ويقول صلى الله عليه وآله وسلم ((دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ، فإن الصدقَ طمأنينةٌ، وإن الكَذِبَ ريبةٌ)).

فاتقوا الله أيها المسلمون، والزموا الأخلاق الفاضلة، وتجنبوا الأخلاق السافلة، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين، وفقني الله وإياكم لمكارم الأخلاق ومحاسن الخلال، ورزقنا الصدق في الأقوال والأعمال، وجنبنا منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء، إنه جواد كريم.

٢٠- الأمانة

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الْمُسْتَحْمِدِ لِفَضْلِهِ، الْمُسْتَعْبِدِ لِعَزِيمَةِ سُلْطَانِهِ، الدَّائِمِ فِي مُلْكِهِ وَبَقَائِهِ، العَدْلِ فِي حُكْمِهِ وَقَضَائِهِ، الَّذِي خَلَقَ الأَشْيَاءَ بِحِكْمَتِهِ، وَرَزَقَ الأَحْيَاءَ بِرَحْمَتِهِ، وَأَمْضَى الدُّهُورَ عَلَى مَشِيَّتِهِ، لَا يُرَادُّ فِي حُكْمِهِ، وَلَا يُضَادُّ فِي عِلْمِهِ، وَلَا يُشَارَكُ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يُغَالَبُ فِي بُرْهَانِهِ، لَهُ الْمِنَّةُ العَالِيَةُ، وَمِنْهُ النِّعْمَةُ السَّابِغَةُ، بِيَدِهِ رِزْقُ البَشَرِ، وبِإِذْنِهِ يَجْرِي القَدَرُ.

وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ شَهَادَةً أَوْجَبَتْهَا شَوَاهِدُ بَقَائِهِ وَقِدَمِهِ، وَكَلِمَةً حَبَّبَهَا إِلَيْنَا عَوَائِدُ آلائِهِ وَنِعَمِهِ.

وَأشهد أَنَّ مُحَمَّدَاً صَلَّى الله عليه وآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ ورسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالحَقِّ، وأَنْطَقَهُ بِالصِّدْقِ، بَشِيراً لِلْمُتَّقِينَ، وَنَذِيراً لِلْمُعْتَدِينَ، فَشَرَعَ الدِّينَ، وَهَدَى الضَّالِّينَ، فَصَلَّى اللهُ عليهِ وعلى أهلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المسلمون:

من المواضيع ذات الأهمية البالغة التي نحتاج إليها في حياتنا ومعاملاتنا، هي الأمانة، وهي من مكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، بل من علامات الإيمان، ودلالات الفضل والإحسان.

قال الله عز وجل **{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}**، وقال سبحانه **{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}**، وقال تعالى في صفات المؤمنين: **{وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}**، ولقد كانت الأمانة من صفات ملائكة الله المقربين، كما وصف الله جبريل الأمين بها في قوله تعالى **{مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِيْن}**، وقوله تعالى: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ}**.

والأمانة أيضاً صفة الأنبياء عليهم السلام، لأنهم لما كانوا متحملين لأعباء الرسالة والتبليغ فلا بد أن تتوفر فيهم هذه الصفةُ الهامة، فقد وصف الله بها أنبيائه عليهم السلام، وكانوا أيضاً معروفين بها بين

قومهم، فهود عليه السلام يقول لقومه **{وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ}**، ونوح وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام كل واحد منهم يقول لقومه **{إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ}**.

فشخصية المسلم تتميز بالأمانة لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ((لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)) ولِعِظَم الأمانة وضخامتها وما تشتمل عليه من أحكام الدين الشرعية، فإن ضعاف الشخصيات لا يستطيعون حملها.

ولأهمية الأمانة فقد جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم تضييعها من علامات الساعة، في قوله: ((إذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة، قالوا: وكيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله، فانتظروا الساعة)).

ولحاجة الناس إليها في دينهم ودنياهم، فإنها أول ما يفقدون من أحوالهم وشؤونهم، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخرها الصلاة))، وروي عنه أنه قال ((يصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن من بني فلان رجل أمين)).

ومكانُ الأمانةِ صدورُ الرجال وأعمالهم تدل عليها، ومنها يتعلم الرجل الوفاء وصفات الخير، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الأمانة نزلت في جذور قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة)).

وقد أمرنا بأداء الأمانة، ولو إلى من يخون، ونُهينَا أن نقابله بالضد، كما يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك)).

ولقد أصبحنا في هذا الزمان الذي قلت فيه الأمانة بل عدمت، وأصبح أهله من حثالة الحثالة، كما قد أخبر بذلك النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فيما روي عنه أنه قال لأصحابه ذات يوم ((كيف بكم وبزمان، - أو يوشك أن يأتي زمان -، يغربل الناس فيه غربلة، تبقى حثالة من الناس، قد مَرَجَت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه))، فقالوا: كيف بنا يا رسول الله، فقال: ((تأخذون ما تعرفون، وتذرون ما تنكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم وتذرون أمر عامتكم)).

وفي رواية أخرى: بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ ذكر الفتنة فقال: ((إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم، وكانوا هكذا))، وشبك بين أصابعه، قال الراوي: فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ قال: ((الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة)).

فقد شبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحال الذي يصل إليه الناس إذا فسد العهد، وفسدت الأمانة، بالاضطراب والتشابك وتَعَقُّد الأمور، فشبك النبي صلى الله عليه وسلم بين أصابعه لكي يعطي تصوراً للواقع الذي تصل إليه الأمة، وأيُّ سوء لواقع ولوضع لا يُعرف فيه الأمين من الخائن؟!، ولا يُعرف البر من الفاجر؟!، ولا الصالح من الطالح؟!، أي مصيبة لوضع وحال تكثر فيه الخيانات، وتضعف فيه العهود على مختلف الطبقات والمستويات، ويكثر فيه القيل والقال، يصل الحال إلى حد التشابك والإختلاط، التشابك في التصورات، والتشابك في الرؤى، والتشابك في معرفة العلاج لكثير من صور الخيانات، ونقض العهود، كيف يكون حال الأمة إذا أصبحت الخيانة هي السلعة الرائجة، وكيف حال مجتمع يقدم فيه الخائن، ويؤخر فيه الأمين.

إذا قَلَّت الأمانة عند الناس، أو انعدمت عند البعض الآخر، فإنه لا يتورع حينئذ فيما يأخذ وفيما يدع، كم في المجتمعات من أبرياء ومساكين، يشتكون أنهم قد سلبت حقوقهم، وأخذت أموالهم.

أيها المؤمنون: الأمانة مسئولية عظيمة، إنها عبء ثقيل إلا على من خففها الله عليه لقد أصاب مفهومُ الأمانة ما أصاب غيره من المفاهيم الإسلامية، من سوء الفهم، وسوء المعرفة، فأصبح مفهومُ الأمانة محصوراً في حدودٍ ضيقة، ومفاهيم قاصرة.

الأمانة ليست مقصورة على أداء الأموال، والوفاء بالعهود فقط، ورد الودائع فقط، بل هي تسع المشارق والمغارب بكل معانيها، فهي لؤلؤة نفيسة، وجوهر نقي، ومعدن أصيل في يد صائغ نبيل.

فالأمانة لها معان في العبادات والمعاملات:

فالأمانة في العبادات: هي الأمانة التكليفية، التي ألزمك الله بها وحملك إياها، وهي أن تقوم بطاعة الله تعالى مخلصًا له، متبعًا لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، تمتثل أوامره وتجتنب نواهيه، تخشى الله في

السر والعلانية، تخشاه حيث يراك الناس وحيث لا يرونك، ولا تكن ممن يخشى الله في العلانية ويعصيه في السر، فالأمانة تعني المحافظة على العبادات والمعاملات.

جعلني الله وإياكم ممن يؤدون الأمانة، ويجتنبون الخيانة، فإنه ولي الإحسان، وفقنا وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}، وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين، وأثني عليه ثناء الذاكرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليلُه، المبعوث إلى الثقلين أجمعين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها الإخوة المؤمنون:

الأمانة في المعاملات: قوة وكفاءة في حفظ الحقوق، كما قال يوسف عليه السلام لما قال له مَلِكُ مصر (إنك اليوم لدينا مكين أمين، قال: اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم)، فلم يستند يوسف عليه السلام في استحقاقه منصب الولاية المالية إلا إلى أنه يحسن الحفظ والرعاية للمال من الضياع والتفريط والإهمال، وإلى علمه بإدارة شؤون المال والتصرف فيه، وأين يضعه وفيما يضعه، ومتى يمنعه وممن يمنعه، وهذا يعني الكفاءة والخبرة، وكما قالت ابنة شعيب لأبيها لما رأت من موسى القوة على حفظ الأمانة: {يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين}، فقد علمت ابنة شعيب قوة نبي الله موسى من تمكنه لوحده من نزع الماء من البئر بدون مساعدة أحد، وعلمت أمانته من عفته ونزاهته مع فقره وشدة حاجته، حيث لم ينظر إليه بسوء، ولم يأخذ من أغنامها شيئاً مقابل عمله، فالأمانة إذاً تعني وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، أي أن نختار للأعمال أحسن الناس قيامًا بها، وأكملهم في أدائها.

فالأمانة تعني: أن يحرص الرجل على أداء عمله المنوط به كاملاً، وأن يحسن فيه تمام الإحسان بدون تقصير ولا إهمال ولاتوانٍ، بل بإخلاص وجد واجتهاد، لأن استهانة الفرد بما كلف به هو من أسباب انتشار الفساد في كيان الأمة ومن أسباب تداعيه وتطوره.

وخيانة الأعمال تتفاوت إثمًا ونكراً، وأشدها شناعة، خيانة الدين، وخيانة المسلمين، وخيانة البلدان والمجتمعات.

ومن أهم معاني الأمانة أن يتعفف المسلم عن استغلال المنصب، وأن يحرص على رفض المكاسب المشبوهة وتركها، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من استعملناه منكم

على عمل فكتمنا مخيطاً فما فوق كان غلولاً يأتي به يوم القيامة)).

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استعمل رجلاً على الصدقات، فلما جاء حاسبه، فقال: هذا مالُكم، وهذا هدية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((فهلا جلست في بيت أبيك وأمك، حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً) ثم خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أما بعد: فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله ، فيأتي فيقول: هذا مالكم، وهذا هدية أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته، والله لا يأخذ أحد منكم شيئاًبغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر)، ثم رفع يده حتى رؤي بياض إبطه، وهو يقول: ((اللهم هل بلغت)).

ومن الأمانة في المعاملة: أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، من النصح والبيان، وأن تكون حافظًا لحقوقهم المالية وغير المالية من كل ما استؤمنت عليه ولو كان أمراً سهلاً.

فمن الأمانة: أن تحفظ حقوق المجالس التي تحضرها، فلا تفشي أسرارها، ولا تنشر أخبارها، فكم من حبال موصولة تقطعت، ومصالح تعطلت، بسبب استهانة بعض الناس بأمانة المجلس، وتكون الأمانة بين الرجل وصاحبه يفضي له بحديث يأتمنه عليه، ولا يحب أن يطلع عليه أحد، ثم يفشي سره ويحدث به الناس، وفي الحديث ((إذا حدث الرجل رجلًا بحديث ثم التفت فهو أمانة))، لأن التفاته دليل على أنه لا يحب أن يسمعه ولا يعلم به أحد.

وتكون الأمانة حتى بين الرجل وزوجته، كما قال صلوات الله عليه وآله: ((إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها))، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوماً والرجال عنده، والنساء قعود عنده في ناحية فقال: ((لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها))، فأَرَمَّ القوم أي سكتوا وَجِلِيْن فقالت أسماء بنت يزيد: إي والله يا رسول الله، إنهم ليفعلون، وإنهن ليفعلن، قال: ((فلا تفعلوا، فإنما ذلك مثل شيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون)).

ومن أهم خصال الأمانة: المحافظة على الأبناء وتربيتهم تربية سليمة وتنشئتهم على الأخلاق الفاضلة، وتذكيرهم بثواب الله، وتخويفهم من عقاب الله حتى ينشأ الفتى دائم المراقبة لله.

فأين الأمانة من كثير من الأولياء اليوم؟.

أين الأمانة ممن ينصب في بيته الأجهزة التي تبث البرامج التي تغضب الله عز وجل؟، وتسعى في نقض عرى الإسلام عروة عروة، وتسبب في غرس تقاليد الكفار وعاداتهم ومحاربة الفضائل الشريفة.

أين هذا من أمانة الأولاد، فلنتق الله ولننظر إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت، هو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة))، **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ}**.

ومن الأمانة صون العلم ورعايته، وتعليمه ونشره، كما يفعل العلماء العاملون الأبرار، وكما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم)).

وتكون الأمانة في البيع والشراء والإجارة والاستئجار فلا يجوز للبائع أن يخون المشتري بنقص في الكيل أو الوزن، أو زيادة الثمن، أو كتمان العيب، أو تدليس في الصفة، ولا يجوز للمشتري أن يخون البائع بنقص في الثمن، أو إنكار أو مماطلة مع القدرة على الوفاء، ولا يجوز للمؤجر أن يخون المستأجر بنقص شيء من مواصفات الأجرة أو غير ذلك، ولا يجوز للمستأجر أن يخون المؤجر بنقص الأجرة أو إنكارها، أو تصرف يضر المستأجر من دار أو دكان أو آلة أو غير ذلك.

وتكون الأمانة في الوكالات فيجب على الوكيل أن يتصرف بما هو أحسن ولا يجوز أن يخون موكله، فلا يبيع السلعة الموكل في بيعها بأقل من قيمتها محاباة للمشتري، أو يشتري السلعة الموكل في شرائها بأكثر من قيمتها محاباة للبائع.

فالأمانة بمعناه الأعم تكون في كل شيء يكون الإنسان وليًا عليه، سواء كان أمراً خاصاً أو عاماً، فهو أمين عليه يجب أن يؤدي الأمانة فيه، فالقاضي أمين، وولي اليتيم أمين، وناظر الأوقاف أمين، وأوصياء الوصايا كذلك، فالأمناء يجب عليهم أن يقوموا بالأمانة التي عليهم بأحسن قيام.

والذي يدل على هذا: ما روي عن عبد الله بن مسعود قال ((القتل في سبيل الله يُكفر الذنوب كلها إلا الأمانة، يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله فيقال: أدّ أمانتك، فيقول: أي رب، كيف وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية، وتمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه، فيراها

فيعرفها فيهوي في أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه، حتى إذا ظن أنه خارج زلت عن منكبيه فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين، ثم قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والكيل أمانة، وأشد ذلك الودائع؛ قال الراوي: فأتيت البراء بن عازب فقلت: ألا ترى ما قال ابن مسعود؟! قال البراء: صدق أما سمعت الله يقول: **{إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلامَنَـٰتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ}**، إن عدم استشعار المسئولية الملقاة على العاتق، والتساهل والتهاون بالأمانة التي حملنا الله إياها، هو الذي أوصلنا إلى هذا الحال المتدني على أبلغ المستويات، فمن لا تجد لديه الإحساس بعظم الأمانة يقل إحساسه بغيرها بل يعدم.

أيها المؤمنون: الصفة الذميمة التي تقابل الأمانة، وهي ضد لها هي صفة الخيانة، فقد ذم الله تعالى الخيانة وأهلها، كما يقول تعالى **{إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا}**، وقال تعالى **{وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ}**، معناها: أن كل خائن لا بد أن تعود خيانته ومكره على نفسه، ولا بد أن يتبين أمره، ويقول تعالى **{إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ}**.

وبما أن الأمانة من صفات المؤمنين فالخيانة من صفات وعلامات المنافقين كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)).

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستعيذ من الخيانة في دعائه ويعلم أصحابه ذلك، فكان يقول: ((اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة؛ فإنها بئست البطانة)).

وليس ضرر الخيانة مقصوراً على الدنيا فقد بل الخائن والغادر فضيحته يوم القيامة أكبر، وغدرته أشهر، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان)).

فاتق الله أخي المسلم اتق الله في نفسك، واتق الله في مجتمعك، واتق الله في دينك، ألم تعلم أن الدين يظهر في أهله، وتبين علاماته على من ينتمي إليه، فإذا كان مظهر الأمة الإسلامية مظهر الكذب والخيانة، والتقليد الأعمى، وأكل مال الغير بغير حق، فأين المظهر الإسلامي، أرأيت إذا

ظهر المسلمون بهذا المظهر المشين عند أعدائهم، أليس ذلك سببًا للتنفير عن دين الإسلام، إذا رأوهم على هذه الحال، كذبٍ في المقال، وخيانةٍ في الأمانة، وغدرٍ في العهد، وفجورٍ في الخصومة، أليس أعداء الإسلام يفرحون ويفخرون إذا رأوا أهل الإسلام يقلدونهم في رذائل الأخلاق التي يحذرهم الإسلام منها؟، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أيها الإخوة: إن من مكارم الأخلاق أن يعامل الرجل الناس بالنصيحة والمعاملة الحسنة، يعاملهم بما يحب أن يعاملوه به، يعاملهم بالصراحة، فلا يخون ولا يغدر، ولا يغش، فالخيانة والغدر والغش أخلاق ذميمة يحذر منها الدين، ويستقبحها كل عقل سليم، وهي من الفساد في الأرض، وقد أخبر الله تعالى في كتابه أن الله لا يهدي كيد الخائنين، ولا يصلح عمل المفسدين، وأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله ((من غشنا فليس منا))، وقال ((ما من عبد يسترعيه الله عز وجل رعية يموت يوم يموت، وهو غاش رعيته، إلا حرم الله عليه الجنة)).

٢١- حقوق الجار

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يسَّر للسالكين إليه الطرق والأسباب؛ وفتح لهم من خزائن رحمته كل باب.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة إقرار لا شك فيها ولا ارتياب.

وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله الذي منّ الله به على المؤمنين يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الحكمة والكتاب، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وصحابته الراشدين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الحساب وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون: يقول الله تعالى **{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَبِذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَالْجارِ ذِي الْقُرْبى وَالْجارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالًا فَخُوراً}** ففي هذه الآية الكريمة ذكر الله تعالى بعضاً من الحقوق الإسلامية والمعاملات الإنسانية، التي أصبحت منسية في هذا الزمان، وأصبحنا جميعاً نتهاون بها ولا نلقي لها بالاً، ولا نرعى لها اهتماماً، ونشير في هذه الخطبة إلى واحد من تلك الحقوق، وهي حقوق الجيران.

أيها الأخوة الكرام: إنه لا بد للمرءِ في مسكنه من جار يجاوره، يحتاج كلٌ منهما للآخر، تجمعهما مصالح، وتحصل بينهما خلطة، ولربما كانت تلك الخلطة سبب إلفة أو داعي شقاق ونفرة، ومن هنا؛ فدين الإسلام العظيم، الشريعة التي تحث أتباعها على التصافي والتآلف، رعت حق الجار، وأعظمت شأنه، وأكدت ثواب الإحسان إليه ووصله، وبالغت في التنفير من أذيته، ليبقى الصفاء، ويدوم الود والوفاء، ولِتُنزَعَ أسباب الشقاق والخلاف.

ففي الحديث الصحيح عن رجل من الأنصار قال: خَرَجْتُ مِنْ بَيْتِي أُرِيدُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فَإِذَا بِهِ قَائِمٌ وَرَجُلٌ مَعَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُقْبِلٌ عَلَى صَاحِبِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُمَا حَاجَةً، فَوَاللهِ لَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وآله وسلم– حَتَّى جَعَلْتُ أَرْثِي لَهُ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، لَقَدْ قَامَ بِكَ الرَّجُلُ حَتَّى جَعَلْتُ أَرْثِي لَكَ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، قَالَ: "وَقَدْ رَأَيْتَهُ؟".

قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: "وَهَلْ تَدْرِي مَنْ هَذَا؟". قَالَ: لَا. قَالَ: "ذَاكَ جِبْرِيلُ – عليه السلام– مَا زَالَ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ.

وعَنْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: ((وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ! وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ! وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ!" قِيلَ، وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم"مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره"، وفي رواية أخرى: "خير الجيران عند الله خيرهم لجاره". فلله! ما أشرفه من فضل! وما أجزله من جزاء!.

فالجار أيها المسلمون: هو من قرُب مسكنه منك، وسمي في العرف جاراً، وربما كان مسلماً أو كافراً، براً أو فاجراً، نافعاً أو ضارّاً، قريباً أو أجنبياً، وفي كل الأحوال له حق، وقد يكون بعض الجيران آكَد من غيره حقاً، وأعظم شأناً.

وكان الجار تُرعى حرمتُه، ويؤدى حقُّه، ويغض الطرف عن نسائه، وتحفظ محارمه، بل كان ذلك من شيم الجاهلية ومفاخر أهلها، حتى قالوا:

وما جارتي إلّا كأمّي وإنّني لَأَحْفَظُهَا سِرّاً وأحفظها جَهْرَا

وأُغْضِي إذا ما جارتي بَرَزَتْ حتّى يواريَ جارتي الخدْرُ

وقد مر مالك بن أنس على امرأة وهي تنشد شعراً وتقول:

أنتَ خِلِّي وأنت حرمةُ جاري وحقيقٌ عليَّ حفظُ الجوارِ

إن للجار إنْ تغيَّبَ عيـناً حافظاً للمغيب والأسـرار

ما أبالي إنْ كان للباب سترٌ مُسْبَلٌ أم بقِي بغير ستـار

فقال مالك: علِّموا أهلكم هذا وأمثاله.

وإذا نظرنا في هدي الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، كيف كان يتعامل مع الجيران، فقد زار جاره اليهودي حين مرض، وأجاب دعوة الفارسي حين دعاه، هذا مع الأغراب بلداً ومعتقداً، أما مع الجيران من الصحابة فهو أكثر اعتناءً، فلم ينس جيرانه وهو أكثر الناس انشغالاً، وأفضلهم نفساً.

فعن عائشة أنها ذات ليلة صنعتْ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرصًا من شعير، قالت: فأقبلتْ شاة لجارنا داجنة –يعني: لا تجد حرجًا من الدخول في البيوت– فدخلتْ، ثم عمدت إلى

القرص فأخذتْه، ثم أدبرت به، فبادرتُها الباب، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((خُذي ما أدركتِ من قرصِك، ولا تؤذي جاركِ في شاته)).

فانظروا – عبادَ الله – إلى تربيته صلى الله عليه وآله وسلم لأهل بيته، وحثِّه لهم على حسن التعامل مع الجار، وكف الأذى عنه، حتى في شاته التي تتعدى على طعام الآخرين.

عباد الله: وبرغم نماذج الخير المتكاثرة، إلا أن حق الجار اليوم وفي هذه الأزمنة قد قصَّرنا فيه، وانتقصنا منه، وتهاونا كثيراً به، فلربما رأيت جارين لا يسلم أحدهما على الآخر إذا لقيه، وربما رأيت جاراً يؤذي جيرانه، ويطلع على حرماتهم، وينالهم منه الأذى بسائر صوره، أصواتٌ منكرة، وروائح مؤذية، وأذيات متعددة ومتنوعة، وفي الحديث الصحيح، قِيلَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلاَنَةَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَّدَّقُ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم "لاَ خَيْرَ فِيهَا"، وقال: "لا يدخل الجنة مَن لا يأمن جاره بوائقه".

وقد صرنا في عرفنا القاصر نعدُّ أفضل الجيران من كف شره وخيره، وكفُّ الشر خيرٌ، لكن المؤملَ بذلُ الخير، والموفق من قام بحق جيرانه، قربة لله، وطلباً لرضاه، وهرباً من سخطه، وفي الأثر المشهور المتداول بين الناس: من سعادة المرء الجار الصالح.

وحق الجار يؤدى بأمور ثلاثة، من قام بها فهو خير الجيران:

الأمر الأول: كفُّ الأذى عنهم، فالجار الموفق لا يؤذي جاراً، ولا يضيق طريقاً، ولا يزعج أحداً بصوت ولا فعال، ولا يؤذي بأي أنواع الأذى، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: "مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره".

وهنا نود أن نقف قليلاً مع النبي الكريم صلوات الله عليه وآله وهو يبين لنا أن السيئة في حق الجار تضاعف إلى عشرة أضعاف، فقد ضاعَفَ صلى الله عليه وآله وسلم جريمةَ الزنا والسرقة في حق الجار إلى عشرة أضعاف؛ لأن الجار قد أمنه جاره، فخان الأمانة وانتهك الحرمة، وكان حقًّاً عليه أن يحفظ جاره في ماله وعِرضه.

فعن المقداد بن الأسود – رضي الله عنه –: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: ((ما تقولون في الزنا؟))، قالوا: حرَّمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال

رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: ((لأنْ يزني الرجل بعشر نسوة، أيسرُ عليه من أن يزني بامرأة جاره))، ثم قال: ((ما تقولون في السرقة؟))، قالوا: حرَّمها الله ورسوله، فهي حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لأنْ يسرق الرجل من عشرة أبياتٍ، أيسرُ عليه من أن يسرق من جاره)).

الأمر الثاني: احتمال الأذى، والتغاضي عن الزلات، والتغافل عن الهفوات، فمَن لم يتغافل عن القصور من جاره تعب وأتعب، فالقصور من طبع البشر، فربما طال بيتك أو أولادك أو سيارتك أذى منهم، والجار الموفق مَن تغافل وغض الطرف.

فقد يحصل في بعض الأحوال الهجر والمعاداة والقطيعة بين الجيران لأجل أذى يصدر من أحد الأبناء؟ أو من ممارسة الأطفال، بل وقد يتعدى إلى المشاكل بين الأسر بهذا السبب كما هو الحاصل في المجتمعات اليوم.

والأمر الثالث: أن ينال جيرانك الإحسان منك والإكرام، فالجار الموفق يرعى لجاره حقوقه، يعود جاره إن مرض، يواسيه في أتراحه، ويهنئه في أفراحه، لا يغفل عن داره في غيبته، ويسد نقصه عن حاجته، ويفرج كربته، يسر لسروره، ويستر عليه عند قصوره، فإن وصل الأمر إلى زيارتهم، والاجتماع بهم فذاك خير إلى خير، وبهذه الأمور يؤدى حق الجار.

روي أنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشكو جارَه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((اذهبْ فاصبرْ))، فأتاه مرتين أو ثلاثًا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم((اذهب فاطرَحْ متاعَك في الطريق))، فطرَحَ متاعه في الطريق، فجعل الناسُ يسألونه، فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه: فعل الله به وفعل، وفي لفظ آخر: فجاء الرجل إلى النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – فقال: يا رسول الله، ما لقيتُ من الناس، قال صلى الله عليه وآله وسلم ((وما لقيتَ منهم؟))، فقال الرجل: يلعنونني، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((قد لعنك الله قبل الناس))، فقال: إني لا أعود، ثم ذهب إلى جاره، فقال له: ارجع لا ترى مني شيئًا تكرهه، فجاء الشاكي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له الحبيب عليه الصلاة والسلام وآله ((ارفع متاعك، فقد كُفيت)).

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لرعاية حقوق الجيران، وأن يعمنا وإياهم بالفضل والخير والإحسان، إنه

كريم جواد منان.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَالْعَصْرِ {١} إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ {٢} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ {٣}

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من البر والإحسان، وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على إحسانه، ونشكره على توفيقه وامتنانه، أمرنا بالإحسان إلى الجيران، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، محمد بن عبدالله خير من وصى بالجار، وعلى آله الأخيار.

أما بعد: أيها المؤمنون: يحكى أن رجلاً من المسلمين بنى داراً كبيرة فسيحة، فجمّلها وحسَّنها، وبعد برهة من الزمن تعكرت حياته في تلك الدار، فعاف حسنها، وكره سكناها، وتمنى الخلاص منها، فعرضها للبيع بأرخص الأثمان، وأبخس الأسعار، وتمت البيعة بسعر زهيد، فلامَهُ العُذَّال في بيعها، فأجابهم بقوله:

يلومونني أنْ بِعْتُ بالرّخْص منزلي وما علِمُوا جاراً هناك يُنغِّصُ

فقلت لهم: كُفُّوا الملام فإنها بجيرانها تغلو الديارُ وترخُصُ

وبضد هذا الموقف موقفٌ يبين غلاء البيت بجيرانها، فقد عرض رجل داره للبيع بمائة ألف درهم، فلما حضر الراغبون في شراء داره قال لهم: قد اتفقنا على ثمن الدار، فبكم تشترون جوار جاري؟ فقيل له: وهل الجوار يباع؟ قال: وكيف لا يباع جوار مَن إذا قعدتَ سألَ عنك، وإن رآك رحّب بك، وإن غبت حفظك، وإن شهدت قرّبك، وإن سألته قضى حاجتك، وإن لم تسأله ابتدأك، وإن نابتك نائبة فرج عنك، فبلغ ذلك جاره فوجه إليه بمائة ألف درهم، وقال له: أمسك عليك دارك.

وروي أنه كان لأبي حنيفة جار يعمل نهاره ويقضي ليله في اللهو والغناء، وكثيراً ما كان يزعج أبا حنيفة ويتغنى.

ففقد أبو حنيفة صوته ذات مرة، وعلم أنه محبوس، فصلى الصبح، وذهب إلى الأمير فقابله وطلب الإفراج عن جاره، وأجابه الأمير وأفرج عن جاره.

ولما خرجا قال له أبو حنيفة: هل أضعناك يا فتى؟ فقال: لا، بل حفظت ورعيت، جزاك الله عني خيراً وعن حرمة الجوار، وتاب ولم يعد إلى ما كان عليه.

وشكا بعض السلف كثرة الفئران في داره، فقيل له: لو اقتنيت هراً؟ فقال: أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب إلى دور الجيران فأكون أنا أحببت لهم ما لا أحب لنفسي.

ولئن كان للجار قدر عند السلف، فقد يوجد في بعض الناس اليوم خير وبركة، فقد حكي موقف وقع بين جارين يبين لنا خُلقاً لا نجده إلا في الإسلام، حين يعتني الجار بجاره ويسد نقصه وحاجته.

وهو أن جارين متجاورين فَقَد أحدهما جاره، فسأل أولاده عنه، فأخبر بأنه مسجون لأجل دين عليه، فاتجه الجار مباشرة، وباع سيارته التي لا يملك غيرها، واتجه من حينه للسجن ليسد الدين عن جاره، وما بقي من قيمة السيارة قسمه بينه وبين جاره، ورجع وقد ضحى بسيارته، وفك سجن جاره.

ومن أقوى روابط علاقات الجوار البذل والمهاداة، فعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: إنّ خليلي صلى الله عليه وآله وسلم- أوصاني: إذا طبختَ مرقاً فأكثر ماءه، ثمّ انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروف.

ليست القضية زيادة ماء فحسب، ولكن مثل هذا البذل والتهادي له أثر في إحداث الود والتصافي، وفي وصايا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم للنساء ((أيها النساء المؤمنات، لا تُحَقِّرْ أحداكُنَّ لجارتها ولو فِرْسَنَ شاة - أي مربط شاة-)).

فهل نتعاهد جيراننا من حيث الحالة المادية؟ فكم من جارٍ ربما كان ملاصقاً عنده من الحاجة والمسغبة ما لا يجد له مسدّاً، ومِن أولى الناس بمعروفك جيرانك، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ما آمن بالله؟ قيل من يا رسول الله؟ قال من بات شبعاناً وجاره جائع وهو يشعر.

عباد الله: نحن جميعاً في قصور كبير تجاه هذه الحقوق العظيمة، والمسؤلية الجسيمة، نسأل الله أن يتجاوز عنا تقصيرنا.

عباد الله: ويبقى حق الجار الديني أمراً من آكَد الحقوق، بنصحه إن قصر، وتوجيهه إن عصى؛ فحق الجار إن كان عاصياً أن نوجهه ونديم النصح له، لعلّ قلباً مغلقاً أن ينفتح، أو مُعرضاً أن يُقبل، أو قاسياً أن يلين.

أيها الإخوة المؤمنون: إن عناية الإسلام بحق الجار توضح أن ديننا يسعى لكل ما من شأنه تآخينا، ولئن كان البعض يرى أنه في غنى عن جيرانه ولا يحتاج لهم فإن القضية ليست مادية؛ بل الأمر أكبر من ذلك، فتصافي الجيران يترتب عليه تصافي المجتمع، ومن ثم الأمة، والعكس بالعكس، فهل نعتني بهذا الأمر؟ ونتقرب إلى الله بأداء حق الجيران؟ هذا هو المؤمل والمرتجى منا جميعاً.

نسأل الله أن يعيننا على تأدية الحقوق لأهلها، والقيام بالواجبات تجاه إخواننا المؤمنين، إنه على كل شيء قدير.

٢٢- في فضل الدعاء

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ العَظِيْم، الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، الجَوَادِ الكَرِيمِ، الَّذي أَنْشَأَنَا بِحِكْمَتِهِ، وَغَذَّانَا بِنِعْمَتِهِ، وَأَوْلَانَا جَزِيْلَ الإِحْسَانِ، وَهَدَانَا سَبِيلَ الإِيْمَانِ، وَعَوَّدَنَا جَمِيلَ الإِمْتِنَانِ، فَأَقْرَرْنَا بِإِلَاهِيَّتِهِ، وَاعْتَرَفْنَا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَيْقَنَّا بِحَشْرِهِ وَحِسَابِهِ، وَآمَنَّا بِرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَنْشَأْتَهُ مِنْ خَلْقنا، وَتَكَفَّلْتَهُ مِنْ رِزْقِنا، وَقَسَمْتَهُ لنا مِنْ آلَائِكَ، وَأَسْبَغْتَهُ عَلَينا مِنْ نَعْمَائِكَ، وَنَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَصْحَبْتَنَاه مِنْ حُسْنِ الوِقَايَةِ، وَأَلْبَسْتَناه مِنْ ثَوْبِ العَافِيَةِ، وَوَصَلْتَهُ لنا مِنْ مَوَادِّ الكَرَامَةِ، وَبَصَّرْتَناه مِنْ أَسْبَابِ السَّلَامَةِ، وَنَحْمَدُكَ عَلَى مَا شَرَحْتَهُ مِنْ صَدْورنا، وَأَصْلَحْتَهُ مِنْ أَمْورِنا، وَقَضَيْتَهُ مِنْ كِفَايَتِنا، وَتَوَلَّيْتَهُ مِنْ وِقَايَتِنا، وَنَحْمَدُكَ عَلَى مَا حَبَّبْتَهُ إِلَينا مِنْ ذِكْرِكَ، وَأَسْبَلْتَهُ عَلَينا مِنْ سِتْرِكَ، وَوَقَيْتَنَاه مِنْ سُوءِ قَضَائِكَ، وَمَنَحْتَناه مِنْ سَنِيِّ عَطَائِكَ، حَمْداً تَقْبَلُهُ وَتَرْضَاهُ، وَتَجْعَلُ مِنْ دَوَامِ الزِّيَادَةِ ثَمَرَتَهُ وَجَنَاهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، مُدَبِّرُ الأُمُورِ وَمُصَرِّفُ المقْدُورِ.

وَأشهد أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَاليَقِينِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَى كَافَّةِ المؤمِنِينَ، فَبَشَّرَ التَّقِيَّ، وَأَنْذَرَ الغَوِيَّ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ، وَكَشَفَ الغُمَّةَ، وَجَاهَدَ حَتَّى كَمُلَ الدِّينُ، وَعَبَدَ إِلَهَهُ حَتَّى أَتَاهُ اليَقِينُ، فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون:

يقول الله تعالى **{لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ}**، ويقول تعالى **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}**، ويقول تعالى **{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}**، فهذه الآيات الكريمات تحث على أمر هام يحتاجه المسلم في حياته، ولا يستغني عنه في أي وقت من أوقاته، ولا لحظة من لحظاته، ذلك الأمر هو الدعاء والإلتجاء والتضرع إلى الله مالك الكون وما فيه، ومدبر الخلق وشؤنه، فالدعاء

دليل على افتقارك إلى الله، وإظهار الحاجة إليه، وخضوعك بين يديه، وتسليمك لكل أمر صادر منه إليك، ولهذا سماه الله تعالى عبادة، لأن العبادة لا بد فيها من التذلل والخضوع، والرهبة والإفتقار والخشوع، والدعاء دليل واضح على استجابتك لله، وامتثالك لأمر الله، وأن قلبك معلق بالله، وأنك لا تستغني في أي حال عن الله.

أما ترك الدعاء فقد سماه الله تعالى استكباراً، لأن تارك الدعاء إما أن يتركه استغناء عن الله، واستكفاء بنفسه وقوته وحيلته عن طلب ما عند الله، ودفع ما يلم به من المصائب، وهذا عين الإستكبار بل الكفر الصريح الذي توعد الله عليه بالنار.

وإما أن يتركه ظناً منه أنه لا ينفع ولا يجدي، ولا يفيد ولا يخلص، فهذا هو الظن السوء بالله، والإعتقاد الفاسد بكرم الله وجوده، والواجب على العبد أن يحسن الظن بربه، فإن الله عند ظن العبد به، فإن ظن خيراً وجد خيراً، وإن ظن سوءاً جلب عليه سوءاً.

وإما أن يتركه غفلة وسهواً، وذهولاً عن الله ولهواً، واشتغالاً بالدنيا والشهوات، وتضييعاً لنفسه ووقته وعمره بحثاً عن اللذات، فهذه حالة التردي والسقوط، والتفريط والتضييع، التي تجر للعبد الويلات، وتجلب عليه الحسرات والمذلات.

وقد رغب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الدعاء، في أحاديث كثيرة، فعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما أعطي أحدٌ أربعاً فمنع أربعاً: ما أعطي أحدٌ الدعاء فمنع الإجابة، إن الله تعالى يقول: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾، وما أعطي أحدٌ الاستغفار فمنع المغفرة، إن الله تعالى يقول: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**﴾، وما أعطي أحدٌ التوبة فمنع القبول لقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**﴾، وما أعطي أحدٌ الشكر فمنع الزيادة لقوله تعالى: ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾)).

وعن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((إن أنواع البر نصف العبادة، والنصف الآخر الدعاء)).

وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين، وزين ما بين السماوات والأرض)).

وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله في آخر ساعة تبقى من الليل يأمر بباب من أبواب سماء الدنيا فيفتح، ثم ينادي ملك، فيسمعه ما بين الخافقين إلا الإنس والجن: ألا هل من مستغفر فيغفر له؟ هل من تائب فيتاب عليه؟ هل من داعٍ بخيرٍ فيستجاب له؟ هل من سائل فيعطى سؤله؟ هل من راغب فيعطى رغبته؟ يا صاحب الخير هَلُّم، يا صاحب الشر اقصر، اللهم اعطِ منفقَ مالٍ خلفاً، اللهم اعطِ ممسك مالٍ تلفاً، فإذا كانت ليلة الجمعة فتح من أول الليل إلى آخره)).

وقد ضمن الله تعالى الإجابة لمن دعاه، فأبواب فضله مفتوحة، وخيراته لعباده ممنوحة، فعن علي عليه السلام، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما من مؤمنٍ يدعو بدعوةٍ إلا استجيب له، فإن لم يعطها في الدنيا أعطيها في الآخرة)).

والدعاء من أسباب رد البلاء والمصاعب، ومن الدروع الواقية من المصائب، فعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، وأعدوا للبلاء الدعاء)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((الدعاء يرد القضاء))، وفي حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة)).

وللدعاء أيها المؤمنون شروط وآداب، لا بد من مراعاتها وتحصيلها كي يكون الدعاء مستجاباً، فأما شروطه فلا بد منها، ويجب الإنتباه لها:

أولاً: أكل الحلال، فعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من كان منكم يحب أن تستجاب دعوته فليُطب مكسبه)).

وفي حديث آخر ((عبد يدعو مأكله حرام وملبسه حرام أنى يستجاب له)).

ثانياً: حسن الظن بالله تعالى والثقة بإجابته، وعدم الإستعجال: فإن الله تعالى ما فتح باب الدعاء إلا وقد وعد وضمن الإجابة، فلا يجوز للعبد أن ييأس أو يقنط من رحمة الله وإجابته، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل))، قيل: يا رسول الله وكيف

يستعجل؟ قال: ((يقول: قد دعوت الله فما آن لله أن يستجيب لي)).

ثالثاً: التضرع والخشوع لله تعالى، فعن جعفر بن محمد، قال: إن الله جل وتعالى حين دعا موسى من الشجرة المباركة، قال له: ((يا موسى بن عمران إن أنت عبدي وأنا إلهك الديان كن عند ذكري خاشعاً، وعند تلاوة رحمتي طامعاً، وأسمعني التوراة وما فيها بصوت خاشع حزين، واطمئن عند ذكري، واذكر لي من يطمئن إلى ذكري، وإذا دعوتني فادعني خائفاً وَجِلاً مشفقاً لجلالي، واقنت بين يدي كقنوت العبد بين يدي سيده)).

رابعاً: أن يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وفي أول الدعاء وأوسطه وآخره، كما روي عن علي عليه السلام أنه قال: الدعاء محجوب عن السماء حتَّى يُصَلَّى على محمد وعلى آل محمد.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

بسم الله الرحمن الرحيم {لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ، وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ}.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود على نعمائه، المشكور على آلائه، الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من رجاه، ولا يرد من دعاه، نحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، وأشهد أن محمداً عبده المنتجب الطاهر المطهر، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: نكمل ما تبقى من الآداب التي ينبغي مراعاتها أثناء الدعاء، وهي كما يلي:

أولاً: أن يغتنم الأوقات الشريفة، التي وردت الآثار بإجابة الدعاء عندها:

فمنها: بعد الصلوات، فعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أدى فريضةً فله عند الله دعوةٌ مستجابةٌ)).

عن ابن عباس قال: إن الله فرض الصلوات في خير الساعات فعليكم بالدعاء في دبر الصلوات.

ومنها: بين الأذان والإقامة، فعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة)).

ومنها: الأوقات التي وردت في الأحاديث التالية:

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم)).

وعن أبي أمامة، سمعته يحدث، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((تفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء في أربع مواطن: عند التقاء الصفوف في سبيل الله، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلاة، وعند رؤية الكعبة)).

وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((والذي نفس محمدٍ بيده لدعاء الرجل بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أنجح في الحاجة من الضارب بماله في الأرض))، وكذلك الدعاء وقت الأسحار.

وعلى الإنسان أن يغتنم الحالات التي إذا كان عليها فإن الله يستجيب دعاءه، كأن يكون

حاجاً، أو مريضاً أو مسافراً، أو مظلوماً، كما روي عن ابن عباسٍ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((خمس دعواتٍ مستجاباتٌ: دعوة المظلوم حتى ينتصر، ودعوة الحاج حتى يصدر، ودعوة المجاهد حتى يقفل، ودعوة المريض حتى يبرأ، ودعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب، وأسرع هذه الدعوات إجابةً دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب)).

ومن الأوقات الفاضلة الشريفة التي يستجاب فيها الدعاء شهر رجب فإنه مسموع فيه الدعاء، وشهر شعبان، وأيام العشر من الحجة، ويوم عرفة وغيرها.

فأما شهر رمضان فهو وقت عظيم، لا بد من الحرص على أوقاته، وعدم تضييع ساعاته، والإهتمام بليله ونهاره، فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبنا ذات يوم فقال ((أيها الناس إنه أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، وشهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة، وقلوب طاهرة، أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم، واذكروا بجوعكم وعطشكم جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم، وغضوا عما لا يحل الاستماع إليه أسماعكم، وتحننوا على أيتام الناس كما يتحنن على أيتامكم، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم، فإنها أفضل الساعات، ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة إلى عباده يجيبهم إذا ناجوه، ويلبيهم إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه)).

فعلينا إيها المؤمنون أن نغتنم فرصة الأوقات الفاضلة الشريفة للدعاء، فإن الله تعالى لا يخيب من دعاه، ولا يقطع رجاء من رجاه، وفقنا الله وإياكم لصالح العمل، وعصمنا من الزيغ والزلل، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

٢٣- في الدعاء وأهميته

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ العَظِيْم، الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، الجَوَادِ الكَرِيمِ، الَّذِي أَنْشَأَنَا بِحِكْمَتِهِ، وَغَذَّانَا بِنِعْمَتِهِ، وَأَوْلَانَا جَزِيْلَ الإِحْسَانِ، وَهَدَانَا سَبِيلَ الإِيْمَانِ، وَعَوَّدَنَا جَمِيلَ الإِمْتِنَانِ، فَأَقْرَرْنَا بِإِلَاهِيَّتِهِ، وَاعْتَرَفْنَا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَيْقَنَّا بِحَشْرِهِ وَحِسَابِهِ، وَآمَنَّا بِرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا شَرَحْتَهُ مِنْ صَدْورنا، وَأَصْلَحْتَهُ مِنْ أَمْورِنا، وَقَضَيْتَهُ مِنْ كِفَايَتنا، وَتَوَلَّيْتَهُ مِنْ وِقَايَتنا، وَنَحْمَدُكَ عَلَى مَا حَبَّبْتَهُ إِلَينا مِنْ ذِكْرِكَ، وَأَسْبَلْتَهُ عَلَينا مِنْ سِتْرِكَ، وَوَقَيْتَناه مِنْ سُوءِ قَضَائِكَ، وَمَنَحْتَناه مِنْ سَنِيِّ عَطَائِكَ، حَمْداً تَقْبَلُهُ وَتَرْضَاهُ، وَتَجْعَلُ مِنْ دَوَامِ الزِّيَادَةِ ثَمَرَتَهُ وَجَنَاهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، مُدَبِّرُ الأُمُورِ وَمُصَرِّفُ المقْدُورِ.

وَأشهد أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَاليَقِينِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَى كَافَّةِ المؤْمِنِينَ، فَبَشَّرَ التَّقِيَّ، وَأَنْذَرَ الغَوِيَّ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ، وَكَشَفَ الغُمَّةَ، وَجَاهَدَ حَتَّى كَمُلَ الدِّينُ، وَعَبَدَ إِلَهَهُ حَتَّى أَتَاهُ اليَقِينُ، فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون: الدنيا طُبِعَت على الهمّ والكدر، ولا يكاد الإنسان يسلم فيها من البلاء والخطر، ومن الأمراض والمصائب، والأحداث والأحزان، والهموم والغموم، والمحن والفتن، والبغي والظلم والعدوان، ولكن اللهَ من رحمته ولطفه جعل لعباده طريقاً إلى الفرج، وفتح لهم باباً إلى المخرج، يتنفسون فيه، ويلجأون إليه، ألا وهو باب الدعاء.

ذلك الباب الذي فتحه الله لعباده، يناجون فيه ربهم، ينسون أثناءه همومهم وغمومهم، يبثون فيه شكواهم إلى من يعلم حالهم، ومن عنده خلاصُهم، ذلك الباب وتلك الطريق هو التجارة الرابحة، الذي يستوي فيه الرجل والمرأة، والصغير والكبير، والغني والفقير، لكن الربح يتفاوت على قدر حضور القلب وانطراحه وخشوعه وتذلله بين يدي الله.

الدعاء هو طريق الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، وهو سببٌ رئيسي للسعادة في الدنيا والآخرة، بل هو الطريق لانشراح الصدر وسلامته، وطهارته ونزاهته عن الشوائب.

الدعاء طريق الأنبياء والمرسلين والصالحين، قال تعالى حاكياً عن أنبيائه **{إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}**، وقال عن الصالحين من عباده **{كَانُوا قَلِيلاً مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ* وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}**.

ويقول الله تعالى آمراً وحاثاً على الدعاء: **{ ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}**، الدعاء حبل ممدود بين السماء والأرض يعرفه المؤمنون الخاشعون حق المعرفة، هو الربح للمخلصين بلا ثمن، وهو المغنم للقانتين بلا عناء ولا تعب.

الدعاء هو السلاح الفتاك وهو السهام المسمومة التي يطلقها الأولياء والصالحون، والمستضعفون والمظلومون، فتصيب مقاتل الظالمين، وتجرح صدورهم، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((ألا أدلكم على سلاحٍ ينجيكم من أعدائكم، ويُدِرُّ أرزاقَكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال ((تدعون ربكم بالليل والنهار، فإن سلاح المؤمن الدعاء)).

إنَّ دعاءَ اللهِ تعالى وسؤالَه والتضرُّعَ والشكوى إليه من أنفعِ الأدويةِ، فالدُّعاءُ عدوُّ البلاءِ، يُدافعُه ويمنعُ نزولَه، فلا يهمك مع الدعاءِ والتضرعِ أحدٌ، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((لا يردُّ القضاءَ إلا الدعاءُ))، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام (ادفعوا أمواج البلاء بالدعاء، ما المبتلى الذي استَدَرَّ به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء.

الدعاءِ هو الباب الأعظم لتحقيق حاجات العباد، ونيل المطالب من كل خير ورشاد، ودفع المكروه والشر والفساد، لأنّ حاجاتِ الخلق ومطالبَهم لا تنتهي عند حدّ، ولا تنحصر في عدّ، ولا يحيط بها إلا الخالق القدير الصمد، ولا يقدر على إجابة السائلين إلا ربُّ العالمين، فهو الذي يجيب كلّ سائل، ويعطي كل محتاج، ولا تنقص خزائنُه، ولا ينفدُ ما عنده، وهو على كل شي قدير كما قال تعالى: **{وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}**، وفي الحديث القدسي عن الله تعالى ((يا عبادي لو أن أوَّلكم وآخرَكم وإنسَكُم وجنَّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيتُ كلَّ واحدٍ منهم مسألتَه ما نقصَ من ذلك مما عندي، إلا كما ينقصُ المخيط إذا أُدخِلَ البحر)).

فالمؤمنُ كلما ضاقت به الحيل، وحلَّت به المصائب والكروب لا ملجأ له من الله إلا إليه، فهو

يدعوه ويتضرع بين يديه، ويتذكر قوله تعالى حاكياً عن نبيه يونس عليه السلام: **{وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ}**.

المؤمن: إذا ابتليَ بشيء من الذنوب، وكاد أن يتورط في سيء من المعاصي، دعا الله أن يخلصه من هذا البلاء، ورفع إليه يديه أن يمنَّ عليه بالتوبة النصوح، ويخلصه من آثار الذنوب والمعاصي، فاسألك ربك أيها العاصي وارفع يديك إليه راجياً أن يحول بينك وبين أنواع المعاصي والجرائم، واذكر قول نبي الله يوسف عليه السلام عندما أراد الشيطان أن يوقعه في الفخ والمصيدة، فالتجأ إلى ربه داعياً وقال **{وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنْ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}**، فادعو اللهَ أن ينقذك من هذه القاذورات، وأن يخلصك منها، ويمنَّ عليك بالاستقامة على الطاعة كلما وجدت من نفسك قلة الإهتمام بالطاعة، وعدم القيام بها خير قيام.

أيها المؤمنون: نحن في حاجة ماسة إلى الدعاء في كل وقت وفي كل حال، لا سيما في هذا الزمان الذي كثرت فه الفتن والمحن، فإكثارك من الدعاء والتضرع إلى الله دليلٌ على حاجة وافتقارك إلى الله، دليلٌ على وعيك ومعرفتِك أنك ضعيف وعاجز عن أن تجلب إلى نفسك الخير أو تدفع عنها الضر والشر، فإذا علم الله صدق ذلك منك فإنه لن يُسلِمَك، ولن يتركك، فمن كان مع الله كان اللهُ معه، ومن ذكر الله فلن ينساه، ومن توكل على الله كفاه، ومن استغنى به أغناه، ومن استنصر بالله نصره، ومن دعاه أجابه، فهو العالم بالسرائر، والمطلعُ على خفيات الضمائر.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، **بسم الله الرحمن الرحيم {لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ، وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ}**، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود على نعمائه، المشكور على آلائه، الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من رجاه، ولا يرد من دعاه، نحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، وأشهد أن محمداً عبده المنتجب الطاهر المطهر، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: أصبح الكثير من الناس في هذا الزمان لا يعرف الدعاء والرجوع إلى الله إلا إذا مرض، أو أصابته مصيبة، وحل به بلاء، أو ناله ضر أو فقر وحاجة، أما إذا كان معافىً سليماً مستغنياً، فيكاد أن ينسى اللهَ تعالى، ويكاد أن ينسى أن كلَّ ما في يده من الله، ويكاد يجزم ويقطع على أنه إنما حصل على ما حصل عليه من عافية أو مال بسبب ذكائه وحيلته وكده وتعبه، كما قال تعالى {**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ**}، بل قد أصبح الكثير من الناس في هذا الزمان يهون من جانب الدعاء، ولا يرفع له رأساً، بل قد يستهزأ ويسخر من الدعاء والداعين، وهذه من مصائب الزمان وعجائبه.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: احفظ آدابَ الدعاء، وأُنظر من تدعو؟ وكيف تدعو؟ ولماذا تدعو؟ وحققْ عظمةَ الله وكبريائَه، وعاين بقلبك ما في ضميرك، وإطلاعَه على سرِّك، وما تكُن فيه من الحق والباطل، واعرف طرق نجاتك وهلاكِك، كيلا تدعوَ الله بشيء فيه هلاكُك، وأنت تظن فيه نجاتَك، قال الله عزّوجل **{وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً}**، وتَفَكَّرْ ماذا تسأل؟ ولماذا تسأل؟ والدعاءُ استجابةُ الكلّ منك للحقّ، وتذويبُ المهجة في مَشَاهِد الرَّبِّ، وتركُ الإختيار جميعاً، وتسليمُ الأُمور كلِّها، ظاهراً وباطناً إلى الله، فإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابة، فإنه يعلم السرَّ وأخفى، فلعلك تدعوه بشيء قد علم من سرك خلاف ذلك.

إذا أراد أحدكم أن لا يسال الله شيئاً إلا أعطاه فلييأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء إلا من عند الله عز وجل، فإذا علم الله عز وجل ذلك من قلبه، لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه.

أيها المؤمنون: إن أولياء الله وخاصته من عباده جعلوا الدعاء وسيلة فيما بينهم وبين ربهم، وحلقة وصل بينهم وبين خالقهم، فصغروا كلّ شيء في جنب الله، واستلانوا كل صعب بعون الله، لأنهم يلجأون إلى الله في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، ومن ذكر الله في الرخاء ذكره اللهُ في الشدة، ومن دعا اللهَ في السراء أجابه في الضراء، وكم للأولياء والصالحين من قصص مع الظالمين والمتجبرين تبين أن الله تعالى لا يترك أولياءه في وقت الشدة، فقد روي أن أبا جعفر الدوانيقي أحد خلفاء الدولة العباسية الظالمة حاول أن يقتل الإمام جعفر الصادق عدة مرات ، فكان يستدعيه إليه وقد أعد السيف والنطع، وأمر السياف بضرب عنقه فور وصوله إليه، فما هو إلا أن يدخل الإمام الصادق إلى أبي الدوانيق ويحرك الإمام شفتيه بصوت خفي، ومناجاة ودعاء، حتى يتحول الدوانيقي من جبار فاتك، إلى ذليل مستغيث، فمن تلك الحالات أن الدوانيقي قال يوماً لجلسائه: لقد قتل من أولاد فاطمة مائة أو يزيدون، ولم يبق سوى جعفر بن محمد، ولا بد لي أن أقتله، وقد آليت على نفسي أن لا أمسي عشيتي هذه حتى أفرغ منه! ثم دعا بسياف وقال له: إذا أنا أحضرت أبا عبد الله وشغلتُه بالحديث ووضعتُ قلنسوتي، فهو العلامة بيني وبينك، فاضرب عنقه! ثم أمر بإحضار الصادق فأحضر في تلك الساعة، فدخل الصادق وهو يحرك شفتيه بكلام فإذا بالدوانيقي يصاب بحالة من الذهول والرعشة، فقام يمشي بين يدي الصادق كما يمشي العبد بين يدي سيده، وهو حافي القدمين، مكشوفُ الرأس ، يحمرُّ تارة ويصفرُّ أخرى، فأخذ بعضد الصادق وأجلسه على سرير ملكه في مكانه، وجثى بين يديه كما يجثو العبد بين يدي مولاه، ثم قال: ما الذي جاء بك إلينا في هذه الساعة يا ابن رسول الله؟ قال: دعوتني فأجبتك، قال: ما دعوتك وإنما الغلط من الرسول ! ثم قال له: سل حاجتك يا ابن رسول الله. فقال: أسألك أن لا تدعوني لغير شغل، قال: لك ذاك، فلما خرج من عنده قال الدوانيقي لمن حوله: أني لما أحضرت أبا عبد الله وهممت بما هممت به من السوء رأيت تنيناً – أي ثعباناً كبيراً – قد حوى بذنبه جميع داري وقصري، وقد وضع شفته العليا في أعلاها والسفلى في أسفلها، وهو يكلمني بلسان طلق ذلق عربي مبين ويقول: يا منصور إن الله بعثني إليك وأمرني إن أنت أحدثت في عبدي الصالح الصادق حدثاً أبتلعتك ومن في الدار جميعاً! فطاش عقلي وارتعدت فرائصي واصطكت أسناني).

فعلينا أن نتعلم من هؤلاء العظماء بناء العلاقة والرابطة مع الله تعالى، بالإخلاص لله، بإحسان العمل، بصدق الرجوع إلى الله، ندعوه من قلوبنا لا من ألسنتنا فقط كما هو حالنا اليوم.

وفقنا الله لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وقاد بنواصينا إلى الخير والهدى، إنه على كل شيء قدير.

٢٤- في الإستسقاء

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والحمد لله مغيث المستغيثين، ومجيب دعوة المضطرين، وكاشف الكرب عن المكروبين، ومسبغ النعمة على العباد أجمعين، لا إله إلا الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وربك يخلق ما يشاء ويختار وهو الولي الحميد، فسبحانه من إله كريم شمل بكرمه ورزقه وإحسانه القريب والبعيد، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها وربك على كل شيء حفيظ، ولكنه يعطي لحكمة ويمنع لحكمة إن ربي على صراط مستقيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة يوم الوعيد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل الرسل وخلاصة العبيد، صلى الله عليه وعلى آله ومن تبعهم في هديهم الرشيد، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المؤمنون: يقول الله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ}**، ويقول سبحانه: **{وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ}**، وقال تعالى: **{أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ}**.

عباد الله: أنزل الله تعالى لعباده غيثين: أحدهما أهم من الآخر، والناس يحتاجون إليهما، ولكن الحاجةَ إلى أحدهما أشدُّ من الآخر.

أما الغيث الأول: فهو غيث القلوب بالإيمان، بما أنزل الله من الوحي على رسله، وهذا الغيث هو حياة القلوب، وسعادة الدنيا والآخرة، وبه يستجلب الغيث الثاني وهو غيث الأرض بما ينزله الله من المطر والرحمة، فإذا عمل العباد بمقتضى الغيث الأول، ورويت قلوبهم منه، واهتموا بتحصيله، وحرصوا على تطبيقه، حصل الغيث الثاني الذي هو سبب عنه، كما قال الله تعالى: **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}**، وكما قال تعالى على لسان نبيه نوحٍ صلوات الله عليه: **{ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا}**، وقال تعالى

حاكياً عن نبيه هودٍ عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه: **{وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ}**.

أيها المؤمنون: يجب علينا أن نتفقد قلوبنا، هل رويت من غيث الإيمان والتقوى، أم هي ظامئة؟ علينا أن ننظر في نفوسنا وأعمالنا هل أصبحت ربيع العمل والتطبيق لما جاء عن الله ورسوله أم هي منه مجدبة؟ يجب علينا أن نصلح ما فسد من أحوالنا، وأن نطهر قلوبنا من أدوائها وأمراضها، وعللها وأسقامها.

أيها المؤمنون: نرى في هذه السنين قلة الأمطار، وغلاء الأسعار، وسوء الحال في جميع الأمصار، وما ذاك إلا بسبب أعمالنا، وسوء أفعالنا، وفساد نياتنا، فإن الله تعالى لا يريد لعباده إلا الخير، وقد يسر لهم أسبابه، وفتح لهم أبوابه، ولكن بأيدينا أغلقنا الأبواب، وبخطايانا وسيئاتنا ومعاصينا تعسرت الأسباب، فالخلل من قِبَلِنَا.

إنّ ما يصيبُ العبادَ والبلادَ من الجدبِ والقحطِ، وأنواعِ البلاءِ والمحن، هو عقوبةٌ لهم على مخالفتهم لربهم، وتأديبٌ من ربهم لهم، رجاءَ أن يفيقوا من رقدتهم، ويستيقظوا من غفلتهم، وينهضوا من سقطتهم، لعلهم أن يبادروا بالتفتيش عن أحوالهم، فيصلحوا فسادهم.

فإنا إذا نظرنا حال زروعنا قد ماتت، ويبست أكثر أشجارها، وآبارنا قد غارت مياهها، ومعائشنا قد تصعبت مصادرها، علمنا أن السببَ في ذلك هو ذنوبُنا ومعاصينا، فقد قَلَّت الغيرةُ على حرمات الله، وأصبحنا لا نغضب إذا عُصي اللهُ، ولا تتغيرُ ووجوهنا إذا انتُهِكَتْ محارمُ الله، وآثرنا الدنيا على الآخرة، فالكثير من الناس لا يُفرق بين الطيبِ والخبيث، ولا بين المنكر والمعروف، ولا بين الصدق والكذب، ولا بين الحق والباطل.

فأيُّ وَهَنٍ وَضَعْفٍ أشدُّ مِنْ تَنَصُّلِ المسلم عن دينه، وضعفه في يقينه؟!.

وأيُّ جرأةٍ على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أشدُّ من استحلال المحرمات، وتقحم الشبهات؟!، وأيُّ ذنبٍ أعظمُ من إهمال الصلوات، وترك إخراج الزكوات؟!.

وأيُّ مصيبة دخلت على المجتمعات الإسلامية، من تفككها وتخلخلها، حتى صار الجار لا يعرف جاره، والقريب لا يألف قريبه، والمسلم لا يرعى حق أخيه المسلم، وأصبحت لغة المعاملة بيننا هي

لغة المصالح الدنيوية، والأطماع المادية.

وأصبحت الغيبةُ والنميمةُ فاشيةً في مجالسنا، بل أصبحت حليةَ تَجَمُّعَاتِنَا.

إلى غير ذلك من المعاصي والمفاسد، فقد كَثُرَ الخبيث وقلّ بل عَدِمَ الطيب، والله تعالى غيورٌ على دينه وعلى محارمه، غيورٌ على شريعته، فإذا لم نتعظْ بتخويف الله، ونتداركْ أخطاءنا قبل حلول سخط الله، كان الجزاءُ وبيلاً، والعقابُ شديداً.

وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخطارَ المعاصي وسوءَ آثارها على الفرد والأسرة والمجتمع والقبيلة والأمة بأسرها، وحذر عن القُرب منها، فعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((يا معاشر المهاجرين: خمس إذا ابتليتم بهن — وأعوذ بالله أن تدركوهن -:

لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشى فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.

ولم يَنقصوا المكيالَ والميزانَ إلا أُخِذُوا بالسنينَ وشدةِ المؤنة وجورِ السلطانِ عليهم.

ولم يمنعوا زكاةَ أموالهم إلا مُنعوا القطرَ من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا.

ولم ينقضوا عهدَ الله وعهدَ رسوله إلا سلطَ الله عليهم عدواً من غيرهم فيأخذُ بعض ما في أيديهم.

وما لم تحكم أئمتُهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)).

وفي الحديث القدسي عن الله تعالى ((لو أن عبادي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أُسمِعْهُم صوتَ الرعد)).

وعن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الله عز وجل إذا غضب على أمة ثم لم ينزل بها العذاب، غَلَتْ أسعارُها، وقَصُرَت أعمارُها، ولم تربح تجارتُها، وحُبِسَ عنها أمطارُها، ولم تغزُر أنهارُها، وسُلِّطَ عليها شَرارُها)).

وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ما سُلِّطَ القحطُ على قوم إلا بتمردهم على الله)).

وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ما مُطِرَ قومٌ إلا برحمة، ولا قَحَطُوا إلا بسُخْطَة)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((مروا بالمعروف تُخصَبُوا، وانهوا عن المنكر ترزقوا،

وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا)).

فهذه أيها المؤمنون: هي أسباب غلاء الأسعار، وقلة البركات في الزروع والثمار، وشدة الجدب في البوادي والأمصار.

فعلينا بعلاج الأسباب، حتى نأمن شدة العقاب، وننجو من أليم العذاب، وفقني الله وإياكم لما يرضيه وجنبنا معاصيه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا {١٠} يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا {١١} وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا}، بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، إنه كريم جواد بر رؤوف رحيم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإننا في هذه الأيام نرى السحبَ تتراكم، ولكن لا تنزل مياهُها، والرياحَ تتلاطمُ، ولكن لا تَنْتَشِرُ بركاتُها، والأرضَ مُغْبَرَّةً، والجبالَ قد انصاخت، والبهائمَ قد هامت، وأحوالَ الناس قد تنكرت، ومعارفَهم قد تبدلت.

حبست السماءُ عنا قطرها، والأرض خيرها ورزقها وبركتها، ولم نحاول أن نسعى إلى الخلاص من سوء أحوالنا، ولم نقتد بنبينا صلوات الله عليه وآله وسلم في تعليمه لنا، فلقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو ربه، ويتضرع إلى خالقه، يجأر إلى الله برفع صوته، ومَدِّ يدِه، ونحن قد أصبحنا في غنى عن ذلك، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستسقي، ويدعو ربه، فعن أنس بن مالك قال: «أصابت الناسَ سَنَةٌ على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله: هلك المالُ، وجاع العيالُ، فادع لنا الله، فرفع يديه وما نرى في السماءِ قَزَعَة، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثالَ الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته صلى الله عليه وآله وسلم فمُطِرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي أو قال غيره فقال: يا رسول الله تَهَدَّمَ البناءُ، وغرق المالُ، فادع الله لنا، فرفع يديه فقال ((اللهم حوالينا ولا علينا، فما يشير بيده إلى ناحية السماء إلا انفرجت)).

وعن علي عَلَيْه السَّلام أنه كان يقول: (إذا استقيتم فاحمدوا اللَّه، وأثنوا عليه بما هو أهله، وأكثروا من الإستغفار، فإنه هو الإستسقاء).

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرفع يديه في دعائه في الاستسقاء حتى يُرى بياضُ إبطيه، تضرعاً إلى الله.

فاتقوا الله عباد الله: والجأوا إليه فهو فارج الكربات، وتوجهوا إليه فهو مجيب الدعوات، وتضرعوا إليه فهو قَيُّومُ الأرضين والسموات، وتعرضوا لرحمته، وارغبوا في فضله، واصدُقُوا في التوبة إليه، {إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذنوبَ جَمِيعَاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ}.

وأكثروا من الإستغفار ولازموه، فمن لازم الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب، فالإستغفار مفتاح الرزق من السماء، وسبب للمغفرة والرحمة والرضاء، وهو من طرق التوبة النصوح، {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارَاً، يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَليكُمْ مِدْرَارَاً}.

قال أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له في الاستسقاء، وفيه تنبيه للعباد وجوب استغاثة رحمة اللّه إذا حبس الله عنهم رحمة المطر والغيث، وفيها بيان لأسباب حبس المطر عن العباد:

أَلا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تُقِلُّكُمْ، وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا، تَوَجُّعاً لَكُمْ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ، وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا، وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا، إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الِاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ، وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً}، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْنَانِ، وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ.

اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ، وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ، حِينَ أَلْجَأَتْنَا الْمَضَايِقُ الْوَعْرَةُ، وَأَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ، وَأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ، وَتَلَاحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتَنُ الْمُسْتَصْعِبَةُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَلَّا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلَا تَقْلِبَنَا وَاجِمِينَ، وَلَا تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا، وَلَا تُقَايِسَنَا بِأَعْمَالِنَا.

اللَّهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ وَاسْقِنَا سُقْيَا نَاقِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً، تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، نَافِعَةَ الْحَيَا، كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى، تُرْوِي بِهَا الْقِيعَانَ، وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ، وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ، وَ تُرْخِصُ الْأَسْعَارَ، إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ .

٢٥- في الإستخارة وفضلها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم بذكرك أستفتح مقالي، وبشكرك أستنجح سؤالي، وعليك أتوكل في كل أحوالي، وإياك آمل فلا تخيب آمالي، اللهم بذكرك أستعيذ وأعتصم، وبركنك ألوذ وأتحزم، وبقوتك أستجير وأستنصر، وبنورك أهتدي وأستبصر، وإياك أستعين وأعبد، وإليك أقصد وأعمد، وبك أخاصم وأجادل، ومنك أطلب ما أحاول، فأعني يا خير المعينين، وقني المكاره كلها يا رجاء المؤمنين.

الحمد لله المذكور بكل لسان، المشكور على كل إحسان، المعبود في كل مكان، مدبر الأمور، ومقدر الدهور، والعالم بما تُجِنُّه البحور، وتُكِنُّه الصدور، ويخفيه الظلام ويبديه النور، الذي حار في علمه العلماء، وسَلَّمَ لحكمه الحكماء، وتواضع لعزته العظماء، وفاق بسعة فضله الكرماء، وساد بعظيم حلمه الحلماء.

اللهم إني أشهد بسريرةٍ زكيةٍ، وبصيرةٍ من الشك بريَّةٍ، شهادةً أعتقدها بإخلاص وإيقان، وأعدُّها طمعاً في الخلاص والأمان، أُسِرُّها تصديقاً بربوبيتك، وأظهرها تحقيقاً لوحدانيتك، لا أَصُدُّ عن سبيلها، ولا أَلحدُ في تأويلها، أنك أنت الله ربي لا أشرك بك أحداً، ولا أجد من دونك ملتحداً، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الذي لا يدخل في عَدَد، والفردُ الذي لا يقاس بأحد، علا عن المشاكلة والمناسبة، وخلا من الأولاد والصاحبة، سبحانه من خالق ما أصنعه، ورازق ما أوسعه، وقريب ما أرفعه، ومجيب ما أسمعه، وعزيز ما أمنعه، له المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم.

وأشهد أن محمداً نبيُّه المرسلُ، ووليُّه المفَضَّلُ، وشهيدُه المعَدَّلُ، المؤيد بالنور المضي، والمسدَّدُ بالأمر المرضي، بعثه بالأوامر الشافية، والزواجر الناهية، والدلائل الهادية، التي أوضح برهانها، وشرح بيانها، في كتاب مهيمن على كل كتاب، جامع لكل رشد وصواب، فيه نبأ القرون، وتفصيل الشؤون، وفرض الصلاة والصيام، والفرق بين الحلال والحرام، فدعى إلى خير سبيل، وشفى من هيام الغليل، حتى علا الحقُّ وظهر، وزهق الباطلُ وانحسر، صلى الله عليه وآله صلاة دائمة ممهدة، لا تنقضي لها مدة، ولا تنحصر لها عدة.

أما بعد: أيها المؤمنون: الواجب على العبد المسلم أن يكون قوي الثقة بالله، شديد الإرتباط بحبل الله، متصل العلاقة بالله تعالى، اتصالاً دائماً في حالة العسر واليسر، والرخاء والضر، وأن يكون في كل حالاته مفوضاً إلى الله أمره، مظهراً حاجته إلى الله، معترفاً بضعفه وعجزه، عالماً أنه لا يستطيع أن يجلب لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا يملك لنفسه موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ومتيقناً أنه لا حول له ولا قوة إلا بالله الععلي العظيم، فمن استغنى بنفسه عن ربه افتقر وفُتن، ومن تعزز بغير الله ذل وهان.

أيها المؤمنون: الإنسان مهما بلغ في المكر والدهاء، والحذق والذكاء، ومهما كان صاحب رأي ونظر، وتدبير وفكر، فإنه لا يستطيع أن يطلع على حقائق الأمور، ويعرف الخير منها والشرور، ولا يستطيع أن يتيقن أن الأمر الذي يقدم عليه، أو يعزم على تنفيذه فيه مصلحته أو فيه مفسدته، وإنما يخمن ويقدر ويقيس الأمور بعضها ببعض، فقد يصيب ظنه وقد يخطي، وقد يكون الأمر خيراً له، وقد يكون بالعكس.

وإذا كان الإنسان العاقل اللبيب إذا عرض له أمر من الأمور، أو أراد أن يدخل في أي شيء من القضايا، فإنه يطلب المشورة ممن يراه مناسباً، ويستشير من يعتقد أنه صاحب رأي حسن، وفكر وعقل وتدبير، فإذا أشير عليه بأمر أمضاه، وإذا أشير عليه بخلافه تركه.

ولكن كثيراً ما نعمد في قضايانا وأحوالنا وأمورنا إلى بعضنا البعض، وننسى أن نعرض أمورنا، أو نطلب المشورة في كثير من مهماتنا، على من بيده نواصينا، ومن عنده علم أحوالنا، ولديه الإطلاع الكامل على كل أمورنا، وهو الله تبارك وتعالى.

وقد يقول القائل: كيف أعرض أموري على الله؟ وكيف الطريق إلى ذلك؟

فالجواب هو: أن الله سبحانه وتعالى قد حثنا على لسان نبيه الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أن نطلب الخيرة من عنده تعالى، بأن نستخيره في كل أمورنا، فإن من استخار خار الله له الخير، ويسر له الصلاح، ودفع عنه الضر، وصرف عن الشرور.

فقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام عن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم أنه كان يعلم أصحابه الإستخارة، كما يعلمهم السورة من القرآن.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا

الإستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن.

فانظروا أيها الأحبة المؤمنون: كيف كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهتم بتعليم أصحابه أمر الإستخارة، وإرشادهم إليها، وحثهم عليها، في كل أمورهم، صغيرها وكبيرها، بل ويشدد على تعليمهم ذلك كما يعلمهم السورة من القرآن، حتى يحفظوها، ولا يتهاونوا بأمرها.

أيها المؤمنون: إن الأستخارة تدل على تعلق قلب المؤمن بالله، وتوكله على الله في جميع أحواله، فالمؤمن ينظر إلى قوله تعالى **{قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}**، وإلى قوله تعالى **{وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}**، وإلى قوله تعالى **{وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}**، ينظر إلى هذه الآيات وغيرها من آيات القرآن الكريم، فيرتاح باله، وتطمئن نفسه، ويتيقن أن الله لن يضيعه، ولن يهمله، ولن يتركه في متناول الأهواء والتخبطات، ولكن على المؤمن أن يؤكد ذلك التوكل، ويبرهن على ذلك التفويض، بالإلتجاء إلى الله، والإعتماد عليه، وطلب المعونة منه على أموره، فأنت أيها المسكين لا تعلم ماذا يحصل لك بعد ثانية من وقتك، فضلاً عن ساعة أو يوم، بل لا تعلم ما يحصل لك أو عليك خلال طرفة عين.

ما بين طرفة عين أو تقلبها يغير الله من حال إلى حال

فالسعيد هو من يستخير ربه، والشقي هو من يعتمد على دهائه وحذقه ومعرفته، كما روي عن النبي اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم أنه قال: ((مِنْ سعادة المرء كثرةُ الإستخارة، ومن شقاوته تركُ الإستخارة)).

وفي حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((من سعادة ابن آدم كثرة استخارة الله، ورضاه بما قضى الله له، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، وسخطه بما قضى الله له)).

أيها المؤمنون: من استخار الله تعالى فاز وأفلح، ونجح وربح، ومن ترك الإستخارة ندم وخسر، وتحسف وتحسر، كما روي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد)).

أيها المؤمنون: حين ترك الناس الإستخارة، ولم يرجعوا إلى ربهم، واعتمدوا على أنفسهم، وبآءت أكثر حالاتهم بالفشل، وكان عاقبة كثير من أمورهم إلى الفساد والخلل، لأننا نسينا أن نعتمد على من

عنده العلم بمصادر أحوالنا ومواردها، ومِن عنده يأتينا كل ما نملك، وهو الذي يخولنا ويعطينا وينعم علينا، أفلا تدعونا أنفسنا هذه الشقية إلى أن نلجأ إليه، وهو لم يتركنا في كل حالاتنا، حتى ونحن نعصيه، يمدنا بنعمه، فكيف إذا كنا من أهل طاعته.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يخفر من انتصر بذمته، ولا يقهر من استتر بعظمته، ولا يُكدي من أذاع شكر نعمته، ولا يَهلَكُ من تغمده برحمته، ذي المنن التي لا يحصيها العادون، والنعم التي لا يجازيها المجتهدون، والصنائع التي لا يستطيع دفعها الجاحدون، والدلائل التي يستبصر بنورها الموجودون، أحمده جاهراً بحمده، شاكراً لرفده، حمد موفق لرشده، وأثق بوعده، له الشكرُ الدائمُ، والأمرُ اللازم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى وسلم عليه وعلى آله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المؤمنون: الإنسان قد يهم بأمر أو يعزم على عمل وهو في نظره القاصر يرى أن ذلك الأمر فيه مصلحة كبيرة له، يجلب من ورائه أموالاً، أو يكسب من خلاله مصالح تعود عليه بالنفع، ولكن في علم الله تعالى أن ذلك بخلاف ما يراه، وقد يعرض للإنسان أمر أو قضية أو عمل فيراه في نظره القاصر غير مناسب، أو أنه ليس خيراً له، ولكن هو عند الله خير لك وأجلب لمنفعتك، كما يقول الله تعالى **{عَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}**، وكما يقول تعالى **{فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيراً}**، ولكن كيف هي الطريق إلى أن نعرف ما هو الخير لنا عند الله؟

الطريق هي بالإستخارة، هي بطلب العون من الله، هي بالإستعانة بالله تعالى، فإذا قد استخرتَ ربك، ورأيت الأمر متيسراً لك، واطمأن قلبك إليه، وتاقت نفسك وتعلقت به، وحصل عندك تفاؤل فيه، ولم يحصل لك فيه أي عائق فيه، ولم يعرض لك شيء يخوفك منه، فإن ذلك علامة على إرادة الله الخير والمصلحة لك، فاسع في الطلب، وجد وفي العمل.

وإذا تعسر عليك الأمر، أو تصعب عليك طلبه، أو عاقك عنه عائق، أو عرض لك ما يخوفك منه، أو حصل لك منه أدنى تشاؤم، فإن ذلك علامة على أن الله يريد أن يصرف عنك شراً، وأن الله يعلم الخير لك في خلاف ذلك، فاترك ذلك الأمر، واعدل إلى غيره مما هو خير لك عند الله.

فإنك قد تعزم على أمر وإن كان خيراً لك في الدنيا فقد يكون نقصاً عليك في الدين، والأفضل

لك أن تبحث عن ما فيه زيادة الدين وإن نقص عليك في الدنيا، ومع الإستخارة لله ستجد النتائج الطيبة الكريمة.

فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رحمة اللَّه عليه أنه قال: (ما أبالي إذا استخرت اللَّه على أي جنبي وقعت).

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته لولده الإمام الحسن عَلَيْه السَّلام (واخلص في المسئلة لربك، فإن بيده العطا والحرمان، وأكثر الاستخارة).

أيها المؤمنون: للإستخارة فوائد كثيرة، يعرفها المؤمن في حياته ومعاملاته:

فمنها: أنها تدل على صدق الرجوع إلى الله والتوكل عليه، وهذه درجة عالية جداً، قلَّ من يصل إليها من المؤمنين.

ومنها: أنها تجلب للمسلم الأجر والثواب، وتقربه من ربه، لأنها تتضمن التضرع والسؤال والدعاء والذكر لله تعالى، وهذه كلها من أعمال الطاعات التي تزيدك أجراً وذخراً.

ومنها: أنها تزيل من قلب المؤمن الحيرة والشك في الأمر الذي يريده، أو يعزم عليه، ويحصل له بعدها الطمأنينة وراحة البال وانشراح الصدر، ولا يبالي بما فاته من ذلك الأمر، ولو حصل فيه خير لغيره، لأنه ليس فيه خير له، وإن حصل لغيره، فلا يكون عنده تحسر على ما فاته.

ومنها: أنها تدل على رضى العبد وتسليمه بما يختاره الله له، فإن ما يختاره الله لك، أفضل مما تختاره أنت لنفسك، لأن الله أعلم بمصلحتك منك، واختياره خير لك من اختيارك، ولو كان ذلك في نفسك صعب، فإنه سيبدو لك فيما بعد صحةُ ذلك وصدقُه.

ومنها: حصول البركة والخير الكثير في الأمر الذي تقدم عليه وتدخل فيه، فإن البركة ما دخلت في قليل إلا كثرته، ولا نزعت من كثير إلا قللته.

ومنها: أن الإنسان قد يستصغر الأمر الذي يريده أو يحتقره، أو يراه ليس مهماً فإذا استخار علم أن ذلك كان فيه خير كثير، أو شر كثير مستطير.

أيها المؤمنون: الإستخارة مطلوبة منا في كل أمر صغر أو كبر، عظم أو حقر، فإذا أردت السفر فاستخر الله، وإذا أردت الزواج فاستخر الله، وإذا أرت التجارة فاستخر الله، وإذا أردت

الزراعة فاستخر الله، وإذا أردت أي عمل فلا تنس الإستخارة، حتى ولو عرض لك الأمر وأنت في السوق أو في البيت أو الطريق أو في أي مكان، وأشير عليك بالذهاب إلى المكان الفلاني أو إلى عند الشخص الفلاني، أو بالجلوس في المكان الفلاني فلا تغفل الإستخارة، ولا يحتاج إلى أن تتوضأ وتصلي ثم تدعو، ولكن احفظ أي دعاء للإستخارة ولو قلّ، ثم انظر في الأمر الذي يرتاح له بالك، وتطمئن به نفسك، وتوكل على الله ربك.

ولا تستثقل أن تكرر الإستخارة مرتين أو ثلاثاً، ولو إلى سبع مرات، ليطمئن قلبك، ولكي تكون على بينة من أمرك، ولتكون استخارتك تامة فلا بأس بأن تقدم قبلها صلاة ركعتين تقرأ فيهما ما أردت من القرآن، ثم تدعو الله تعالى وتستخيره في أمرك.

كما روي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: ((يا أنس إذا هممت بأمر فاستخر ربك عز وجل فيه سبع مرات ثم انظر إلى الذي سبق إلى قلبك فإن الخير فيه)).

وقد وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم طرق في تعليم الإستخارة فمنها:

ما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إذا هَمَّ أحدكم بأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبةِ أمري أو عاجلِ أمري وآجلِه فاقْدِره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ودنياي ومعاشي، وعاقبة أمري أو عاجلِ أمري وآجلِه، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدِر لي الخيرَ حيث كان، ثم رضني به، ويسمي حاجته).

وفي رواية أخرى: ((إذا أراد أحدكم أمراً فليسمّه، وليقل: اللهم إني أستخيرك فيه بعلمك، وأستقدرك فيه بقدرتك، فإنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب، اللهم ما كان خيراً لي من أمري هذا فارزقنيه، ويسره لي، وأعني عليه، وحببه إليَّ، ورضني به، وبارك لي فيه، وما كان شراً لي فاصرفه عني، ويسر لي الخير حيث كان)).

وهناك أدعية مروية عن الأئمة عليهم السلام في شأن الإستخارة فمنها ما هو عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، وهو موجود في الصحيفة السجادية، ومنها ما هو مروي

عن الإمام علي بن موسى الرضا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو من الوسائل العشر في المسائل العشر، وهو ضمن أدعية موارد الضمآن في أدعية شهر رمضان، وغيرها مما ورد عن الأئمة عليهم السلام، والعلماء رضي الله عنهم.

٢٦- تربية الأبناء

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

أَحْمَدُهُ اسْتِتْمَاماً لِنِعْمَتِهِ، وَاسْتِسْلَاماً لِعِزَّتِهِ، وَاسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ، إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَلَا يَئِلُ مَنْ عَادَاهُ، وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ، فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ، وَأَفْضَلُ مَا خُزِنَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلَاصُهَا، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا، وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيراً بِالْآيَاتِ، وَتَخْوِيفاً بِالْمَثُلَاتِ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أعمدة الدين، وعصمة المسترشدين.

أما بعد: أيها المؤمنون: يقول الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}**، ويقول تعالى: **{يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ}**، ويقول تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}**، ويقول تعالى: **{وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}**.

الله سبحانه وتعالى امتن علينا بنعمة الأولاد، سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً، فهم نعمة من الله، ومنة منه تعالى، وأمانة في أعناقنا، سيسألنا الله تعالى عنهم يوم القيامة.

أولادنا قلوبهم لا تزال طاهرة نقية، خالية عن الشوائب والمنغصات، بعيدة عن كثير من الأعراض التي امتلأت بها قلوب الأكابر، قلوبهم كالأرض الخالية التي تقبل ما ألقي فيها، فهي تنبت كل زرع ألقي فيها حبه، فهم بحاجة إلى ما يملأ قلوبهم صلاحاً وفلاحاً، وهدى ويقيناً وعلماً ونوراً، ويحتاجون إلى أن نعودهم على الخير وأعمال الطاعات، وإلى أن نحذرهم عن الشر والأعمال الموبقات.

فأبناؤك أخي المؤمن جواهر نفيسة، ودرر ثمينة تحتاج منك إلى الرعاية وإلى زيادة الحرص عليها والحراسة

لها والإهتمام بها، حتى لا تدنسها أيدي العابثين، ولا تختطفها عليك أبصار الحاسدين، وفإذا لم ترعَ تلك الجواهر فإنها معرضة لكثير من الأخطار، إما أن تخرج عن ملكك وتصير إلى غيرك، أو تكون الفائدة منها لغيرك لا لك، أو تكون يوماً سبباً في هلاكك ودمارك.

فأولادنا أوجب الله لهم علينا حقوقاً سنسأل عن تأديتها إليهم، من حسن التربية والتعليم والتقويم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا قام الآباء بحقوق أبناءه، فسيقوم الأبناء بحقوق آبائهم، لأن حقوق الآباء متوقفة على تقديم الوفاء بحقوق الأبناء.

فإذا كنا نحرص على أبناءنا في الدنيا ونقدم لهم نفقاتهم ومحتاجاتهم، ونرعاهم من البرد والحر والجوع والعطش والعري وجميع عوارض الدنيا وأحوالها، بل ونحرص على أن نُعَوِّدَهُم وأن نعلمهم طبائعنا في أعمالنا الدنيوية، فالتاجر يعلم أولاده التجارة، وكيفية البيع والشراء، ويأخذهم معه إلى متجره، ويلقنهم كيف يتعاملون مع المشترين، والمزارع كذلك، فإذا كنا على هذه الحال فأبناؤنا في أمس الحاجة إلى أن نرعاهم رعاية دينية، وأن نربيهم تربية إسلامية، وأن نعلمهم تعاليم الدين والإسلام.

واعلم أيها الأبُ الكريمُ أنك بتقصيرك في حقوق أولادك تكون عاقاً كما أن الولد بتقصيره في حقوق والديه يكون عاقاً، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام ((يلزم الوالدين من العقوق بولدهما ما يلزم الولد بهما من عقوقهما)).

فإنك إذا أحسنت تربية ولدك، وقمت بحاجته على أكمل قيام، وصار ولداً صالحاً، كان ذلك من سعادتك وتمام عيشتك الهنية الطيبة الراضية، كما قال علي عليه السلام ((من سعادة المرء المسلم الولد الصالح))، فأنت تكون شريكاً لولدك في كل عمل صالح قام به وقدمه، وكل طاعة عمل بها، لأنك السبب في إصلاحه وهدايته، وكذلك بعد وفاتك لن ينساك ولن يتركك من دعاء وزيارة وصدقة وبر وغير ذلك، وهذه هي السعادة الدينية والدنيوية والأخروية.

ونحن نرى في هذه الأزمنة من القصور والتهاون في التربية، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن لكل شيء ثمرة، وثمرة القلب الولد، وإن الله لا يرحم من لا يرحم ولده))، فيا ترى ما هي رحمة الوالد لولده، ماذا تعني وكيف تكون؟

هل هي أن ترحمه من الجوع والعطش والعري؟

وترحمه من الأمراض والحر والبرد فقط؟

أم أن رحمتك لولدك اسم جامع، ومعنى شامل لكل ما يحتاجه ولدك من معاني الرحمة.

فرحمتك لولدك، تعني تربيته تربية إسلامية، وتأديبه تأديباً دينياً، تهذيبه تهذيباً شرعياً.

تعني أن تختار له الأصدقاء والجلساء الصالحين، وتحذره من جلساء السوء.

تعني أن تتابعه وتراقبه في صلواته وعباداته.

تعني أن تحثه وتدفع به إلى طلب النافع.

تعني رحمتُك له أن تأخذ بيده إلى كل أمر يقربه من الجنة، ويبعده من النار.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إن أحسن الحديث وأبلغ المواعظ، وأنفع الذكر كتاب الله جل وعز، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو الفتاح العليم، بسم الله الرحمن الرحيم، **{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ {١٧} وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ {١٨} وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}**، بارك الله لي ولكم في القرآن ونفعني وإياكم بما فيه من الذكر والبيان، إنه ولي الجود والإحسان، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يَخفِرُ من انتصر بذمته، ولا يَقْهَرُ من استتر بعظمته، ولا يُكدِي مَن أذاعَ شكر نعمته، ولا يَهلَكُ من تغمده برحمته.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، فرداً صمداً، ليس له ند ولا شبيه.

ونشهد أن محمداً عبدُه المصطفى، ورسولُه المجتبى، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الهداة.

أما بعد: أيها المؤمنون:

إذا تأملنا القرآن الكريم ووقفنا مع آياته البينات في سورة لقمان في وصيته لابنه فإنها ستعلمنا دروساً إيمانيه صحيحة، وطريقاً سليمة في التربية، ولنقف مع هذه الوصايا والتعليمات لنستفيد منها ونتعلم منها، يقول الله تعالى حاكياً عن لقمان الحكيم في وصيته لولده: **{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ {١٣} وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ {١٤} وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {١٥} يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ {١٦} يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ {١٧} وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ {١٨} وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}**.

فأوصاه أولاً بتوحيد الله وحذره من الشرك وأضراره، ثم أوصاه بوالديه وبرهما والإحسان إليهما، وحذره من عصيانهما، وقرن طاعتهما بطاعة الله، ثم بين له كيف يتعامل مع أبويه إذا طلبا منه معصية الله بأن يصاحبهما في الدنيا، وينزلهما منزلة الصاحب الحفي، وأن يتبع سبيل المؤمنين المنيبين إلى الله، ثم أمره بالصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى الصبر على احتمال الأذى في سبيل طاعة الله تعالى، وفي سبيل الأمر والنهي لأن سبيلهما صعبة، ثم أوصاه بكيفية التعامل مع الناس، فنهاه عن الكبر

والتبختر والخيلاء، وأمره بالتواضع وغض الصوت وحسن التعامل، فهذه طريق نتعلم منها كيف نربي ونعلم ونؤدب أبناءنا، وأن الإسلام قد بين لنا الطريق إلى ذلك ولم يتركها بدون توضيح ولا تبيين.

ولنقف مع أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي عليه السلام، ليبين لنا منهجاً سليماً، وطريقاً مستقيماً، في هذا المجال.

قال عليه السلام: سألت ربي أولاداً مطيعين لله وجلين منه، حتى إذا نظرت إليه وهو مطيع لله قرت عيني.

وقد رسم لنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه دستوراً في التربية والوصية للأبناء في وصيته لولده الإمام الحسن عليه السلام، التي أوصاه فيها بكل خير، ونهاه وحذره عن كل مكروه وشر وضير، ونبهه فيها على كثير من أمور الدنيا والدين، وهي وصية لكل مسلم، لا سيما أولاد أمير المؤمنين ومن ينتسبون إليه في الإتباع والإقتداء.

فقال عليه السلام ((بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ وَأَوْرَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا، قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى، وَفِتَنِ الدُّنْيَا فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ، وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ، فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ، قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ)) وهي وصية طويلة، لو أتينا بها لطال المقام، واتسع الكلام، وهي مذكورة في كتاب نهج البلاغة في خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وقال عليه السلام: من علم ولده القرآن دعي الأبوان يوم القيامة فكسيا حلتين يضيء من نورهما وجوه أهل الجنة)).

وقال النبي صلى الله عليه وآله ((إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له)).

وقال عليه السلام: احمل صبيك حتى يأتي عليه ست سنين — أي قم بشأنه وأمره ولاتحمله ما يشق به ويتعبه- ثم أدبه في الكتاب سنتين، ثم ضمه إليك سبع سنين، وأدبه بأدبك، فإن تقبل وصلح وإلا فخلّ عنه —أي قد قمت بالواجب عليك تجاهه-.

وقال عليه السلام: أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم يغفر لكم.

وقال: لئن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم.

وقال عليه السلام: علموا صبيانكم من علمنا ما ينفعهم الله به، لا تغلب عليهم المرجئة برأيها.

وقال عليه السلام: ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن.

فتأديبك لولدك خيرٌ من أن تقدم له وتسهل له خدمات الدنيا، خير من أن تشتري له سيارة، وتبني له عمارة، وتزوجه المرأة الحسناء، لأنه إذ عدم الأدب عدِم كل خير وكمال.

وقال صلوات الله عليه: علموا أولادكم الصلاة وخذوهم بها إذا بلغوا الحلم.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أدبوا أولادكم على ثلاث: حبي وحب أهل بيتي وقرآة القرآن))، والمحبة هي الإتباع والإقتداء والتأسي.

نسأل الله أن يعيننا على ما يرضيه، وأن يجنبنا معاصيه، وأن يجعل من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير.

٢٧- الأخوة في اللّه

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فهدى به من الضلالة، وبصر به من العمى والجهالة، وجمع به بعد الفرقة، وألف به بعد العداوة، والحمد لله الذي جعل التآخي بين المؤمنين من مقتضيات الإيمان، وأوجب عليهم ما يقوم هذه الإخوة من الدعائم والأركان.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلَاصُهَا، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا، وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيراً بِالْآيَاتِ، وَتَخْوِيفاً بِالْمَثُلَاتِ.

أما بعد أيها المؤمنون:

الله تعالى حكم على المؤمنين حكماً حتماً، وأوجب عليهم واجباً لازماً، فقال تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}**، فالأخوة بين المؤمنين ليست خيار مصالح دنيوية، أو نيل مناصب رئاسية، أو تحصيل مطالب اقتصادية، أو منافع مادية أو سياسية، أو لأجل روابط اجتماعية أو جغرافية، ليست لهذا ولا لذاك، بل هي واجب شرعي، وفرض إسلامي، بين كل المؤمنين، سواء تقاربت أنسابهم وأوطانهم أو تباعدت، تساوت طبقاتهم أو تفاوتت، كما قال تعالى: **{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}**.

فالأخوة أمرها عظيم، وخطرها جسيم، ونفعها كبير في الدنيا والآخرة، لأن الأخ والخليل والصاحب يؤثر ويتأثر، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك

إلا تقي))، فلما كان الأمر بهذه الخطورة كانت الأخوة في الله ومن أجل الله هي أعظم مكاسب الأخوة، وأعلى مقاماتها، ومن أحب الأعمال إلى الله تعالى، كما روي عن أبي ذر رضي الله عنه قال ((خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال ((أتدرون أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال قائل: الصلاة والزكاة، وقال قائل: الجهاد، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن أحب الأعمال إلى الله تعالى الحب في الله، والبغض في الله)).

وحث النبي صلى الله عليه وآله وسلم على اكتساب الأخوة المؤمنين، فعن علي عَلَيْه السَّلام، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: ((ستة من المرؤة: ثلاثة منها في الحضر، وثلاثه في السفر، أمَّا التي في الحضر: فتلاوة القرآن، وعمارة المساجد، واتخاذ الإخوان في الله، وأمَّا التي في السفر: فبذل الزاد، وحسن الخلق، والمزاح في غير معاصي الله تعالى)).

فالأخوة والمحبة إذا كانت مبنية لله ومن أجل الله، والهدف منها هو إرضاء الله، بعيدة عن الأطماع، سليمة عن الأغراض، فهي العمل الناجح والمتجر الرابح، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، عن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم قال: ((ألا إن أولياء الله هم المتحابون في الله عزّ وجل)).

وقد وردت لهم البشارات والفضائل، والمقامات المحمودة في أحاديث كثيرة: منها: ما رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام قال: بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه كان يقول: ((أنا شفيعٌ لكل أخوين تحابا في الله من مبعثي إلى يوم القيامة)).

وقال عليه السلام: بلغنا عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((قال الله تبارك وتعالى: وعزتي وعظمتي وكبريائي وجودي لأدخلن داري، ولأرافقن بين أوليائي، ولأزوجن حور عيني المتحابين في، المتواخين في، المتحببين إلى خلقي)).

وعن معاذٍ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((يقول الله عز وجل وجبت محبتي للذين يتحابون في ويتباذلون في ويتزاورون في)).

وعن علي عَلَيْه السَّلام، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: ((إن المتحابين في الله تعالى لعلى عمود من ياقوتة حمراء على رأس العمود سبعون غرفة يضيء حسنهن لأهل الجنَّة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، فيقول أهل الجنة: انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله، فإذا أشرفوا عليهم أضاء

حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا عليهم ثياب خضر من سندس بين أعينهم مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون في الله عزّ وجل)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن المتحابين في الله على كراسي من ياقوت حول العرش)).

وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((المتحابون في الله تعالى في الجنة على عمود من ياقوته حمراء على رأس ذلك العمود سبعون ألف غرفة، عليها المتحابون في الله يُشرفون على أهل الجنة، فإذا طلع أحدهم على أهل الجنة ملأ حسنه بيوت أهل الجنة كما يملأ ضوءُ الشمس بيوت أهل الدنيا، قال: فيخرج أهل الجنة ينظرون إليهم فإذا وجوههم كالقمر ليلة البدر عليهم ثياب خضر مكتوب في وجوههم هؤلاء المتحابون في الله عز وجل)).

فهذا الثواب الموعود، والجزاء في دار الخلود، لهؤلاء المتحابين في الله تعالى، يحثنا ويدعونا إلى أن نكتسب هذه الفضيلة الشريفة، ونبنيَها على الأسس المتينة، بعيدة عن الأهواء، متوافقة مع مراد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه يترتب على هذه الأخوة أمور هامة، وحقوق عامة، فالإخوة التي أمرنا بها ليست أخوة في اللسان فحسب، ولكنها أخوة عميقة كامنة في النفوس والقلوب، غراسها إخلاص الود، وثمراتها المعاملة الحسنة لأخيك، والذب عنه، أخوة تقتضي أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، تحب أن يكون صالحاً، أن يكون عزيزاً، أن يكون غنياً، أن يكون متخلقاً بالأخلاق الفاضلة، كما تحب لنفسك أن تكون كذلك، تسعى في نصحه وإرشاده وتقويمه، سالكاً بذلك أحسن السبل لحصول المقصود كما تحب أن يسعى لك في هذا، تكره لأخيك ما تكره لنفسك، فتكره أن يكون فاسداً، أن يكون ذليلاً، أن يكون متخلقا بالأخلاق السافلة تكره ذلك كله لأخيك كما تكرهه لنفسك لا يكفيك إذا كان أخوك ورأيته على حال لا تحبها لنفسك أن تدعو الله له بإصلاح حاله بل ادع الله له، واستعن بالله على فعل الأسباب التي تنقذه مما تكره، من واجبات هذه الإخوة أن لا تظلمه في دمه، ولا في ماله، ولا في عرضه كما أنك تكره أن تُظلم في هذه الأمور، هل من الأخوة أن تأكل مال أخيك بغير حق؟! هل من الأخوة أن تعتدي على حقوقه؟! هل من الأخوة أن تسبب في قطع رزقه فتبيع على بيعه، وأن تؤجر على إجارته، أو تسوم على سومه، أو تخطب على خطبته هل ذلك من الأخوة ؟ هل من الأخوة أن تخدعه ؟ أن تغدر به إذا عاهدته، أن تغشه إذا عاملته؟ هل من الأخوة أن تتبع عوراته؟ فتعلنها، وتنظر إلى حسناته بعين

العمى فتسترها؟ هل من الأخوة أن تعتدي عليه بالإفتراء والباطل؟

فالأخوة في الله أن يكون كل واحد من المؤمنين في حاجات إخوانه دائماً، يغيث الملهوف، وينصر المظلوم، ويعين العاجز، ويصلح بين المتخاصمين، ويؤلف بين المتعاديين، ويقضي حاجة من لا يستطيع قضاءها، فيطعم الجائع، ويكسو العاري، ويسقي الظمآن، ويدل الأعمى على الطريق، ومن كان في حاجة أخيه – قليلة كانت أو كثيرة – كان الله في حاجته، ومن كان الله في حاجته فلا بد أن تقضي حاجته، وتيسر أموره، كما يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)).

وكما قال صلى الله عليه وآله وسلم : ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)).

وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تدخلوا الجنة حتَّى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتَّى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: إفشاء السلام بينكم)).

وعن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنَّه قال: ((ما من عبدين متحابين في الله عز وجل يستقبل أحدهما الآخر فيصافحه ويصليان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إلاَّ لم يفترقا حتَّى تغفر لهما ذنوبهما ما تقدم من ذنبه وما تأخر)).

بسم الله الرحمن الرحيم {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }.

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعني وإياكم بما فيه من الحكمة والبيان، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ربط بين المؤمنين بالأخوة الإيمانية ونماها، وشرع لهم من الأسباب ما تثبت بها أركان تلك الإخوة وتقوي عراها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فأعظم به ربًّا وإلهًا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكمل البرية وأهداها، صلى الله عليه وعلى آله أفضل البرية وأتقاها، الذين قاموا بما أوجب الله عليهم من حقوقه وحقوق عباده على أكمل الوجوه وأعلاها ما طلعت الشمس، وأشرق ضياها.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن هذه الأخوة والرابطة الدينية أقوى من كل رابطة وصلة، فيوم القيامة لا أنساب بينهم يومئذ ولا يتسآءلون، ولكن الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، فالأخوة في الله هي النافعة في القيامة.

فعن الإمام الشهيد أبي الحسين زيد بن علي عَلَيْهِم السَّلام: **{الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ(٦٧)}**[الزخرف] قال: كل خليل معاد خليله إلاَّ الخلة في الله.

وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن قوله تعالى: {ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم}، قال: هم المتحابون في الله.

واعلموا أن منفعة الأخ والخليل وضرره لا تقتصر على الدنيا فحسب، بل حتى عند الموت وفي الآخرة، فعن علي عليه السلام، أنَّه سئل عن قوله تعالى: {الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوّ}، قال: خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فتوفي أحد المؤمنين فبشر بالجنة، فذكر خليله فقال: اللهم خليلي فلان كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر وينبئني أني ملاقيك، اللهم فلا تضله بعدي حتَّى تريه كما أريتني وترضى عنه كما رضيت عني، ثُمَّ يموت فيجمع الله بين أرواحهما ثُمَّ ليقول: ليثن كل واحدٍ منكما على صاحبه، فيقول: كل واحدٍ منهما لصاحبه، نعم الأخ ونعم الصاحب، ونعم الخليل.

ثُمَّ يموت أحد الكافرين فيبشر بالنار فيقول: الله إن خليلي كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك

ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير وينبئني أني غير ملاقيك، اللهم فلا تهده بعدي حتَّى تريه كما أريتني وتسخط عليه كما سخط عليّ، ثُمَّ يموت الآخر فيجمع بين أرواحهما ثُمَّ يقول: لئن كل واحدٍ منكما على صاحبه، فيقول: كل واحد منهما لصاحبه بئس الأخ وبئس الصاحب وبئس الخليل، ثُمَّ قرأ: {الأخلاءِ يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوّ إلاَّ المتقين}.

أيها المؤمنون:

قد أصبحنا في زمان قلّ فيها الأخوة المؤمنون الصادقون، بل كادوا أن يعدموا، وكثر فيه المتفيهقون والمفترون والمدعون، بل كادوا أن يعموا، كما روي عن علي عَلَيْه السَّلام، قال: (يكاد الناس أن ينقصوا حتى لا يكون شيء أحب إلى امرء مسلم من أخ مؤمن، أو درهم حلال، وأنى له به).

فإن من لم يكن من الأخوة المؤمنين فهو من المعادين، ومن كان من أعداء المؤمنين فهو من الفاسقين أو المنافقين، وما أكثرهم في هذه الأزمنة والدهور، يسعون لبث الفرقة بين المؤمنين، ويجعلون الفرقة من الدين، بل يحثون عليها الناس ويدعونهم إليها، فهل هذا من الدين، أم من صفات المعادين للدين، فلنكن على حذر من دعاة الفرقة، وأهل الفتنة، بت الله أواصرهم، وقطع دابرهم، وألحق أولهم بآخرهم، وفضحهم وهتك أستارهم، وأخرج أخبارهم، وأظهر أسرارهم.

ولنفتح صفحة مع الله جديدة، ولنكن من أهل القلوب السليمة، ولنبحث عن الأصدقاء والأخوة المؤمنين، الذين يعينون على الطاعة والإستمرار عليها، فإن إخوان الصفاء والوفاء معدومون في هذا الزمان الشديد.

٢٨- حول العلاقات الأخوية

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فهدى به من الضلالة، وبصر به من العمى والجهالة، وجمع به بعد الفرقة، وألف به بعد العداوة، والحمد لله الذي جعل التآخي بين المؤمنين من قواعد الإيمان، وأوجب عليهم حقوقاً لتقوية الدعائم والأركان.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلَاصُهَا، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا، وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيراً بِالْآيَاتِ، وَتَخْوِيفاً بِالْمَثُلَاتِ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: يقول الله تعالى **{إنما المؤمنون إخوة}**، ويقول تعالى **{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}**، فالإسلام دين المحبة والإخاء، والتعاون والولاء، والصدق والصفاء، فقد حرص الإسلام على تقوية العلاقات الإسلامية، وتوثيق الروابط الأخوية بين اللمسلمين، وجعل لهم وعليهم حقوقاً لا خلاص لهم إلا بالوفاء بها، والقيام بشأنها، فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: ((للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً ، لا براءة له منها إلا بالأداء ، أو العفو له: يغفر زلته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويعود مرضته، ويشهد ميتته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويشمت عطسته، ويرشد ضالته، ويرد سلامه، ويبر إنعامه، ويصدق أقسامه، يواليه ولا يعاديه، وينصره ظالماً أو مظلوماً، أما نصرته ظالماً فيرده عن

ظلمه، وأما نصرته له مظلوماً فيعينه على أخذ حقه، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه، ثم قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة فيقضي له عليه)).

وقد جعل الإسلامُ التواصلَ والتزاورَ من أسباب ربطِ العلاقاتِ الأخويةِ وتقويتِها، كما روى الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام قال: بلغنا عن سلمانَ الفارسي رحمة الله عليه أنه قال: خرجتُ مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم زائراً لأُنَاسِيَّةٍ من أهل اليمن كانوا بايعوا رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على الإسلام، فدخل عليهم، فجعل يصافحُهم واحداً واحداً، فلما خرجنا قال: ((يا سلمان، ألا أُبَشِّرُك))، قلت: بلى يا رسول الله، فقال: ((ما من مسلمٍ يخرجُ من بيته زائراً لإخوةٍ له من المسلمين إلا خاض في رحمة الله، وشَيَّعَه سبعونَ ألف ملكٍ، حتى إذا التقوا وتصافحوا كانوا كاليدين التي تغسلُ إحداهما الأخرى، وغُفِرَ لهم ما سَلَفَ، وأُعطُوا ما سَأَلُوا)).

غفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إن أحسن الحديث وأبلغ المواعظ، وأنفع الذكر كتاب الله جل وعز، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو الفتاح العليم.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}

وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله أهلِ الحمدِ ووليِّه، ومنتهى الحمدِ ومحلِّه، المحمودِ بامتنانِهِ، المتفضلِ بعطائه وإحسانِهِ، نحمدُه على آلائِهِ، وتظاهرِ نعمائِهِ، حمداً يزِنُ عظمَةَ جلالِهِ، ويملأُ قدرَ آلائِهِ وكبريائِهِ.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي خضعَ الخلائقُ لوحدانيَّتِهِ، ودانوا لربوبيته.

وأشهد أنَّ محمداً صلى الله عليه وآله عبدُه ورسولُه، وخيرتُه من خلقه، بَلَّغَ رسالتَه، وجاهدَ في سبيله، وعبده حتى أتاه اليقينُ، صلى الله عليه وعلى آله، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المؤمنون:

من أسباب تقوية العلاقات بين الإخوة المسلمين: ما روي عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((للمسلم على المسلم ست من المعروف: يُسَلِّمُ عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويُشَمِّتُه إذا عطس [أي يقول له يرحمك الله]، ويعوده إذا مرض [أي يزوره]، ويحضر جنازته، ويحب له ما يحب لنفسه)).

ومن ذلك: السعي في قضاء حوائجهم: فعن أبي عبد الله جعفرِ بنِ محمدٍ الصادق، عن آبائه عليهم السلام: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((ما من مؤمنٍ أتاه أخوه المؤمن فسأله حاجةً هو يقدر على قضائها فيرده عنها إلا قال الله له يوم القيامة: أتاك عبدي المؤمنُ في دار الدنيا يسألك حاجةً قد مَلَّكْتُكَ قضاءها فرددته عنها، لا قضيتُ لك اليوم حاجةً، مغفوراً كان أو معذباً))، أي سواء كان من المغفور لهم أو من المعذبين.

ومن ذلك: حماية المؤمن والدفاع عنه، والذبُّ عن عرضه: فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ((من حمى مؤمناً عن منافقٍ بعث اللهُ ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلماً بشيءٍ يريد به شَيْنَهُ حبَسَهُ اللهُ على جسر جهنم حتى يخرج مما قال)).

ومن ذلك: تنفيس كربهم وستر عيوبهم، ومعاونتهم: كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من نَفَّسَ عن مسلمٍ كربةً من كُرَبِ الدنيا نَفَّسَ اللهُ عنه كُربةً من كُرَبِ الآخرة، ومن سَتَرَ على مسلمٍ ستره الله في الدنيا والآخرة، واللهُ في عونِ العبد ما كان العبدُ في عون

أخيه المسلم، ومن يَسَّرَ على مسلمٍ يَسَّرَ اللهُ عليه)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((أيما مسلمٍ كسا عارياً ثوباً كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلمٍ أطعم مسكيناً على جوعٍ أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلمٍ سقى مسلماً على ظمإٍ سقاه الله من الرحيق المختوم)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من مشى في حاجة أخيه المسلم فبالغ فيها قضيت أو لم تقضَ كُتِبَ له عبادةُ سَنَةٍ)).

فهذه بعض الواجبات والحقوق اللازمة على المؤمنين، فإذا أردنا تقوية علاقاتنا، وربط أخوتنا، وسلامة ديننا، فلنمتثل أمر ربنا، ولنطبق ولنعمل بآداب نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

٢٩- حول الرزق والحكمة فيه

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الملك الحق، خالق الخلق، باسط الرزق، الذي لا يعجزه كثرة الإنفاق، ولا يمسك خشية الإملاق، ولا ينقصه إدرار الأرزاق، ولا يُدرك بأُناسِيِّ الأحداق، ولا يوصف بمُضَامَّةٍ ولا افتراق، أحمده على جزيل إحسانه، وأعوذ به من حلول خذلانه، وأستهديه بنور برهانه، وأؤمن به حق إيمانه.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً صادرةً عن محضِ اليقين، راغمةً لأنوف المعتدين، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا، وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أعمدةِ الدين، وعصمةِ المسترشدين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

نريد أن نتحدث في هذه الخطبة، وفي هذا اليوم الأزهر، عن مسألة هامة وخطيرة، يجهل الكثيرُ من الناس أمرها، ولا يفهم الكثير حقيقتها وأصلَها، وهي مسألة الرزق.

فإن الله خلق الخلق وهو عالم بمصالحهم، مطلع على خفاياهم وسرائرهم، فقسم بينهم الأرزاق والمعاش، كما قسم بينهم الآجال فقال تعالى **{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}**، فهو تعالى الذي قدر الأقوات على وفق إرادته ومشيئته، وقسمها على حسب ابتلائه وامتحانه لخليقته، فقال تعالى **{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}**، وقال تعالى **{قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}**.

وهذا التقسيم والتقدير للأرزاق لا يدل على أنَّ من أعطاه الله الخير الكثير، وأمده بالرزق الوفير، ووهب له المال الخطير، أفضلُ أو أحبُّ عند الله ممن لم يعطه الله إلا القليل، ولم يقسم له من الرزق إلا الشيء اليسير، كما قال تعالى **{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي**

الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ}، فلم يجعل الله تعالى ما قسم بين عباده من الأرزق مقياساً لصلاحهم أو فسادهم، أو برهم أو فاجرهم، أو مطيعهم أو عاصيهم، بل قد يعطي اللهُ الدنيا من ليس من أهل الصلاح، ويمنعُها أهلَ التقوى والفلاح، كما قال تعالى **{وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ*وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ *وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ}**.

أيها الإخوة المؤمنون: هناك أمورٌ هامةٌ لا بدَّ أن نبينها، وأن نوضحها في هذه المسألة الهامة، على وجه الاختصار:

أولاً: يجب أن نعلم علماً يقيناً أن الله تعالى هو الفاعل لأرزاقنا، وهو الخالق والموجد لها، قسم أرزاقنا كما قسم آجالنا، وقدر أقواتنا كما قدر أعمارنا، فهو نعمةٌ من نعم الله علينا، وتفضلٌ منه تعالى إلينا، لم يعطنا الأرزاق أجرةً على الأعمال، وليست مكافأة لنا أو ردّ جميل قمنا به فكافأنا عليه، وليس حاصلاً بقوتك وتعبك، أو بحِيَلِك ومكرك، أو بدهائك وحذقك، أو بحسن تدبيرك وحرصك، فالرزق الذي بيدك هو كالجسم الذي أعطاك الله، ليس بمقدرتك أن تزيد فيه أو تنقص منه، كما أنك لا تستطيع أن تحول لونك أو تغير جسمك، كما قا ل تعالى **{فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ*قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ* فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاء سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ* أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}**، وكما قال تعالى **{اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقَدِرُ وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ}** ولهذا فإن الله تعالى لما أهلك قارون الذي قال إنما أوتيته على علم عندي وخسف الله به وبداره الأرض، فحكى الله عن ضعفة النفوس قولَهم: **{وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}** إلى غيرها من الآيات.

ثانياً: عليك أخي المؤمن أن تعلم وتوقن أنَّ الله تعالى لا يرزق إلا ما كان حلالاً طيباً، فما دخل عليك بطريق الحرام أو الشبهة فليس من رزق الله، ولم يقسمه الله لك، إذ قد نهاك وحرم عليك الحرام، وحذرك من أخذ ما لا يحل لك، فكيف يقسمه لك؟ وقد نهاك عنه، فلا يجوز لك أن تجعل ما أخذته حراماً أو شبهة من رزق الله، ثم تحمد الله عليه، وتتظاهر أن الله أعطاك وخولك ما لم يعط غيرك، كما قال تعالى **{كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ}**، وقال تعالى **{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}** وغيرها من الآيات.

ثالثاً: ما أعطاك الله من الرزق الحلال فهو ابتلاء يبتليك به، واختبار منه تعالى لك، وامتحان يمتحنك بسببه، فإن أعطاك كثيراً فليبتليك هل ستشكر النعمة؟ وكيف ستتصرف في تلك المنة؟ وكيف تتعامل معها إنفاقاً وبذلاً، أو حرصاً وشحاً وبخلاً؟ وإن أعطاك قليلاً فليختبر إيمانك بالله، ورضاك بقسمته، وتفويضك أمرك إليه فيما اختاره لك، وصبرك على ما ابتلاك به، أم أنك ستعترض قسمته، وتنكر عليه في اختياره، فمن شكر أُجر، ومن صبر أجر، ومن كفر النعمة ولم يقم بواجب حقها عليه فقد باء بالخسران، وسقط في الإمتحان، وكان من أهل النيران، ومن رفض القليل، وجحد نعمة الجليل، فقد باء بالوزر، وحاق به الخُسر، ودحر في النار مع من دُحر، كما حكى الله تعالى ذلك عن نبيه سليمان عليه السلام في قوله **{قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}**، وكما قال تعالى **{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}**.

ولله الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام حيث يقول:

أتحسُدُونَ الناسَ فَضلَ الباري ... في الرزقِ والخِلْقةِ والمِقدارِ

وَوَاقِعِ الإقتَارِ والإيسَارِ ... ومَنُّهُ على الجميعِ جاري

بالعدلِ في الإكثارِ والإقلالِ

أراد من أهلِ القليلِ الصبْرَا ... ومِنْ ذَوي المالِ الكثيرِ الشُكْرَا

وادَّخَرَ الأَجْرَ لدَارِ الأُخرَى ومَنُّهُ على الجميعِ يَتْرَا

لِلفـائزينَ بالمحَـلِّ العـالي

رابعاً: إذا أنعم الله عليك ورزقك فليس ذلك الرزق هو الذي يدخلك الجنة، ولا تجعل ذلك الرزق سبباً في احتقارك لعباد الله، واعتقادك أنك أرفع منهم قدراً،أو أعظم منهم خطراً، أو أن الله تعالى قد رضي عنك وأحبك، فقد يكون الأمر بالعكس، كما قال تعالى **{وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ}**، وإذا أقتر الله عليك الرزق فليس لهوانك على الله، أو سقوط منزلتك عند الله، بل قد تكون رحمته بك، ومحبته لك صرفَت عنك الدنيا، كي لا تغرَّك وتضرَّك وتدخلَك فيما لا يجوز.

فإن الله تعالى صرف عن أنبيائه وأوليائه زخارفَ الدنيا حتى سخر منهم المتكبرون والكافرون، كما حكى الله عن فرعون اللعين حينما دخل عليه موسى وهارون عليهما السلام فقال فرعون بكل جبروت وتكبر واستخفاف: **{أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ* فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ}**، فكانت النهاية **{فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ* فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ}**، وقد يعطي الله تعالى بعض أنبيائه وأوليائه شيئاً من الدنيا، زيادةً في الابتلاء، كما قال تعالى: **{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}** أي ومعهم غيرهم **{خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}**، وكما قد أعطى اللهُ سليمانَ النبوةَ والملكَ.

وإذا أعطى الله تعالى الكافرين والفاسقين أموالاً ونعماً وأولاداً فلا يجوز أن نعترض حكمة الله تعالى إذا جهلناها، أو أن نحاول تقليدهم في فجورهم وعصيانهم لنحصل على ما حصلوا من الدنيا، فإن ذلك لإبلاغ الحجة عليهم، وزيادة التكليف، ولله الحجة البالغة.

وليس وصول الخيرات إليهم دلالةَ الرضى عليه، أو أن الله لو غضب عليهم، وسخط أفعالهم، لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه، وهذا من الجهل المفرط بحكمة الله تعالى.

وقد نبَّه على ذلك أمير المؤمنين صلوات الله عليه في قوله: (فلا تعتبروا الرضى والسخط بالمال والولد جهلاً بمواضع الحكمة، ومواقع التدبير، قال الله تعالى: **{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ***

نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ}، فأخبر الله تعالى أن المالَ والبنينَ الواصلين إليهم من الله سبحانه وتعالى، وأن ذلك لا لمنزلة لهم عند الله، ولا مسارعة في الخيرات الخالصة، وإنما ذلك لإكمال حججه، وإظهار نعمه، إن شكروها أعطُوا أجر الشاكرين، وإن كفروها لحقهم عقوبة الكافرين.

وكما قال أمير المؤمنين عليٌّ عَلَيْه السَّلام: (وتأملْ عند إعراضك عنه إقبالَه عليك، يتغمدُك بإحسانه، وأنت مصر على عصيانه، فو أيم الله لو أن هذا في متماثلين في القوة، متساويين في القدرة، لكنت أولَ حاكم على نفسك بقبح العشرة).

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}**، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي صَوَّرَ الخَلْقَ بِلَا اسْتِرْشَادٍ، وَقَدَّرَ الرِّزْقَ بِغَيْرِ اسْتِمْدَادٍ، نحمده على نعمه وإحسانه. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المصْطَفَى، وَأَمِيْنُهُ المجْتَبَى، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ.

أما بعد: أيها المؤمنون: نكمل الكلام حول الأرزاق:

خامساً: الله تعالى أباح لعباده الكسب الحلال وهذا لا ينافي أن الله تعالى قد قدر الأرزاق، لأن ما اكتسبته من الرزق فلن تستطيع أن تحصِّل أو تكسب إلا ما قد قدره الله لك من الكسب، وإنما يكون حصول بعض الرزق مشروطاً بالكسب، فإذا عملت واكتسبت حصل لك المقسوم المقدر، وإذا لم تكتسب لم تحصل على شيء، وليس حصول الرزق بالكسب يتوقف على دهاءٍ أو تعب وعناء، فقد يكفي أدنى سبب، وأقل تكسب، فكم من شديد الدهاء، كثير السفر والعناء، لا يحصل على ما يحصل عليه من هو أضعف منه ذكاء، وأقلَّ عناء، وقد نبه على هذه الأمور حبيبنا ونبينا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: (أجملوا في الطلب فكلٌّ ميسر لما قسم له)، وكما في الحديث القدسي عن الله عزرجل ((وعزتي وجلالي، وكبريائي وجودي: لأرزقنّ عديم الحيلة حتى يحتار ذوو الحيلة))، وكما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (الرزق رزقان: رزق يطلبك، ورزق تطلبه)، وكما قال: (الرزق رزقان: رزق يأتيك، ورزق تأتيه)، وفي كلام له آخر (واعلم أن الرزق لا يجره حرص حريص، ولا تصرفه كراهة صارف)، فاكتسب واعلم أن كسبك لا يعدو ما قُسِمَ لك، مهما كلفت نفسك، ومهما عَرِق جبينُك، فليس عرق الجبين هو الذي يقلل أو يكثر.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: كان فيما وعظ لقمانُ ابنَه أن قال له: (يا بني ليعتبر من قصر يقينه وضعفت نيّته في طلب الرزق، إنّ الله تبارك وتعالى خلقه في ثلاثة أحوال من أمره، وآتاه رزقه، ولم يكن له في واحدة منها كسب ولا حيلة، أنّ الله تبارك وتعالى سيرزقه في حال الرابعة، أمّا أوّل ذلك فإنّه كان في رحم أُمّه يرزقه هناك في قرار مكين حيث لا يؤذيه حرّ ولا برد، ثمّ أخرجه من ذلك وأجرى له رزقاً من لبن أُمّه يكفيه به ويربيه وينعشه من غير حول به ولا قوّة، ثمّ فطم من ذلك فأجرى

له رزقاً من كسب أبويه برأفة ورحمة له من قلوبهما، لا يملكان غير ذلك، حتّى أنّهما يؤثرانه على أنفسهما في أحوال كثيرة، حتّى إذا كبر وعقل واكتسب لنفسه ضاق به أمره، وظنّ الظنون بربّه، وجحد الحقوق في ماله وقتّر على نفسه وعياله مخافة إقتار رزق وسوء يقين بالخلف من الله تبارك وتعالى في العاجل والآجل، فبئس العبد هذا يا بني)).

وهنا كلام كثير لأمير المؤمنين علي عليه السلام حول الكسب فمنه قوله: (الأرزاق لا تُنال بالحرص والمغالبة)، وقال: (أجملوا في الطلب فكم من طالب خائب ومجمل لم يخب)، وقال: (ذلّل نفسك بالطاعة، وحلّها بالقناعة، وخفّض في الطلب، وأجمل في المكتسب)، وقال: (ستّة يختبر بها دين الرجل، ذكر منها: الإجمال في الطلب)، وقال: (رزقك يطلبك فأرح نفسك من طلبه)، وقال: (سوف يأتيك أجلك فأجمل في الطلب)، وقال: (سوف يأتيك ما قدّر لك فخفّض في المكتسب)، وقال: (عجبت لمن علم أنّ الله قد ضمن الأرزاق وقدّرها، وأنّ سعيه لا يزيده فيما قدّر له منها وهو حريص دائب في طلب الرزق)، وقال: (لن يفوتك ما قسم لك فأجمل في الطلب، ولن تدرك ما زُوي عنك فأجمل في المكتسب)، وقال: (ليس كلّ مجمل بمحروم).

والله والله أيمـــــانٌ مكـــــرّرةٌ ... ثلاثـــةٌ عـــن يمـــينٍ بعـــد ثانيهـــا

لو كان في صخرةٍ في البحرِ راسيةٍ ... صـــمّاء ململمـــةٍ مِلـــسٍ نواحيهـــا

رزقٌ لـــنفس براهـــا الله لانفلقـــت ... عنـــه فـــأدّت إليـــه كلّمـــا فيهـــا

أو كـان بـين طبـاق السـبع مجمَعُـهُ ... لســـهّل اللهُ فـــي المرقـــى مراقيهـــا

حتّى يُوَفَّى الذي في اللوحِ خطّ له ... فـــإنْ أتتـــه وإلاّ فهـــو يأتيهـــا

سادساً: وهو من أهم ما يتعلق بموضوع الرزق وهو أننا جعلنا الكسب في الدنيا عذراً لنا في التهاون بالطاعات، والإبتعاد عن الصلوات، والتكاسل بالعبادات، والإستهزاء بآيات الله تعالى، فإذا قال لك قائل أو نصحك ناصح بأن تلازم أو تواظب يكون جوابك هو أنك مشغول، والناصح لك فارغ، لا شغل له، مع أن ذلك الكسب قد يكون للدنيا من حلها ومن غير حلها، من وجهها ومن غير وجهها، فيا لله العجب من طلب رزق قد ضمنه الله تعالى وتكفل به، يكون سبباً في تأخيرِ العبادة والتقصير به، بل وتفضيل الدنيا عليها.

فكم من ذي كسب تأخر عن الجماعات، وتهاون في الجمعات، بل وغاب عن أماكن العبادات، بسبب ما قد ألهاه من دنياه، أو ليس يعلم ذلك أن من أسباب محق البركة في الأرزاق، وضياع الكسب في الأموال هو التهاون بالطاعات، وما سبب قلة البركة، وضياع الأموال إلا ذلك.

وكأن ذلك الذي أعطى دنياه جُلّ وقته، وفرغ لها مشاعره وأحاسيسه، يظن أنها ستدوم له بتلك الطريقة، وتضمن له عيشة رغيدة طول سنته أو بقية عمره، وقد نبّه أمير المؤمنين علي عليه السلام على ذلك في قوله (لا تحمل هَمَّ سنتك على هَمِّ يومك، كفاك كل يوم على ما فيه، فإن تكن السنة من عمرك فإن الله تعالى سيؤتيك في كل غد جديد ما قُسم لك، وإن لم تكن السنةُ من عمرك فما تصنع بالهَمِّ فيما ليس لك، ولن يسبقك إلى رزقك طالبٌ، ولن يغلبك عليه غالب، ولن يبطئ عنك ما قدر لك).

وكما قال صلوات الله عليه:- (قد تُكُفِّلَ لكم بالرزق، وأمرتم بالعمل، فلا يكونَنَّ المضمونُ لكم طلبُه، أولى بكم من المفروض عليكم عملُه، مع أنه —والله– لقد اعترض الشك، ودُخِلَ اليقينُ —أي فسد – حتى كأنَّ الذي ضُمِنَ لكم قد فُرِضَ عليكم، وكأنَّ الذي فُرضَ عليكم قد وُضِعَ عنكم، فبادروا العمل، وخافوا بغتة الأجل، فإنه لا يُرجى من رَجعةِ العمر، ما يُرجى من رجعه الرزق.

ما فات اليومَ من رزقك رُجِيَ غداً زيادتُه، وما فات أمسِ من العمر لم يرجَ اليومَ رجعتُه، الرجاءُ مع الجائي، واليأسُ مع الماضي، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

سابعاً: قد يكون الرزقُ سبباً لكثير من المعاصي كالحسد والحقد والإتهام بالزور والباطل للمرزوق، وغيرها من المعاصي المحبطة، وهذا ناتج عن عدم الرضا بقضاء الله، وعدم التسليم لأمر الله، ولهذا يقول الله تعالى في الحديث القدسي: ((الحسود كافر بنعمتي، سخط لقضائي، غير راض بقسمتي، فليتخذ رباً سواي))، فاعلم أيها الحسود أو الحقود أن الذي رزق المحسود هو الذي منعك، وقد يكون الصلاح لك في دينك أن يقلّ رزقُك، فلا تعترض على الله في قضائه، ولا تنقض عليه حكمته.

ثامناً: ليس الكسب مقتصراً على التجارة أو البيع والشراء، أو الزراعة، أو نحوها من الأعمال الدنيوية البحتة، كما هو مفهومنا القاصر لمسألة الكسب، بل قد يكون الكسب من نوع آخر، وهو أنفعُ الكسبِ وأنجحُه، وأنماه وأصلحُه، وهو مع ذلك عمل أخروي يوجب لك رضوان الله وثوابَه، وهو من أسباب

استنزال الرزق واستزادته، وذلك كالصدقة، وبرّ الوالدين، وصلة الرحم، وقضاء حوائج المحتاجين، وطلب العلم، والمحافظة على الصلوات والجماعات، وغيرها من أنواع الطاعات.

عن علي عليه السلام: ((أن رجلين كانا شريكين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان أحدهما مواظباً على السوق والتجارة، وكان الآخر مواظباً على المسجد والصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما كان عند قسمة الربح، قال المواظب على السوق: فَضِّلْنِي فإني كنت مواظباً على التجارة وأنت كنت مواظباً على المسجد، فجاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرا ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للذي كان يواظب على السوق: إنما كنت ترزق بمواظبة صاحبك على المسجد)).

وهذا من معاني قوله تعالى: **{يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}**، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن معناها فقال له: ((لأُبَشِّرَنَّك يا علي، تبشرُ بها أمتي من بعدي وهي: الصدقةُ على وجهها، وبرُّ الوالدين، واصطناعُ المعروف، وصلةُ الرحم، تُحَوِّلُ الشقاءَ سعادةً، وتزيدُ في العمر، وتقي مصارعَ السوء))، والأدلة على ذلك كثيرة جداً.

فاتقوا الله عباد الله، وأحسنوا الظن بربكم، ولا تسيؤوا ظنونكم فتقسوَ قلوبُكم، وتضعفَ أعمالُكم.

٣٠- في فضل المساجد وآدابها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فطر الأشياء على إرادته، وجعلها كيف شاء بعزته، وعمّ المخلوقين برحمته، أوجد الأشياء على مقتضى حكمته، وأبان فيها آثار قدرته، فكل شيء من مخلوقاته عليه دليل، فتبارك اللهُ الواحدُ الأحدُ الجليل، العالمُ بخفيات الغيوب، المطلعُ على سرائر القلوب، المتفضلُ على الخلق بالمرسلين، المحتجُ بالرسل على العالمين، الذي لم يزل ولا يزال، فهو الصمد ذو الجلال، نحمده حمداً دائم البقاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة حقاً، أقولها تعبداً لله ورقاً، الذي رفع السماء فبناها، وسطح الأرض فطواها، ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالبينات، وأنزل معه الآيات، وأنقذنا به من الهلكات، وأكمل به النعم والخيرات، فبلغ رسالات ربه، ونصح لأمته، وعبد ربه حتى أتاه اليقين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الأخيار.

أما بعد: أيها المؤمنون:

يقول الله تعالى **{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ}**، ويقول تعالى: **{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}**، ويقول تعالى **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**.

أيها المؤمنون: جعل اللهُ تعالى للمساجد مكانةً ساميةً في الإسلام، وجعل لها حرمتها بين المسلمين، فمنها بدأ الدين ومنها انتشر، ومنها يأخذ المسلمون تعاليم دينهم، ويتلقون فيها المواعظ والعبر، فالمساجد تعد موقعَ الإنطلاق للمسلمين، ومنها يخرج حملة القرآن والعلماء.

وللأهمية البالغة للمساجد فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجر من مكة إلى المدينة، كان

أول عمل قام به، هو بناء مسجد، يتعلم فيه المسلمون، ويؤدون فيه الطاعات والعبادات مجتمعين، ويذكرون الله في الليل والنهار خاضعين، ويأوي إليه المهاجرون والضعفاء والمساكين، وفيه يدبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم شؤون الدولة الإسلامية، ويدير أحوالها، وفي المساجد يجتمع المسلمون لمناقشة قضاياهم، ولإحياء مناسباتهم الدينية.

فالمساجد بيوت الله في الأرض، أذن في رفعها وعمارتها بالبناء والعمران، وأمر بعمارتها بالطاعات والعبادة وقرآءة القرآن، فهي أماكن التجمع للعبادات، كما يقول تعالى: **{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ}**.

وقد رغَّبَ الإسلام في عمارتها، سواء العمارة الحقيقية بالبناء والرفع، أو العمارة المجازية بالعبادة والذكر، فقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك:

منها: ما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((المساجد سوق من أسواق الآخرة، من دخلها كان ضيفَ الله، قرآؤهُ المغفرة، وتحيَّتُه الكرامة، فعليكم بالرِّتَاع، قيل يا رسول الله: وما الرِّتَاعُ؟ قال: الدعاءُ والرغبةُ إلى الله عز وجل)).

وعن الإمام الحسن السبط عليه السلام قال: سمعتُ جدي رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((من أدمن الإختلاف إلى المساجد أصاب أخاً مستفاداً في الله، أو علماً مستظرفاً، أو كلمةً تدلُ على الهدى، أو أخرى تصرفُ عن الردى، أو رحمةً منتظرةً أو تركاً للذنوب)).

أيها المؤمنون: الناس في هذه الأزمنة والأوقات بدأت هممهم تتقاصر عن تعظيم بيوت الله تعالى، وعن الحرص على عمارتها بالطاعة والعبادة، بل أصبح البعض من الناس لا يجعل الذهاب إليها إلا أمراً اعتيادياً قد تعود عليه، لا أمراً عبادياً، ولهذا تقع الأخطاء الكثيرة من بعض، فنريد أن ننبه على بعض الأخطاء، حتى نتمكن جميعاً من معالجتها، وحتى لا ينقلب حضورنا إلى المساجد إلى العكس مما حصل من أجله، فمن تلك الأخطاء التي قد نرتكبها إما ونحن عارفين بأنها خطأ أو جاهلين بالخطأ أو متناسين، فمن تلك الأخطاء:

أولاً: رفع الأصوات فيها، وهو من الأخطاء الشائعة، والتي ورد النهي عنها، فقد روي عن النبي صلى

الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم، وبيعكم وشراكم، ورفع أصواتكم)).

ثانياً: البيعُ والشراءُ، والمراد به عقد البيع، أو الإتفاق على ذلك، أو المساومة في السلعة، أو نحو ذلك مما هو من مقدمات البيع والشراء.

ثالثاً: أحاديث الدنيا، وما أكثرَ الإجتماع في المساجد في هذا الزمان لأجل أحاديث الدنيا، بل أصبح البعض من الناس لا يأتي إلا لأنه يلقى من يتناول معهم أطراف الحديث، ويتناقل معهم الأخبار، بل قد نرى كثيراً من الناس يشتغلون بالأحاديث بينهم أكثر مما يشتغلون بالطاعة والعبادة، وقد ورد التهديد الشديد على ذلك، كما روي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم، ليس لله فيهم حاجة)).

وعن الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم في أمر دنياهم، فلا تجالسوهم، فليس لله فيهم حاجة)).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((سيأتي من بعدي قوم يدخلون المساجد، يقضون فريضتهم، ثم يحتلقون لذكر الدنيا وأحوالها، أولئك مني بُرَآءُ وأنا منهم بريء، ولا تزال الملائكة تقول لهم: اسكتوا يا بغضاء الله، اسكتوا يا مقتاء الله، اسكتوا يا أعداء الله)).

وروي عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الله تعالى أوحى إليّ: يا أخا المرسلين، يا أخا المنذرين، أنذر قومك أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب سليمة، وألسنة صادقة، وأيدٍ تقية، وفروج طاهرة، ولا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبادي عند أحد منهم ظلامة حتى يرد ظلامته إلى أهلها، فإذا رد تلك الظلامة كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويكون من أوليائي وأصفيائي، ويكون جاري مع النبيين والشهداء والصديقين في الجنة)).

رابعاً: من الأخطاء الشائعة إحضار الصبيان إلى المساجد، لأنهم عرضة للتنجيس، وشغلة المصلين، فالصبيان الذين لم يبلغوا حد التمييز وليس في حضورهم فائدة من تعليم أو غيره، لا بد من تجنيبهم المساجد، فأما إذا كان الصبي يحضر للتعلم، أو التمرين على الصلاة، مع كونه نظيف البدن والثوب، وقد بلغ سن الثامنة، فلا مانع من ذلك.

أيها المؤمنون: إن مَن أحبَّ الله تقرب إلى الله بأنواع الطاعات، فالعبادات وإن تنوعت وتعددت

لكنها مترابطة، ولا يمكن القيام ببعضها والإستغناء عن البعض الآخر، فلا يحب المساجد إلا من كان يحب الطاعة، وقد وردت أحاديث كثيرة في مدح أهل المساجد الذين يواظبون على حضورها، وقد وعدهم الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالبشارات والخيرات، كما روي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أحبَّ اللهَ عز وجل أحبَّ القرآن، ومن أحبَّ القرآن أحبني، ومن أحبني أحبَّ قرابتي وأصحابي، ومن أحبَّ الله وأحبَّ القرآن وأحبني وأحب قرابتي وأصحابي أحبَّ المساجدَ، فإنها أفنيةُ اللهِ وأبنيتُه، أَذِنَ في رفعها وباركَ فيها، مباركةٌ مباركٌ أهلُها، محفوظٌ أهلُها، ميمونةٌ ميمونٌ أهلُها، هم في مساجدِهم واللهُ عز وجل في حوائجهم، هم في صلاتهم وفي ذكرهم، والله عز وجل يحوط من ورائهم وتكفل بأرزاقهم)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((المساجد بيوت الله في الأرض، وقد ضمن الله تعالى لمن كانت المساجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة)).

جعلني الله وإياكم من الذين ينتفعون بمواعظ الله، ويهتدون بهدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، **بسم الله الرحمن الرحيم { فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ}**، بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من البر والإحسان، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولإخواننا المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ذي المجد والثناء، والفضل والعطاء، نحمده على نعمه، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن لبيوت الله آداباً لابد أن تأدب بها، فإن الحفاظ عليها والتحلي بها يدل على تعظيمنا لبيوت الله، فمن تلك الآداب:

أولاً: المحافظة على نظافة المساجد وصيانتها من الأوساخ والأقذار، وتجنيبها من البصاق والمخاط والنخامة، وقص الأظفار، وحلق الشعر وغيرها، وقد ورد في إزالة وإخراج الأذى منها الأجر الكثير، والثواب العظيم.

وتطهير بيوت الله وتنظيفها شرف لفاعلها، فقد أمر الله تعالى نبيه إبراهيم الخليل وولده إسماعيل عليهما السلام بذلك، فقال تعالى **{وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}**، وقال تعالى في آية أخرى: **{وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}**.

فعن علي عَلَيْه السَّلام قال: (أمر رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم ببناء المساجد، وأن تطيَّب، وتطهر، وتنظّف، وأن تجعل على أبوابها المطاهر).

وعن علي عَلَيْه السَّلام قال: كانت جارية خُلَاسِيَّةً تلتقط الأذى من مسجد رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم، ففقدها رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم؛ فسأل عنها، فقيل: توفيت، فقال: ((لذلك رأيت لها الذي رأيت، كأنها في الجنَّة تلقط من ثمرها))، ثم قال رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: ((من أخرج أذى من المسجد كانت له حسنة، والحسنة عشر أمثالها، ومن أدخل أذى في مسجد كانت عليه سيئة، والسيئة سيئة واحدة)).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((عُرضت علي أجور أعمال أمتي، حتى القذاة

يخرجها الرجل من المسجد)).

فأما النخامة أو البصاق في المسجد فقد ورد التهديد والوعيد عليها، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها)) أي إزالتها، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفله بين عينيه)) وفي رواية أخرى ((جاء يوم القيامة ونخامته بين عينيه)).

وعن علي عليه السلام قال: (إن المسجد ليلتوي عند النخامة، كما يلتوى أحدكم إذا وقع به) – يعني إذا وقع به ما يكره–.

وكفارة النخامة إزالتها وضمخها بالطيب أو الزعفران أو الرائحة الطيبة، كما روي عن علي عليه السلام عن رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم أنه قال: ((من وَقَّر المسجد بنخامته لقي اللَّه يوم القيامة ضاحكاً، وأعطاه كتابه بيمينه)).

ومعنى من وقَّرَ المسجد أي من عظّم المسجد بإزالة النخامة منه.

ونحن نرى في هذه الأزمنة من التساهل بأمر نظافة بيوت الله، فكم من شخص يدخل إلى حمامات المسجد ليغتسل مثلاً وتراه يرمي بالنفايات ولا يبالي، ولا يهمه ما ينتج عنها من أضرار ومفاسد، فهي تسبب في سد مجاري المياه.

وكم من شخص يبصق حتى بين الماء أو في الصرح أو الحجرة ولا يبالي.

ثانياً: تجنب أكل ما يؤذي وينتج منه رائحةٌ كريهة كالثوم والبصل ونحوهما، لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، وقد ورد النهي عن ذلك، فعن عن علي عَلَيْه السَّلام، قال: دخل رجل من أهل اليمن وقد أكل الثوم؛ فتأذى به رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم والمسلمون؛ فقال رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: ((مَنْ أكل من هذه البقلةِ فلا يقرَبَنَّ مسجدنا)).

وفي رواية عن جابر ((من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا، – أو فليعتزل مسجدنا)).

ولا يعني هذا تحريم أكل البصل والثوم والكراث ونحوها، وإنما كره النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم ذلك لمن حضر الجماعات في المسجد؛ لئلا يتأذى به أحد من المسلمين.

ثالثاً: مما يلزم تجنيبه المساجد، إنشاد الضالة وهي ما ضاع على الإنسان، فلا يجوز السؤال عنه في

المسجد، فعن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: أنه نهى عن إنشاد الضالة في المسجد.

وروى الإمام المرتضى محمد بن يحيى عَلَيْه السَّلام في كتاب المناهي: عن آبائه عن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: أنه نهى أن تُجْعَلَ المساجدُ طُرُقاً.

ونهى عن أن ينشد الشعر في المسجد، وقال: ((من فعل ذلك، فقولوا له: رَضَّ اللَّهُ فاك)).

ونهى عن البيع والشراء في المسجد، وقال: ((من فعل ذلك فقولوا له: لا أربح اللَّه تجارتك)).

ونهى عن النخامة في المسجد، ونهى أن يكون في قبلة المسجد حمام، أو حش، أو مقبرة.

أيها المؤمنون:

لابد أن نجعل للمساجد حرمتها ومكانتها، ولا يجوز أن نستهين ببيوت الله، أو نستهزأ بأهلها وعمارها، بل لابد أن نسعى جاهدين إلى أن نكون من أهلها الذين قال الله فيهم **{رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ}**.

٣١- حول التحذير من سوء الظن

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكبير المتعال، ذي العظمة والجلال، والعزة والكمال، شديد المحال ذي الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم، نحمده على جزيل الإنعام، وتواتر نعمه التوام، وتوالي مننه الجسام، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه يدوم بدوام الليالي والأيام.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انتهاء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المبعوث في الأميين، المأخوذ ميثاقه على جميع النبيين، صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن الإنسان في هذه الحياة الدنيا في صراع دائم مع الشيطان، فتارة يغلب الشيطان، وتارة يغلبه الشيطان، فالإنسان إما أن يكون من أولياء الله الذين يتمكنون من طرد الشيطان وإبعاده، وإما أن يكون بالعكس من ذلك.

فالشيطان دائماً يسعى في زرع ما يكون سبباً لحصد الفرقة والعداوات بين المسلمين، فالشيطان يحرص كل الحرص على أن ينقض على المسلم دينه، ويشككه في يقينه، ويسعى جاهداً في التوهين لأمره، وللشيطان شباك ومصائد كثيرة يصطاد في حبائلها الكثير من الناس، فمن شباكه التي قد أرصدها، ووحبائله التي قد أعدها في هذا الزمان، بل وصارت عند الناس من الأمور المستساغة، والطبيعية والأمور العادية، وقد لا يدرك الناس ضررها، أو قد يدركون ولكنهم يتجاهلون خطرها، ويتساهلون أمرها.

فمن تلك الشباك والمصائد التي توقع الناس في الأمور الخطيرة هو سوء الظن.

فإن المجالس وأماكن القيل والقال قد بنيت على الوهم، وترك أهلها العلم، وعمرت بالشك، ولم تعمر باليقين، وما بني وعمر على الشك والوهم فسرعان ما يزول، وما بني وعمر على العلم واليقين، كان باقياً على مر الدهور حرياً بالقبول.

أيها المسلمون: الظن ينقسم إلى قسمين: إلى ظن حسن، وظن سيء، إلى ظن صادق وظن كاذب.

والله تعالى قد عاب الذين يتبعون الظنون والأوهام كما قال تعالى: **{إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ}**، ويقول تعالى **{وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ}**، وقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ}**، ويقول تعالى: **{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}**، وقال تعالى حاكياً عن المشركين: **{بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا}**.

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم ((إجتنبوا الظن فإن الظن أكذب الحديث))، وفي رواية أخرى ((إياكم والظن، فإنه أكذب الحديث))، والمعلوم أن الكذب من أكبر الكبائر؟ ومن المعاصي الكبيرة، فقد جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الظن أكبر من الكذب؛ بل أكبر الكذب، لأن الظانّ ظن السوء يظن أنه يحسن صنعاً، وهو لا يرى أنه أخطأ، أما الكاذب فهو يكذب وهو يعلم أنه مخطئ وكاذب في قوله وفعله.

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الله حرم على المسلم دمه، وعرضه، وأن يظن به ظن السوء)).

فلا بد أن يكون المسلم من أهل التحرز والورع، وأن يبني أموره على التحقق واليقين، وأن يترك الظن والتخمين، فإذا حصل له ظن فليترك ولا يتبع الظن، ولا يلقي له بالاً، كما أرشدنا إلى ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول: ((إذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا تطيرت فامض)).

فلما كانت النفوس تألف وتعتاد الظن دلنا رسولنا على أن التخلص من ذلك، هو عدم التحقيق والسؤال، والبحث والتفتيش عن تلك الحال.

إن علامة الظن الذي يجب اجتنابه: هو الشيء الذي لا تُعرف له إمارة صحيحة، أو يكون عليه سبب ظاهر، فما كان هكذا كان واجبَ الإجتناب.

أيها المؤمنون: إن لسوء الظن مفاسد يجلبها، ومصائب يسببها، فبسبب سوء الظن، تتولد القطيعة والفرقة، فإن الكثير من العداوات والجفاء، والتباغض والشحناء، بين المسلمين والمؤمنين

سببُه الأعظم سوءُ الظن، فمن سوء الظن ينتج انعدام الثقة، وبسببه تقع التأويلات الخاطئة، والتفسيرات الجائرة، لما يصدر من بعض الناس نحو البعض الآخر.

وهذا يفسدُ القلوب ويلوثُها، إذ لو صفت القلوب، وسلمت الضمائر، وطهرت السرائر، وحمل المسلمُ ما يصدر من أخيه على أحسن المحامل، لزالت الكثير من الشكوك والتساؤلات و الحزازات.

فالظن السيء تتولد منه التهمة، لكن بأحسن التأويلات والمحامل تنتهي التهمة وتزول.

قال بعض الحكماء: خمس يكبرن بخمس: النارُ بالهشيم، والشكُّ بسوء الظن، والجفاءُ بعدم الإحسان، والخصامُ بعدم الصفح، والقطيعةُ بعدم السؤال.

ومن أضرار ومفاسد سوء الظن: أن القلب إذا أصيب بهذا المرض، انشغل بالخلق عن الخالق، وازدادت همومه، وكثر كلامه، فلا تسمعه إلا متنقصاً للآخرين مغتاباً لهم، لا هَمَّ له سوى الكلام والقيل والقال، بل تراه شامتاً بالمؤمنين، مستهزءاً بالصالحين، فهو يحزن لفرح أخيه المسلم، ويفرح إذا حزن.

ومن البلايا العظمى: أن سيء الظن يرى أنه على حق، وكل من خالفه على باطل، {أفمن زين له سواء عمله فراءه حسناً}، وربما عرف أنه أخطأ وأساء، واكتشف الخلل ولكن لا يقلع عن ذلك، محبة في التصدر والتربع، وحب الرئاسة والنفاسة، فيهلك ويهلك.

قبيح من الإنسان ينسى عيوبه ويذكر عيبا في أخيه قد اختفى

فلو كان ذا عقل لما عاب غيره وفيه عيوب لو راءها بها اكتفى

أخي المؤمن: لا يجوز لك أن تظن بأخيك شراً، ومتى خطر لك خاطر سوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته والدعاء له بالخير، فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك، وإذا تحققت هفوة من مسلم فانصحه ولا تفضحه.

ومن أضرار سوء الظن: أنه يدعو إلى التجسس والتحسس على الناس وعلى أخبارهم، والقلب إذا تُرك له العنان لا يقنع بالظنّ، بل يطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس، وذلك منهي عنه، لأنه يوصل إلى هتك ستر المسلم.

فلا يظن المسلم بكلمة خرجت من أخيه المسلم إلا خيراً، ما دام أنه يجد لها في الخير محتملاً، وهذا كله

يتعلق بسلامة الصدر، لأن إحسانَ الظنِّ بأهل الإيمان يحتاج إلى نقاء النفس وطهارة القلب.

وفقنا الله لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على حلمه بعد علمه، والحمد لله على عفوه بعد قدرته، والحمد لله على طول أناته في غضبه، وهو قادر على ما يريد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله المنتخب المصطفى للرسالة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: قد يسيء الإنسان الظن، ولكن يسميه باسم آخر، ويقول أنا أحترز أو آخذ حذري، أو أنا أتحرى لديني، وهذا إنما يخدع نفسه، فالفرق بين الاحتراز والتحري وسوء الظن واضح:

فإن المحترز هو الذي يتوقع الشر أن ينزل به، فهو مع التأهب والاستعداد وأخذ الأسباب يحاول أن ينجو من المكروه؛ فهو كالمتسلح المتدرع الذي قد تأهب للقاء عدوه وأعد له عدته، فَهَمُّه في تهيئة أسباب النجاة، ومحاربة عدوه قد أشغلته عن سوء الظن به.

وأما التحري: فلا يكون إلا مع الإلتباس، وتعارض الأدلة وعدم حصول العلم واليقين، فيأخذ بأقوى الأمارات في الأمر، فهذا هو التحري، وأين هذا من سوء الظن بالمؤمنين.

وأما سوء الظن: فهو امتلاء القلب بالظنون السيئة بالناس حتى يطفح على لسانه وجوارحه؛ فهم معه أبداً في الهمز واللمز والطعن والعيب والبغض للمؤمنين والصالحين، يتجنب الصالحين ويلحقهم الأذى، مليء بالغش والدغل والبغض.

فبدلاً من الإشتغال بعيوب المؤمنين، وإساءة الظنون بهم الأولى هو حسن الظن، وأن نشتغل بعيوبنا.

أخي المؤمن: إن حسن الظن من شعب الإيمان، والعاقل يُحسِنُ الظنَّ بإخوانه المؤمنين، وإن انفرد بهمومه وأحزانه، كما أن الجاهل يسيء الظن بإخوانه، ولا يفكر في جناياته وأشجانه.

الأجدر بالمسلم أن يلتمس العذر للمؤمنين، لأن تعاليم الدين الحنيف تأمرنا بذلك، والتماس العذر لا يكون إلا مع حسن الظن، وخصوصاً إذا وقع الخطأ من جانب أهل العلم أو أهل التقوى؛ فإنه لابد من

التماس العذر لهم فلعله وقع سهواً، أو بغير قصد، أو نحو ذلك.

ومما يسهل على المسلم قضية حسن الظن، ويحمله على التماس الأعذار للمؤمنين، هو أن ينزل نفسه منزلة ذلك الذي يسيء به الظن، وينظر في نفسه لو كان هو في محل ذلك الرجل هل كان يفعل ذلك الخطأ، فإن نفيته عن نفسك، ونزهت نفسك عن فعله، فانفه عن أخيك المؤمن؛ فإن هذا من باب أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، قال تعالى منبهاً على ذلك: **{لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا}**.

فإذا كان الرجلُ مشهوداً له بالإيمان والاستقامة، معروفاً بالصلاح والتقوى، فلا ينبغي أن يحمل كلامه وألفاظه على غير ما تعود منه ومن أمثاله، بل ينبغي التأويل الصالح وتحسين الظن، كما قيل: إن التماس العذر لأهل الخير أمر راجح لا مرجوح، لأن العادة تقضي بذلك فيما قد عرف عنهم واشتهر.

أخي المؤمن: إن لكل الناس عورات ومعايب، وزلات ومثالب، فلا تظن أنك علمت ما لم يعلمه غيرك، أو أنك أدركت ما عجز عنه غيرك، هلا شغلك عيبُك عن عيوب الناس؟ وهلا سلكت مسلك النصيحة وعدلت عن الفضيحة؟ وهلا علمت أن من تكلم فيما لا يعنيه ابتعد عن الصدق وقرب من الكذب؟

فأحسن الظن بمن حولك، كي يحسنوا بك الظن، وإياك وسوء الظن بهم فتدفعهم إلى سوء الظن بك، وإياك أن تجعل عينيك مرصداً لحركاتهم وسكناتهم، فتلجأهم إلى ترصد حركاتك وسكناتك، ولله القائل:

إذا رُمتَ أنْ تَحيا سَليماً مِن الأذى وَدينُكَ مَوفورٌ وعِرْضُكَ صَينٌ

لِسانُكَ لا تَذكُرْ بِهِ عَورَةَ امرئٍ فَكُلُّكَ عَوراتٌ وللنّاسِ ألسُنُ

وعَيناكَ إنْ أبدَتْ إليكَ مَعايِباً فَدَعها وَقُلْ يا عَينُ للنّاسِ أعيُنُ

وعاشِرْ بِمَعروفٍ وسامِحْ مَن اعتَدى ودَافِع ولكن بالتي هِيَ أحسَنُ

روي عن ابن عمر أنه قال: كان بالمدينة أقوام لهم عيوب، فسكتوا عن عيوب الناس، فأسكت الله الناس عنهم عيوبهم، فماتوا ولا عيوب لهم، وكان بالمدينة أقوام لا عيوب لهم، فتكلموا في

عيوب الناس، فأظهر الله عيوباً لهم، فلم يزالوا يعرفون بها إلى أن ماتوا.

أخي المسلم: اعلم أن سوء ظنك بالمؤمنين دليلٌ على سوء فعلك، وقبح عملك، كما قال الشاعر:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدّق ما يعتاده مِن تَوَهُّمِ

وقال آخر:

لا تكشفن مساوي الناس ما ستروا فيهتك الله سترا عن مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذُكروا ولا تعب أحداً منهم بما فيكا

فالأولى أن نُقبل على أنفسنا فنزكّيها بالعلم النافع، والعمل الصالح، ونترك الاشتغال بعيوب الناس الذين هم خير منا، فإننا لن نُسأل في قبورنا إلا عن أعمالنا، ولن نسأل عن عمل أحد وما قدم.

٣٢- حول تحريم الغناء وآلات الملاهي

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي مَنّ علينا بالإسلام، وعلمنا معالم الحلال والحرام، وعرفنا الشرائع والأحكام، نحمده على نعمه التوام، ومننه الجسام، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه لا تفنيه الأيام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، بلغ الشرائع والسنن، صلى الله وسلم عليه وعلى آله في السر والعلن.

أما بعد: أيها المؤمنون: الله تعالى خلق الإنسان لعبادته وطاعته، وسهل له الطرق إلى ذلك، فقد خلقه في أحسن تقويم، وأكمل تصوير، وأنعم عليه بالنعم العظيمة الكثيرة، وأكمل له الحجة والبصيرة، ووضع كلّ شيء في موضعه على أبلغ ترتيب، وأجمل تركيب، ليكون مهيئاً للطاعة، صالحاً للعبادة، وركب فيه الأعضاء والجوارح والآلات ليستخدمها في الشكر لربه، على ما أنعم عليه من النعم التي لا تعد ولا تحصى، كما قال الله تعالى **{وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}**، وكما يقول تعالى **{ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ}**، فالأسماع والأبصار والعقول من أدوات الطاعات، وآلات العبادات، التي أمرنا الله تعالى أن نستخدمها في شكره على نعمه، كما قال تعالى **{وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ}**.

وهذه الآلات والأدوات أنت مسؤول عنها ومحاسب عليها، كما قال تعالى: **{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}**، فإذا أحسنت الإستخدام كان لك الأجر والثواب، وحين تسيء الإستخدام يكون عليك الوزر والعقاب.

وكما أنها في الدنيا آلات تعمل بها، فإنها في الآخرة تكون شاهداً عليك أو لك، كما يقول تعالى: **{وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ**

وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} فعند ذلك يكون الندم يوم لا ينفع الندم.

فلا تظن أيها المسكين الغافل أنك إذا استترت واختفيت عن أعين الناس أنك تستطيع أن تعمل ما تريد بدون رقيب ولا حسيب، وقد نبهنا الله على ذلك في قوله: **{وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ}**.

ومن نعم الله علينا تعالى نعمة السمع التي مَنَّ الله علينا بها لنصغي بها ونستمع إلى ما يقال لنا، وما يخاطبنا به الناس، فلولا السمع لافتقدنا شيئاً كبيراً من مقومات حياتنا، كما قال تعالى **{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ}**.

أيها المؤمنون: من البلية والمحنة هو أن أنفسنا تتوق وتشتاق إلى استماع الأصوات الحسنة والجميلة، وتميل إلى قبول ما يطربها من الألحان لتتمتع به وتلتذ، وقد تكون تلك الأصوات محرمة ومحظورة، ولا تبالي باستماعها، بل ترجح سماعها، على سماع غيرها، وذلك لأن النفس ميالةٌ إلى السوء وأمّارةٌ به، وتتضجر وتأنف وتمل من الخير والهدى.

أيها المؤمنون: قد يتساهل الإنسان في استماع ما لا يجوز له الإستماع إليه، إما جهلاً بتحريمه، وإما أن يخلق لنفسه المعاذير التي لا تخلصه ولا تنفعه، بل تورطه وتضره في دينه.

ومما حرمه الله تعالى وحظر الإستماع إليه آلالاتُ الملاهي، وأصواتُ الغناء، بجميع أنواعها، وكافة أشكالها، لأنها من أعمال الشيطان، ومن أساليب جلبه الناس إليه، فالشيطان يدعو الناس إليه بالملاهي والغناء، كما قال تعالى متوعداً للشيطان وأتباعه بالنار، ومبيناً ومحذراً لنا من طرق خدع الشيطان واستجلابه، فقال تعالى **{قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُورًا *وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ}** أي بالغناء والملاهي، فبها يستفز الشيطان أوليائه ويدعوهم إلى طاعته.

بل قد حكى الله تعالى عن صفات أهل النار قولهم: **{وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}** أي سماع الغناء والملاهي، وحكى الله تعالى عن قوم لوط عليه السلام أن من الأعمال التي استحقوا بها

العذاب اللهو والغناء، كما قال تعالى: **{وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ}**، ومنكرات قوم لوط كثيرة منها اللهو والغناء.

وقد كثرت في هذا الزمان أنواع الملاهي، وألحان الغناء، فبعضها كان معروفاً عند المتقدمين الأوائل، كالمزمار والعود وآلات العزف والرقص والدُّفِّ وغيرها، وإن كانت في هذا الزمان قد تطورت، ومنها ما هو لهو محدث في هذه الأزمنة والعصور كالموسيقى والبيانو وغيرها، ومهما اختلفت الأسماء والأنواع فإن حكمها واحد وهو التحريم.

فكم من آية في القرآن، وحديث صحيح في السنة النبوية تحظر وتحرم استماع الغناء والملاهي، فقد ورد أن سبب نزول قوله تعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}**، هو البيع والشراء في المغنيات.

فعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن، وأكل أثمانهن حرام، وفيهن أنزل لله عز وجل عليّ**{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ}**))، ويدخل في ذلك الحكم شراء الأشرطة وذواكر الجوالات التي فيها شيء من هذه المحرمات والمحظورات.

وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أسباب بعثته إلى الناس هو كسر آلات الملاهي والمنع منها، فعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((بُعثت بكسر المعزاف والمزمار))، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم ((كسب المغنية سحت -أي حرام- وكسب المغني سحت، وكسب الزانية سحت، وحقاً على الله أن لا يدخل الجنة لحماً نبت من سحت)).

وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إن الله بعثني رحمة وهدىً للعالمين بعثني لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية والأوثان))، فقد قرن النبي صلى الله عليه وآله وسلم آلات اللهو والغناء بالأصنام والأوثان.

أوَ لا يعلم هذا المستمع للهو والغناء أنه بفعله يقتدي بإبليس حين شَمِت بآدم عليه السلام عندما أخرجه من الجنة بحيلته ومكره، كما روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم: ((أول من تغنى إبليس لعنه الله ثم زمر ثم ناح)).

وعن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من أدخل بيته مزماراً أو لهواً فقد شمت بأبيه آدم، لأن إبليس اتخذ المزامير والشرب والطرب حيث وقع آدم في الخطيئة)).

أيها المؤمنون: الغناء معصية كبيرة من المعاصي التي حرمها الله تعالى وتوعد فاعلها أو المستمع إليها بالنار، وضرر الغناء كبير على دين المسلم:

فعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((الدف حرام، والمعزاف حرام، والكوبة – وهي من أنواع الطبل – حرام، والمزمار حرام)).

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((كره الله عز وجل لكم ستاً: الخمر والميسر والمعزاف والمزمار والكوبة والدف))، وكراهةُ الله لنا هي التحريمُ والنهي.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((استماع الملاهي معصية، والجلوس عليها فسق، والتلذذ بها كفر)).

وعن أنس عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مزمار عند نعمة، ورنة عند مصيبة))، أي ملعون صاحبهما في الدنيا والآخرة.

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((من قعد إلى قينة يسمعُ، صَبَّ اللهُ في أذنيه الآنُكَ يوم القيامة)، والآنك: هو الرصاص المذاب.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم إنه تعالى جواد كريم، برٌّ رؤوف رحيم، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ولي الحمد وأهله، حمداً دائماً لا يفنى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

أما بعد: أيها المؤمنون: أضرار الغناء وآلات الملاهي كثيرة: فالعقل يستقبحها، والفطرة تمجها، والطبع والشهامة تنكرها، والمروءة تتنافى معها، فهي تزيل الشهامة والحياء، وتبعث الشهوة، وتجعل محلها الجرأة على الله، والإقدام على معاصيه، وليست من صفات ولا من أخلاق المؤمنين، ولا يستعملها إلا الفساق والأراذل.

ومن أضرارها: أن المستمع إليها قريب من النفاق بعيد من الإيمان، فعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إياكم واستماعَ المعازف والغناء فإنهما ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل)).

وعن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إياكم والغناء فإنه ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الشجر).

وعن أنس عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب، والذي نفس محمد بيده إن القرآن والذكر ينبتان الإيمان في القلب كما ينبت الماء العشب).

فانظر وفكر أخي المؤمن ماذا تريد أن ينبت في قلبك الإيمان أو النفاق؟.

ومن أضرارها: أن المستمع لها لا تقبل صلاته، لأن الله إنما يتقبل من المؤمنين، وهو قد خرج عن طائفة الإيمان، فعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمع رجلاً يتغنى فقال: ((لا صلاة له، لا صلاة له، لا صلاة له)).

ومن الأضرار: أن الملائكة تهجر البيت الذي يحصل فيه هذه المحرمات، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تدخل الملائكة بيتاً فيه خمر أودف أو طنبور أو نرد ولا يستجاب دعاؤهم ورفع الله عنهم البركة))، وإذا لم تدخل الملائكة فلا شك ستدخل الشياطين.

لأن الغناء كالدعوة للشياطين للحضور، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من تَغَنَّى، أو غُنِّيَ له، أو ناح أو نيح له، أو أنشد شعراً أو قرضه، وهو فيه كاذب: أتاه شيطانان فيجلسان على منكبيه يضربان صدره بأعقابهما حتى يكون هو الساكت)).

وفي حديث آخر ((ما رفع أحد صوته بغناء، إلا بعث الله إليه شيطانين، يجلسان على منكبيه، يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك)).

فلهذا ترى أكثر البيوت مليئةً بالمشاكل، بسبب أن البعض لا يبالي بأصوات اللهو والطرب، بل قد أصبحت سهلة التناول في هذا الزمان، لتعدد آلاتها وأجهزتها، فلا يكاد يخلو بيت من التلفزيونات والدشات، بل أصبحت على أسطح البيوت والمنازل كالأعلام للشياطين.

وترى ذواكر الجوالات ممتلئة بأنواع الملاهي والمعازف والموسيقى، وقد صارت في متناول الصغير والكبير، والرجل والمرأة، والكثير لا يحسن استخدامها، والمشكلة الكبرى غياب المراقبة، فالزوج لا يدري على ماذا يحتوي جوال زوجته من الملاهي والغناء وغيرها، والأب لا يدري كذلك ولا يراقب ولده ولا يفتشه، وقد يسمع الأب ولده وهو يستمع إليها فلا ينهاه، وهذا عين الإهمال، وهو سبب ضياع الأجيال، وانخراطهم في سلك الضلال، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإذا كان أفراد البيت على هذه الحال السيئة أصبح بيتاً لا خير فيه ولا في أهله، وصار الأمر كما روي عن علي عليه السلام أنه قال: (بئس البيت بيت لا يعرف إلا بالغناء، وبئس البيت بيت لا يعرف إلا بالفسوق والنياحة).

ومن أضراره الخطيرة أيضاً: خروج المتعاطي له عن زمرة المؤمنين، ويحرمه الله مرافقة الصالحين، كما روي عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((من استمع إلى لهو غناء حرمه الله مرافقة الصديقين والشهداء والصالحين)).

وإذا مات مصراً على معصيته غير تائب منها لم يصل عليه، كما روى جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من مات وله جارية مغنية لم يصل عليه)).

ولا يكون ممن يسمع الأصوات الجميلة في الآخرة، كما روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (من استمع إلى لهو غناء حرم الله عليه صوت استماع داود إذا قرأ الزبور في بطنان الجنة).

وقد يتخذ بعض الناس تلك المحرمات سبباً للرزق، وكسباً للمال، وهو إنما يأخذ الحرام، فيكون الأمر كما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((ثمن المغنية سحت، وغناؤها حرام، والنظر إليها حرام، وثمنها مثل ثمن الكلب سحت، ومن نبت لحمُه من سحت فالنار أولى به).

وعن عمرو بن مرة قال: قلت: يا رسول الله: كُتِبَتْ عليَّ الشقوة: فلا أرزق إلا من دفِي بكفي، فأذن لي في الغناء من غير فاحشة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا آذن لك ولا كرامة ولا نُعمةَ عينٍ، كذبت أي عدو الله، لقد رزقك الله حلالاً طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله، ولو كنتُ تقدمتُ إليك لفعلتُ بك وفعلتُ، قم عني وتب إلى الله، أما إنك إن أتيت بعد التوبة شيئاً ضربتك ضرباً وجيعاً، وحلقت رأسك مُثْلَةً، ونفيتك من أهلك، وأحللت سلبك نهبة لسكان المدينة)) فقام عمرو وبه من الشروالخزي ما لا يعلمه إلا الله، فلما ولى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((هؤلاء العصاة من مات منهم بغير توبة حشره الله كما كان في الدنيا مخنثاً عرياناً لا يستتر من الناس بهدبه، كلما قام صرع)).

وعن علي عليه السلام أنه قال: (كسب المغنية سحت، وكسب الزاني سحت، وحقاً على الله أن لا يدخل الجنة لحماً نبت من سحت).

أيها المؤمنون: إن ظهور هذه الأدوات والمعازف بين الناس بدون نكير من موجبات غضب الله وسخطه على هذه الأمة، فعن عمران بن الحصين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، إذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور))، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((يكون في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف)) فقال بعض القوم: متى ذلك يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: ((إذا ظهرت المعازف، وكثرت المغنيات وشُربُ الخمور)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((تبيت طائفة من أمتي على أكل وشرب ولهو ولعب، يصبحون قردة وخنازير، فيبعث على أحياء من أحياءهم ريح فتنسفهم كما تنسف من كان قبلهم، باستحلالهم الخمور وضربهم بالدفوف واتخاذهم القينات)).

وورد في بعض الآثار أنه إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم عن اللهو ومزامير الشيطان؟ أسكنوهم رياض المسك، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم حمدي وثنائي، وأعلموهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

٣٣- حول ستر العورة

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، الذي هدانا لدينه القويم، ونهج بنا النهج المستقيم، ودلنا على ما يوصلنا إلى الرضوان والنعيم، وحذرنا مما يدعو إلى السخط والجحيم، ويجر إلى العذاب الدائم المقيم، نحمده حمداً الحامدين، ونشكره شكر الشاكرين.

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق العدل المبين، الذي تنزه عن أشباه المخلوقين، وتعالى عن صفات المربوبين، لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والأخرى وإليه ترجعون.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

يقول الله تعالى **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}**، فقد كرم الله بني آدم وشرفهم وفضلهم على غيرهم من المخلوقات، وذلك التكريم والتفضيل يدخل فيه أشياء كثيرة:

فمنها: خلقهم على أحسن الهيئات وأكلمها، في امتداد القامة وحسن الصورة كما قال تعالى {في أحسن تقويم}، فهو يمشي قائماً منتصباً على رجليه ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه.

وكرم بني آدم بالعقل الذي هو عمدة التكليف، ليفهم به وينتفع، ويفرق به بين الأشياء، ويعرف منافعها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية، وبه يحسن التصرف، وبه يعرف الله ويصدق رسله.

ومن تكريم الله تعالى لبني آدم أن جعل لهم ما يسترهم ويزينهم من الملابس الرفيعة، من سائر الأنواع على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها، مما يصنعونه لأنفسهم، ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي والبلدان، كما قال تعالى {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ}، فجعل الله تعالى مما امتن به على بني آدم واختصهم به

أن خلق لهم ما يسترون به عوراتهم، ويحترزون به عن أعين غيرهم، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يتعرّون حال الطواف، اتباعاً منهم لأمر الشيطان، وتركاً منهم لطاعة الله، فعرّفهم الله تعالى أن ذلك من خدع الشيطان لهم، وانخداعهم بغروره، حتى تمكن منهم فسلبهم سترَ الله الذي أنعم به عليهم، حتى أبدى سوءآتهم وأظهرها من بعضهم لبعض، مع أن الله قد تفضل عليهم بتمكينهم ما يسترون به عوراتهم.

لأن التعري والتكشف مما يتنافى مع المروءة، ولا يرضاه العقلاء، لأن ذلك من صفات الحيوانات، وطبائع البهائم، أما الإنسان فقد كرمه الله بالعقل، وشرفه بالفهم.

وإذا كان الله تعالى قد كرم بني آدم فقد زاد الله تعالى في إكرام المؤمنين، وعظّم شأن المتقين فقال تعالى {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}، فقد جعل الله تعالى للإنسان المسلم حرمة عظيمة ليست لغيره، ورفع مقامه، وأعلى شأنه، لتمسكه بآداب الله، وامتثاله لأوامر الله، وابتعاده عن نواهي الله عزوجل.

أيها المؤمنون: مما يحصل التساهل به عند الكثير من الناس هو مسألة كشف العورة التي أمر الله تعالى بسترها، ونهى عن كشفها، وذلك التساهل إما جهلاً بالتحريم والنهي، أو تجرأً وتعدياً، فالبعض من الناس يظن أن العورة التي يجب سترها وتغطيتها مقصورة على العورة المغلظة التي هي الفرجان، فتراه يكشف فخذه أو ركبته بين الناس بدون تحرج ولا استحياء، في الأسواق والمجامع والمجالس، مع أن التستر وقبح التكشف من القضايا الفطرية، التي تدعو إليها الإنسانية، بل هي من مكملات المروءة والشهامة، لولا ذلك لما كان بين الإنسان وبين الحيوان فرق، فالله تعالى رفع مستوى الإنسانية عن حد الحيوانية البهيمية، بما ركب فيها من العقول، وأودع فيها من الغرائز الجبلية الفطرية.

وقد جاء التشريع الإلهي على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتأكيد التستر، وتحريم كشف العورة، والزجر والتهديد والتغليظ في ذلك.

فعورة الرجل من السرة إلى تحت الركبة، فيدخل في ذلك الفخذ والركبة، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((كل شيء أسفل من سرته إلى ركبته عورة))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((الفخذ من العورة))، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((الركبة عورة))، وعن أمير المؤنين علي عليه السلام أنه قال ((إذا تعرى أحدكم نظر إليه الشيطان فطمع فيه فاستتروا،

ليس للرجل أن يكشف ثيابه عن فخذيه ويجلس بين قوم)).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تبرز فخذيك ولا تنظر إلى فخذي حي ولا ميت))، وعن ابن عباس: مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رجل وفخذه خارجة فقال: ((غط فخذيك فإن فخذ الرجل من عورته)).

فعلى المسلم أن يحترز وأن يتستر حتى لا يرى عورته أحد، كما قال الله تعالى {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}، فالغض للبصر هو: أن لا ينظر إلى ما لا يحل له، والحفظ هو أن لا يكشف عورته ولا يفجر.

وقد سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فقيل له: يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ فقال صلوات الله عليه وعلى آله ((احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك))، قيل يا رسول الله لو كان أحدنا خاليا؟ قال ((فالله أحق أن يستحيا منه)).

وكما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى عن التعري بالليل والنهار.

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه نهى أن ينظر الرجل إلى عورة أخيه المسلم، وقال (من تأمل عورة أخيه المسلم لعنه سبعون ألف ملك)، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((عورة المؤمن على المؤمن حرام))، وعن أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه قال: إن العبد إذا بدت عورته أعرض عنه الملك.

وعن رسول الله صَلّى الله عَلَيْه وآله قال: ((إياكم والتعرّي فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله فاستحيوهم وأكرموهم))، ونهى رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم أن يشتمل الرجل بالثوب الواحد على أحد شقيه، وأن يحتبي بالثوب الواحد ليس على فرجه منه شيء.

قال الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام: إنما نهى رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم عن الإشتمال بالثوب الواحد على أحد الشقين؛ لأنه إذا فعل ذلك بدا فرجاه، وفخذاه، وإنما تلك لبسة جفاة الأعراب الأردياء، وأهل الدعارة من سكان القرية السفهاء.

فالعجب كل العجب ممن يتساهل بهذا الأمور، فتراه يمشي بين الناس رافعاً ثوبه فوق ركبتيه أو إلى بعض فخذيه، بكل جرأة وبدون حياء، وترى البعض أحياناً وهو على مائدة الطعام وقد كشف عن

فخذيه، فهو يأكل من رزق الله ويعصيه جرأة وتمرداً، وترى البعض يغتسل أمام أعين الناس أو يلعب وجزء من فخذيه وركبتيه باد ظاهر، والبعض يجلس في مجلسه أو في متجره أو في الطريق وهو على تلك الحال الساذجة، والبعض قد يتعرى أمام أولاده وبناته بدون خجل ولا مروءة، وكم نذكر من الحالات التي اعتاد البعض من الناس كشف عوراتهم فيها.

والأشد عجباً أنك إذا نهيت أحداً أو نصحته أن يترك ذلك الأمر زاد تعنتاً، وأساء قولاً، واستهزأ ساخراً، والبعض قد يكشف عورته أكثر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أيها المؤمنون: يقول الله تعالى {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ}، فمن الآداب التي يتأدب بها المسلم وينبغي له التحلي بها، أن يلبس أفضل وأحسن ملابسه وزينته عند صلاته، وأن يفرق بين لباسه في الصلاة وغيرها، ولكن العجب أن البعض لا يبالي أي لبس أخذه، ولو أنه أراد الذهاب إلى أحد لزيارته، أو أراد أن يقابل شخصاً، لتحلى بأحسن ما يجد، ولبس أفضل ما عنده، بينما تراه لا يبالي بالثوب الذي يصلي فيه أياً كانت نظافته أو قذارته، وسواء كان ساتراً أو غير ساتر، بل ترى البعض قد يصلي بين ثوب نومه، أو يختار أردى ثيابه وملابسه للصلاة فيها، وهذا يتنافى مع الآداب الإسلامية.

أيها المؤمنون: هناك بعض الأحوال التي ينبغي للمسلم أن يستتر فيها، من جهة التأدب بآداب الله تعالى، ومن جهة سد الذرائع، فمن تلك الأحوال، إذا أتى الرجل أهله فينبغي لهما الإستتار وترك التعري المفرط، فإن التجرد مما يكره للزوجين، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((إذا أتى أحدكم أهله فليستترا ولا يتجردا تجرد العيرين)) والعير هو الحمار.

وعن النبي صلى الله عليه أنه نهى أن يجامع الرجل أهله وعنده أحد حتى الصبي في المهد.

لأن ذلك يتنافى مع الإستتار، وفيه مفاسد عظيمة، والبعض من الناس قد يأتي أهله في مكان يتواجد فيه معه بعض أبنائه الذين قد صار لديهم بعض التمييز والإدراك كمن بلغ سن السادسة أو السابعة أو أكثر، مما يسبب في الإنحراف الأخلاقي والسلوكي لدى أولئك الغلمان، وقد يكون من أسباب فساد الفرد والأسرة والمجتمع، ولهذا نرى الكثير من الأولاد لديهم الجرأة وقلة الحياء وسوء الأدب وسوء الأخلاق، بل وقد يكون سبباً في ارتكابهم لبعض العادات السيئة والمعاصي القبيحة

الفاحشة، فلا بد أن يكون هناك تعاون بين الزوجين، وبين الفرد والأسرة، وبين الفرد والمجتمع في الحث على الفضيلة، وترك الرذيلة.

ومن الأمور المنهي عنها والمسترذلة وقد تكون من أسباب فساد المجتمعات، أن يأتي الرجل ليتحدث بين الناس ببعض الأمور الخاصة فيما بينه وبين أهله، ولا يبالي عند من يتحدث ولا فيمَ يتحدث، مما يسبب ذلك في تهييج الفساد والرذيلة، كما روى ذلك الإمام المرتضى لدين الله محمد بن الإمام الهادي إلى الحق عليهم السلام في كتاب المناهي قال:

ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تفاكِهَ المرأةُ بحديث زوجها، (أي تمازح بما يحدث بينهما).

ونهى أن يُحَدِّث الرجلُ الرجلَ بحديث أهله، ونهى أن تحدث المرأة الإمرأة بما تخلو به من زوجها، ونهى أن تقول المرأة غشيني زوجي كذا وكذا مرة، ونهى الرجل عن مثل ذلك، وقال: ((من فعل ذلك فَمَثَلُه كمثل من غشي امرأته بين ظهراني الناس وهم ينظرون إليه)).

والبعض من الناس قد يقضي حاجته في الطريق أو في المكان الذي يراه فيه غيره، وهو من الأمور الشائعة بين الكثير، وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقضي الرجل حاجته من الغائط والناس ينظرون، وقال: ((استتروا واستحيوا فإن الستر والحياء من الإيمان)).

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}**، بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم إنه تعالى جواد كريم، برٌّ رؤوف رحيم، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

حول أضرار الكلام الفاحش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله المجمل المحسن المفضل، المنعم الكريم المنان، نحمده على الإنعام والإحسان، حمداً كثيراً طيباً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد: أيها المؤمنون: يقول الله تعالى **{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ* يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء}**.

فما يتكلم به الإنسان إما أن يكون كلاماً طيباً أصله ثابت متين، يثمر الخير، ويجزل الأجر الكثير، وإما أن يكون خبيثاً لا أصل له ولا قرار، يثمر الشر، ويجلب الضر، ويقول تعالى **{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}**، ويقول تعالى **{مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}**، ويقول تعالى **{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}**، فالذي يتكلم به الإنسان وينطق به مسجل عليه، ومحاسب به.

ويقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظنها تبلغ ما بلغت، فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظنها تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه))، فكم من متكلم لا يدرك ضرر كلامه، وكم من لافظ لا يدري ما يترتب على ألفاظه، فقد شاع بين الناس الكثير من الكلمات والعبارات والألفاظ الخطيرة، التي تسبب في هلاك المرء وخسرانه، بل قد أصبح البعض يعتادها ويكثر التلفظ بها، بل قد نسمعها من الرجال والنساء والكبار والصغار، وهي تدل دلالة واضحة على الإنتعاد الكامل عن الله تعالى، ونذكر بعض النماذج من ذلك:

النموذج الأول: أن يتكلم الرجل أو المرأة بكلام السب الفاحش، واللفظ البذي، كأن يرمي أحداً بالفاحشة، كأن يقول يا زاني، أو يا ابن الزاني، أو يا ابن الزانية، وقد يقول بعض السبابين

هذا الكلام عند الغضب لولده أو لأخيه أو لقريبه، وهذا من الكلام الكثير الفاشي بين أكثر الناس.

وهذا الكلام ضرره كبير، وخطأه فادح خطير، أو ليس يعلم المتلفظ بهذا الكلام ما يترتب عليه من المفاسد والمضار؟ التي تفسد على الإنسان دينه وآخرته، فمن مفاسده وأخطاره:

أولاً: أن القائل والمتلفظ بهذا الكلام سباً وشتماً يعدُّ قاذفاً، أي رامياً لمن نطق بذلك الكلام فيه بأنه زانٍ والعياذ بالله، فهو في هذه الحال إما أن يورد البينة العادلة على ما اتهم به، أو يكون من القاذفين، فيدخل تحت عموم آيات الوعيد للقاذفين للمحصنات والمحصنين، كقوله تعالى **{إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**، فقد حكم الله عليه في هذه الآية باللعنة في الدنيا والآخرة، وهي الطرد والإبعاد من رحمة الله، وله في الآخرة عذاب عظيم، دائم مقيم.

ويقول تعالى **{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }**، فقد جعل الله عليه في هذه الآية ثلاث عقوبات، عقوبة بدنية، وهي إقامة الحد عليه بأن يجلد ثمانين جلدة، للفرية والقذف، وعقوبة إجتماعية: بأن لا تقبل له شهادةٌ أبداً في أي قضية وأي حكم، وعقوبة دينية، أنه قد صار من الفاسقين، الذين خرجوا عن نطاق المؤمنين، وليس لهم مكان بين المتقين، بسبب قولهم الفاحشة.

ثانياً: يعظم الأمر، ويتفاقم الخطب في هذه القضية عندما يكون المتلفظ بهذا إما زوج لزوجته، أو والد أبٌ أو أمٌ لولده، فإن كان الزوج رمى زوجته بهذا، كان عليه البينة، أو تقع بين الزوجين الملاعنة، التي حكاها الله في سورة النور في قوله تعالى {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاء إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُ * عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ}، ثم يترتب على الملاعنة انفساخ النكاح بينهما مؤبداً، وينفى الولد عنه نسباً وحكماً.

ثالثاً: القاذف والمتكلم بهذا الكلام بذي متهتك، والبذاء مناف للإيمان، كما قال النبي صلى الله عليه

وآله وسلم ((البذاء من الجفاء، والجفاء في النار))، أي صاحب الجفاء في النار، وأيضاً يناله الوعيد، ويعمه التهديد الشديد، الذي ورد في الأحاديث الصحيحة المتكاثرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، التي تزجر عن هذه القبائح، والألفاظ الشنائع:

فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه، أقامه الله على تلٍّ من نار حتى يخرج مما قال فيه)).

وعن سهل بن معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من رمى مسلماً بشيء يريد به شينه – أي عيبه –، حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال)).

وعن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من ذكر امرئ بما ليس فيه ليعيبه، حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاد)).

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((مَن زنَّى امرأم لم يرَها تزني جلده الله يوم القيامة بسوط من نار))، ومعنى من زنى: أي أضاف الزنى والفاحشة.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((النميمة والشتيمة والحمية في النار، لا يجتمعن في صدر مؤمن)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها برئ كان حقاً على الله أن يذيقه يوم القيامة النار، حتى يأتي بنفاد مما قال)).

الأنموذج الثاني: هو التلفظ ببعض الألفاظ الكفرية، أو المخرجة من الملة والدين، التي يتلفظ بها صاحبها ليخرجها مخرج اليمين، أو ليؤكد بها ما تكلم به، والبعض من الناس قد يعتادها في أبسط الأمور وأسهلها، وبعضهم قد لا يقولها إلا عند الغضب، كأن يقول: هو يهودي إن فعل كذا، أو هو خارج من ملة لا يصلي ولا يصوم، ونحوها من الألفاظ الخطيرة، التي تجر الوبال والهلاك على صاحبها في الدنيا والآخرة، وقد تكون سبباً في خروج قائلها من الملة، وهذه قد ورد فيها الوعيد الشديد، والتهديد البليغ، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((من حلف بغير الله فقد كفر))، وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((كل يمين يحلف بها دون الله شرك))، وكما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان كاذباً فهو كما قال،

وإن كان صادقاً لم يعد إلى الإسلام سالماً))، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((من حلف بملة غير ملة الإسلام كاذباً متعمداً فهو كما قال)).

فالواجب علينا أن نتقي الله في كل حالاتنا، وأن نراقبه في كلامنا، وفي تربية أولادنا فأولادك يقلدونك في أعمالك في حركاتك في تصرفاتك في ألفاظك، أولادك يعبرون عنك، ويعطون نسخة عن معاملاتك وعن آدابك وعن بيتك وعن سيرتك، فاتق الله في نفسك وفي أهلك وولدك.

الثالث عشر:

الخطب المتعلقة بالمواعظ البليغة (حول الدنيا والموت والقيامة والجنة والنار)

٣٤- في التوبة والإقلاع عن المعاصي

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، الذي أمدنا بالنعم الجزيلة، وأفاض علينا من خيراته ومننه الجليلة، الذي يغفر الزلاّت، ويقيل العثرات، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، أحمده وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، حمداً لا حد له ولا انتهاء، نستديم به النعم، ونستدفع به النقم.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

يحيط بالإنسان أعداء كثيرون، من شياطين الإنس والجن، والنَّفس الأمَّارة بالسوء، والهوى ومحبة الشهوات، كل هؤلاء يدعونه إلى الشهوات، ويقودونه إلى بحار الخطيئات، ويوقعونه في دنس الموبقات، فإذا لم يكن الإنسان ذا عقل راجح، ونظر ثاقب، ورأي سليم، فإنه سيقع في الذنوب، ويخوض في بحور صغائرها وكبائرها، فإذا واقع المعصية، وارتطم في شباك الخطيئة، قدح في قلبه خاطر الندم، ولاح له سوء فعله، فيشعر بضيق وحرج، ويتلوم على الذنب والخطيئة، فإن كان صادقاً في ذلك، دعاه ذلك إلى التوبة، وإن كان كاذباً فإنه سرعان ما يسهل على نفسه ارتكاب المعصية، ويهون على قلبه ما قد حله من الحرج، ويطفئ نار الندم التي كادت تشتعل، فيدعوه ذلك إلى الإصرار على المعصية، ويتبعها بغيرها.

فأما إذا كان صادقاً فإن اللهَ هو العليم الحكيم، الرؤوف الرحيم، وقد فتح لعباده أبواب التوبة، ودلَّهم على الإستغفار، ووعدهم من فضله وكرمه أن يبدِّل سيئاتهم حسنات، قال تعالى **{وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً{٢٧} يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً}**.

فالتوبة: نعمة من الله عليك يا ابن آدم، أعطاك وحرم غيرك منها، أعطاك التوبة لترتاح ولتسعد وتهنأ بالعيش في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

التوبة تغسل الذنوب والمعاصي بماء الندم والإستغفار ، فإن الله يحب التوابين ويحب المستغفرين.

أيها المؤمنون: الناس في ارتكاب المعاصي والذنوب على قسمين:

القسم الأول: من يخدعه طول الأمل، وزهرة الشباب، وتوافر النِّعم، فيُقدِم على الخطيئة ويؤخِّر التوبة، أَوَ ما علم هذا المغرور أنه ما خدع إلا نفسه، فهو لا يفكِّر في عاقبة، ولا يخشى سوء خاتمة، وقد يجيئه أمر الله على بغتة، فتنفلت روحه، وتخرج من جسده ولم يتب بعد، وقد قال الله تعالى **{وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ}**، فهذا قسم من الناس هالك خاسر.

والقسم الثاني: مَن إذا أحدث ذنباً، أو وقع في خطيئة، سارع إلى التوبة، وقد جعل من نفسه رقيباً عليها، يبادر بغسل الخطايا بماء التوبة والإستغفار والعمل الصالح، يقول الله تعالى في مثل هؤلاء **{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ{١٣٥} أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}**.

فلينظر كلُّ واحد منّا في نفسه ويسأل نفسه: مِنْ أيِّ القسمين هوِ؟.

أيها المؤمنون:

لقد أصبحنا لا نقيم للمعاصي أي خطر، ولا نعد فيها علينا أي ضرر، بل نعصي ضاحكين، ونرتكب الخطايا مسرورين، ونفعل القبائح لاهين غافلين، ومع ذلك كله نرى أننا في خير العمل، وليس أحد أفضل منا ولا يساوينا، بل قد غرنا حلم الله عنا، وستره المرخى علينا.

بل صرنا ننظر إلى ما نعمله من المعاصي نظرة التساهل والتهاون، فصرنا لا نخاف من الله ولا نخشاه، بل نجاهره بالمعاصي ليل نهار، خيره إلينا نازل، وشرنا إليه صاعد.

كما روي عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث القدسي الذي يرويه عن الله تعالى: ((فيقول اللّه عز وجل: إنكم كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم

مخبتين، تراؤون بخلاف ما تعظون، هبتم الناس ولم تهابوني، أجللتم الناس ولم تجلوني، عرفتم للناس ولم تعرفوا لي، اليوم أذيقكم من أليم العذاب مع ما أحرمتم من الثواب)).

وهذا يدل على عدم التعظيم لله في قلوبنا، لأننا لو عظمناه لما عصيناه، كما قال بعض الصالحين: لا تنظر إلى المعصية، ولكن انظر إلى من تعصي.

فالمعصية معناها كفر النعمة، معناها ترك الشكر، معناها التهاون، معناها الغفلة.

يا ابن آدم، لو رأيت يسير ما بقي من أجلك، لزهدت في طول ما ترجو من أملك، وإنما تلقى ندمك لو قد زَلَّتْ قدمُك، وأسلمك أهلُك وحشمُك، وأنصرف عنك الحبيب، وودعك القريب، ثم تُدعى فلا تجيب، فلا أنت إلى أهلك عائد، ولا في عملك زائد، فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة، وقبل الحسرة والندامة، وقبل أن يحل بك أجلك، وينتزع ملك الموت روحك، فلا ينفعك مال جمعتَه، ولا ولد ولدتَه، ولا أخ اتخذتَه، ثم تصير إلى برزخ الثرى، ومجاورة الموتى، فاغتنم الحياة قبل الممات، والصحة قبل السقم، والقوة قبل الضعف، قبل أن تؤخذ بالكظم فيحال بينك وبين العمل، فعلينا أن نفيق من الغفلة، ونتوب من الخطيئة.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم إنه تعالى جواد كريم، برٌّ رؤوف رحيم، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

لقد كان الصالحون قبلنا ينظرون إلى المعاصي نظرة، يقدح منها الخوف في قلوبهم، وتورث الوجل في نفوسهم، فتراهم في حذر شديد من الوقوع في المعاصي.

وإذا وقع أحدهم في معصية قامت الدنيا عليه ولم تقعد، فلا يهنأه نوم ولا طعام ولاشرب، بل يبيت الليل قائماً عابداً، راكعاً ساجداً مستغفراً، ويقطع النهار صائماً ذاكراً متضرعاً.

ولنستمع إلى قصة فيها عظة وعبرة، نأخذ منها دروساً وفوائد، ونتعلم منها كيف نتعامل مع ربنا، وكيف نؤدب أنفسنا؟، وكيف نتوب من ذنوبنا؟، وكيف نستعظم خطايانا وإن كانت عندنا مما نتهاون به؟.

فقد روي أن فتى من الأنصار يقال له ثعلبة بن عبد الرحمن، كان يخدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حاجة ، فمر بباب رجل من الأنصار، فرأى امرأة الأنصاري وهي تغتسل، فكرر النظر إليها.

انظروا أيها المؤمنون: إلى معصيته ليست سوى النظرة، والنظرة سهم من سهام إبليس.

فخاف أن ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يخبره بما فعل، فخرج هارباً على وجهه، فأتى جبالاً بين مكة والمدينة فدخلها، ففقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعين يوماً.

ثم إن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا محمد، إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: إن الهاربَ من أمتك بين هذه الجبال يتعوذ بي من ناري.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عمر ويا سلمان، انطلقا فأتياني بثعلبة بن عبد الرحمن، فخرجا في أنقاب المدينة، فلقيهما راع من رعاء المدينة، فقال له عمر: هل لك علم بشاب بين هذه الجبال؟

فقال الراعي: لعلك تريد الهارب من جهنم؟ فقال له عمر: وما علَّمَك أنه هارب من جهنم؟

قال: لأنه إذا كان جوف الليل خرج علينا من هذه الجبال واضعاً يده على رأسه وهو يقول: يا ليتك قبضت روحي في الأرواح، وجسدي في الأجساد ولم تجردني في فصل القضاء.

قال عمر: إياه نريد، فانطلق بهم الراعي إلى مكانه، فلما كان في جوف الليل خرج عليهم من بين تلك الجبال واضعاً يده على أم رأسه وهو يقول: يا ليتك قبضت روحي في الأرواح، وجسدي في الأجساد، ولم تجردني لفصل القضاء.

فعدا عليه عمر فاحتضنه فقال: الأمان، الخلاص من النار.

فقال له عمر: أنا عمر بن الخطاب .

فقال: يا عمر، هل علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذنبي؟

قال: لا علم لي إلا أنه ذكرك بالأمس فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال ثعلبة: يا عمر، لا تدخلني عليه إلا وهو يصلي، وبلال يقول: قد قامت الصلاة.

قال: أفعل، فأقبلا به إلى المدينة، فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في صلاة الغداة، فبدر عمر وسلمان الصف، فما سمع ثعلبة قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خر مغشياً عليه، فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا عمر ويا سلمان، ما فعل ثعلبة بن عبد الرحمن؟

قالا: هو ذا يا رسول الله . فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائماً فقال : ثعلبة، قال: لبيك يا رسول الله! فنظر إليه فقال: ما غيَّبك عني؟ قال: ذنبي يا رسول الله. قال: أفلا أدلك على آية تكفر الذنوب والخطايا ؟ قال: بلى يا رسول الله! قال: قل: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

قال : ذنبي أعظم يا رسول الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((بل كلام الله أعظم))، ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالإنصراف إلى منزله، فمرض ثمانية أيام، فجاء سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله! هل لك في ثعلبة أن نأتيه لما به؟.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((قوموا بنا إليه))، فلما دخل عليه أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأسه فوضعه في حجره، فأزال رأسه عن حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لِمَ أزلت رأسك عن حجري))؟

قال: إنه من الذنوب ملآن. قال: ((ما تجد))؟ قال: أجد مثل دبيب النمل بين جلدي وعظمي. قال: ((فما تشتهي))؟ قال: مغفرة ربي.

فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ((إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: لو أن عبدي هذا لقيني بقراب الأرض خطيئة – أي بملئ الأرض – لقيته بقرابها مغفرة)).

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أفلا أعلمه ذلك ؟ قال : بلى .

فأعلَمَه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، فصاح صيحة فمات.

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغسله وكفنه وصلى عليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمشي على أطراف أنامله في جنازته، فقالوا : يا رسول الله ! رأيناك تمشي على أطراف أناملك؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((والذي بعثني بالحق نبياً ما قَدِرت أن أضع رجلي على الأرض من كثرة أجنحة مَن نزل لتشييعه من الملائكة)).

فانظروا في هذا الرجل العظيم، كيف دعاه خوفه من الله، إلى أن يهجر المدينة ويختلي في الجبال والشعاب هرباً من خطيئته، التي ارتكبها مرة واحدة فقط، فكيف حالنا ونحن نرتكبها في اليوم والليلة مرات، بل وقد يرتكب بعضنا أكبر منها عدة مرات في يومه، أو أسبوعه.

هذه هي ثمار استعظام الذنوب، أما التساهل بها فهو يجر المعصية إلى أختها، والكبيرة إلى شكلها ومثلها، حتى تكبر في القلب، فلا تزال عنه إلا بشدة شديدة.

نسأل الله أن يرزقنا خوف الوعيد، ورجاء الموعود، وأن يعصمنا من الذنوب، ويزكينا من العيوب.

٣٥- التحذير من الشيطان

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المذكور بكل لسان، المشكور على الإحسان، المعبود في كل مكان، مدبر الأمور، ومقدر الدهور، والعالم بما تُجِنُّه البحور، وتُكِنُّه الصدور، ويخفيه الظلام ويبديه النور، ذي المنن التي لا يحصيها العادون، والنعم التي لا يجازيها المجتهدون، أحمده جاهراً بحمده، شاكراً لرفده، حمد موفقٍ لرشده، واثِقٍ بوعده، له الشكرُ الدائمُ، والأمرُ اللازم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الذي لا يدخل في عَدَد، والفردُ الذي لا يقاس بأحد، علا عن المشاكلة والمناسبة، وخلا من الأولاد والصاحبة، شهادةً أعتقدها بإخلاص وإيقان، وأعدُّها طمعاً في الخلاص والأمان.

وأشهد أن محمداً نبيُّه المرسلُ، وشهيدُه المعَدَّلُ، المؤيد بالنور المضي، والمسدَّدُ بالأمر المرضي، بعثه بالأوامر الشافية، والزواجر الناهية، والدلائل الهادية، الذي دعى إلى خير سبيل، وشفى من هيام الغليل، حتى علا الحقُّ وظهر، وزهق الباطلُ وانحسر، صلى الله عليه وآله صلاة دائمة ممهدة، لا تنقضي لها مدة، ولا تنحصر لها عدة.

أما بعد أيها المؤمنون: فإن الله تعالى خلق الإنسان لعبادته، وتكفل برزقه وحاجته، وأعد له على العبادة والطاعة ثواباً عظيماً، وأجراً كريماً، وجعل الدنيا دار تكليف وابتلاء وامتحان، وابتلى الإنسان فيها بأنواع من الإبتلاءات، وضروب من الإمتحانات، **{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}**، وكما قال **تعالى** **{وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}**، وكما قال تعالى **{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}**.

فالله تعالى قد استخلف الإنسان في الأرض، وسخر له كل شيء يعينه ويسهل له طريق الطاعة، وأزاح عنه كل ما يعيقه ويمنعه عن سلوك الطريق المستقيم، ومن أعظم الإبتلاء والإمتحان للإنسان،

هو إنظار الله تعالى وإمهاله للشيطان، وتخليته تعالى بين الشيطان والإنسان، فلم يعصم الإنسان منه، ولم يحل بينه وبين محنته وفتنته للإنسان، زيادة في التكليف والإمتحان.

ولكنه تعالى قد حذر الإنسان من الشيطان أبلغ تحذير، وبيّن له مكر الشيطان وكيده في كثير من الآيات، وذكّر اللهُ الإنسانَ بمواقف عديدة وقصص كثيرة تحذره من الشيطان، وتبين شدةَ عداوتِه لبني آدم، وحرصِه على إضلالهم وإغوائهم، وقد زوّدَ اللهُ بني آدم بدروع واقية، وأسلحة على الشيطان ماضية، ترد عنهم كيده، وتبطل سعيه وكده، إنْ هم أخذوا بها نجحوا في الخلاص من حبائل إبليس وشباكه.

فبقدر ما يحرص الشيطان على هلاك الإنسان، يحرص الله تعالى على نجاته وفلاحه وفوزه.

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أشياء كثيرة من أساليب وطرق الشيطان التي يختل من خلالها الإنسان، ويهجم عليه، وكم له من ألوان وفنون في ذلك.

فالشيطان يترقب الفرصة تلو الفرصة، ويتابع الإغواء ولا ييأس من الفشل، بل إن همه وشغله الشاغل، وعمله المتتابع الدؤوب المتواصل، هو إضلال بني آدم وإغواؤهم، كما قال تعالى حاكياً عنه **{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}**، وكما قال تعالى **{قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}** فالشيطان يترقب الهفوات، ويخوض الغمرات والصعوبات في سبيل إغواء بني آدم، انتقاماً منهم بسبب العداوة التي وقعت بين الشيطان وبين آدم أبي البشرية، كما قال تعالى حاكياً عن الشيطان الرجيم **{قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً، قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُورًا وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا، إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً}**.

وقد وجد الشيطان سهولة في إغواء بني آدم، حيث أنه قد تمكن من خدع أبيهم آدم، فلما تمكن من آدم توقع أن ذريته أسهل منه، كما قال تعالى **{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا**

فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}.

فعداوة الشيطان للإنسان قديمة ودائمة، فقد أضل أمماً، وأغوى القرون الماضية، كما قال تعالى **{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ، وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ، وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ}**، وقال تعالى **{وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}**، وقال تعالى **{وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}**، وقال تعالى **{إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}**، فهل بعد بيان الله من بيان؟!، وهل بعد تحذيره وإنذاره من برهان؟! لولا عمى البصائر، واتباع الأهواء.

أيها المؤمنون:

إن الله يدعو إلى الخير والهدى، والصلاح والتقى، والفلاح في الآخرة والأولى، والشيطان يدعو إلى الشر والردى، والفساد والشقاء، والخسران في الآخرة والأولى، فأنت بين خيارين إما أن تجيب داعي الله، أو داعي الشيطان، كما قال تعالى **{الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}**، ويقول تعالى في إرادته الهدى لنا **{يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}**، وأما إرادة الشيطان فقال تعالى: **{وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً}**، فإذا أجبت دعوة الله كنت من حزب الله **{أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**، وإذا أجبت دعوة الشيطان كنت والعياذ بالله من حزب الشيطان **{اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ}**.

أيها المؤمنون:

إن الشيطان لا يريد بنا خيراً أبداً، وإنما يزين لنا ويسول ويوسوس أنه في صالحنا، ويوهمنا بالغرور أنه يحرص على صلاحنا، وهو بالعكس من ذلك، إنما يمكر ويحتال ويغر ويخدع حتى يوقع الإنسان في مصائده، كما قد فعل ذلك مع أبينا آدم وأمنا حواء، كما قال تعالى **{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ، فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ}**، فنجحت خطته الخبيثة فيهما، بسبب أقسامه وأيمانه وحلفه الكاذب.

فهو يمشي في بني آدم بنفس الخداع والمكر، كما قال تعالى **{وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ}**، فالشيطان يدخلنا في المعاصي، ويسهل أمرها علينا، ويوهمنا أن لنا فوائد إذا ارتكبنا المعاصي، كما قال تعالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ}**.

فالمعاصي رجس خبيث من أعمال الشيطان، ويريد من خلالها أن يوقع العداوات والبغضاء بين الناس بسبب ارتكابهم لها، وأن يصدهم عن ذكر الله بما يشغلهم به من اللهو واللعب والطرب، وأن يصدهم عن الصلاة بما يؤثرونه من أعمال الدنيا على أوقات الصلوات.

وقد يكون الشيطان مسلطاً على بعض العصاة، عقوبة من الله لهم في الدنيا معجلة، كما قال تعالى **{أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا}**، وقوله تعالى **{إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ}**، وكما يقول تعالى **{وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}**، فمن لم يكن ولياً لله كان ولياً للشيطان إذ لا واسطة بين الأمرين.

وقد جعل الله تعالى قسماً من عباده في حرز وحصن من الشيطان، وهم المؤمنون المخلصون، وقد أظهر الشيطان عجزه عنهم، كما قال تعالى: **{قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}** ثم أكد الله تعالى عجز الشيطان عن أولئك، وأنه لن يجعل للشيطان عليهم سبيلاً بقوله تعالى **{قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}**.

وكما أن لله تعالى عباداً يعينون المؤمنين على طاعته، ويحثون عليها، ويسعون إلى إصلاح الناس فيها، فإن للشيطان كذلك أعواناً على الإضلال، وأحواناً على الأذى، كما قال تعالى **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}**، وكما يقول تعالى **{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}**، ولكن من كان مع الله فلن يُسْلِمَه الله ولن يخذلَه، وأما أعوان الشيطان فسرعان ما تزول مكائدهم، وينطفئ مكرهم، كما حكى الله تعالى ذلك عن

كثير ممن زين لهم الشيطان أعمالهم في مصارعة الحق ومقاومته، وأوهمهم أنهم على شيء وأنهم سيهزمون أولياء الله، فلما حصحص الحق، واقترب الصدق نكص الشيطان على عقبيه، وترك أعوانه وإخوانه، قال الله تعالى **{وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}**، فأسلمهم ولم ينصرهم، وأوردهم موارد الهلكة ولم يخرجهم، وأخرجهم من الهدى وأدخلهم في الضلال.

وأما في الآخرة فإن الشيطان يهزأ ويسخر من أوليائه ومن أطاعه، ولا يستطيع أن يفعل لهم شيئاً أبداً، كما حكى الله تعالى خطبة الشيطان وكلامه لأوليائه في الآخرة: **{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**، وقد أعد الله تعالى للشيطان وحزبه ناراً خالدين فيها، كما قال تعالى **{فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا، ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا، ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا}**.

أيها المؤمنون: فلنترك طريق الشيطان، ولنسلك طريق الرحمن، فإن من كان مع الله كان الله معه، ومن كان مع الشيطان كان الله خاذلَه.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، **بسم الله الرحمن الرحيم {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ، مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ}**، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظيم شأنه، الواضح برهانه، أحمده على حسن البلاء وتظاهر النَّعماء، وأتوكل عليه، وكفى بالله وكيلاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً صمداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وربَّنا وربَّ آبآئنا الأولين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صَلى الله عَلَيه وَآلِه وسلم أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الأخيار الصادقين الأبرار.

أما بعد أيها المؤمنون:

إن الشيطان لعنه الله قد بذل نفسه وعمره في إفساد أحوال بني آدم، وقد أمر الله بالحذر منه واجتنابه، وأبان لنا شدة عداوته في محكم كتابه، فالواجب على العاقل أن يأخذ منه حذره، ويستدفع شره بكل ما قدر عليه، فإنه لا يحصل الفوز بالنعيم، والنجاة من العذاب الأليم إلا لمن سلم من الشيطان الرجيم، ولهذا قيل: من كان يرجو الجنان، ويخاف النيران، فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وقد أرشدنا الله في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما ينجينا من شره، فقال تعالى: **{وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ}**، وأخبر تعالى أنه لا سلطان له على أولياء الله، فقال تعالى **{إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ}**، وأخبرنا أن كيد الشيطان ضعيفٌ، كما قال تعالى **{إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}**، وقد بيّن الله لنا الأمور التي إن عملناها هرب منا الشيطان مذعوراً، وقد جعل الله تعالى الإستعاذة والدعاء وفعل الطاعات من أعظم ما يمنع الشيطان منا، كما قال تعالى **{وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ}**، وكما قال تعالى **{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}**.

فالإستعاذة: هي الالتجاء والفزع إلى الله تعالى، والاعتصام به، في دفع كل شر وضر من الشيطان، وقد أمرنا الله بالإستعاذة في كل أحوالنا، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث كثيرة في

أقول وأعمال ترد كيد الشيطان، ويكون الإنسان منه في حرز حريز:

فعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قال أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في اليوم عشر مرات وكل الله به ملكاً يذود عنه الشيطان كما تذاد غريبة الإبل)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم عشر مرات في أول النهار أو في أول الليل عصم في ذلك اليوم أو في تلك الليلة من الشيطان الرجيم)).

وعن معاذ قال: استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأغرقا فيه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إني لأعلم كلمة لو قالاها لذهب عنهما ذلك وهي قوله: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إذا فزع أحدكم من النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنها لا تضره)).

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر الذي يروع في منامه أن يقول: ((قل أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون)).

وعن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((من قال حين يصلي صلاة الفجر قبل أن يتكلم بشيء : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير عشر مرات أعطي بهن سبعاً: كتب له عشر حسنات، ومحي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكن له عدل عشر نسمات، وكن له حرزاً من الشيطان، ويحرز من المكروه، ولم يلحقه في ذلك اليوم ذنب إلا الشرك بالله، ومن قالهن بعد صلاة المغرب كن له مثل ذلك)).

وعن علي عليه السلام قال: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تفلت القرآن من صدري، فأدناني منه ثم وضع يده على صدري، ثم قال: ((اللهم أذهب الشيطان من صدره ثلاث مرات))، ثم قال: ((إذا خفت ذلك فقل: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ومن همزات الشياطين وأعوذ بك ربي أن يحضرون إن الله هو السميع العليم، اللهم نور بكتابك بصري وأطلق به لساني، واشرح به صدري ويسر به أمري وأفرج به عن قلبي، واستعمل به جسدي وقوني

لذلك فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تعيد ذلك ثلاث مرات فإنه يزجر عنك)).

ومن الأدعية المأثورة: ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((اللهم إني أعوذ بك من التردي والهدم والغرق والحرق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً، وأعوذ بك أن أموت لديغاً)).

وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الإشارة بالأصبع المسبحة في الصلاة وفي الدعاء مرضاة للرب، ومقمعة للشيطان، وهي الإخلاص)).

وفي حديث معاذ مرفوعاً: ((فعليك بالصمت فبه تغلب الشيطان)).

وعن علي عليه السلام قيل: يا رسول الله ما الذي يباعد الشيطان منا؟ قال: ((الصوم يسود وجهه، ويكسر ظهره، والحب في الله، والمواظبة على العمل الصالح يقطع دابره، والإستغفار يقطع وتينه)).

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

٣٦- موعظة بليغة في الموت

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحيي المميت المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، صادق الوعد والوعيد، الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهو الغفور الودود، له الحمد دائماً لا ينفد ولا يبيد، بل يتضاعف ويزيد، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، ويميت ويحيي وهو حي دائم لا يموت، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي عمل لما بعد الموت، وحذره أمته من الغفلة قبل الفوت، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الهداة الميامين.

أما بعد: أيها المؤمنون: كتب الله الموت وقدره على خلقه، وجعله موعظة بالغة لهم، فهو أكبر واعظ وعظنا الله به، فما من مخلوق إلا والموت نازل به، وقاطع لأمله، ولو امتد أجله، وطال عمره، كما قال الله تعالى **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}**، وكما قال تعالى **{كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ}**، وتفرد تبارك وتعالى بالديمومة والبقاء، كما قال جل جلاله **{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}**، فلله الخلود والدوام والبقاء، وهو تعالى المنزه عن الموت والفناء.

فلو جعل الله الخلود لأحد من خلقه لكان ذلك لملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين، ولكان أولاهم بذلك خاتم النبيين محمد بن عبد الله الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم، الذي خاطبه الله بقوله **{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ}**.

فالموت حتم لامحيص عنه، ولازم لا مفر منه، يصل إلينا في كل مكان، في بطون الأودية، أو في رؤوس الجبال، فوق الهواء، أو تحت الماء، لا ينجو منه ملائكة السماء، ولا الجن في الهواء، ولا إنسان ولا حيوان، قال تعالى **{أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ}**.

فالموت لا ينجو منه ملك ذو أجناد، ولا رئيس له عساكر وقواد، ولا يسلم منه ذو قوة في بدنه

وجسمه، ولا ذو كثرة في أهله وولده وعدده، ولا ذو وفرة في ماله، ولا ذو بسطة وسعة في سلطانه، لو نجا منه أحد لنجت منه الفراعنة الشداد، وقوم ثمود وعاد، ولكنه هجم على القياصرة فأبادهم، وعلى الأكاسرة فأماتهم، وعلى الجبابرة فأزالهم، فالموت لا يخشى من أحد، ولا يُبقي على أحد، يهجم على الشاب الفتي، والفارس القوي، والطفل الرضيع، لا يرحم ولا يداهن أحداً.

أيها المؤمنون: الموت كلمة ترتج لها القلوب، وتقشعر منها الجلود، وتفزع لها الألباب، وتذرف لها العيون دموعها، فالموت على وضوحه وبيانه، وظهور آثاره، سر من أسرار الله، حير العقول، وأذهل الألباب، ترك الفلاسفة مبهوتين، والأطباء مدهوشين، وجميع الناس في أمره متحيرين، فنسيان الموت ضلال مبين، وترك الإستعداد له بلاء وغفلة، فعلا بد أن نزيل الغفلة والران، وأن نعالج منا ذلك النسيان بتذكر الموت واستشعاره، والإعداد له قبل حضوره.

أيها المؤمنون: لا بد أن يجعل الإنسان في ذاكرته، وأن يستشعر في حالاته، تغير الدنيا وتقلب حالاتها، وتنكره وتصرفاتها، وأن يتذكر في نفسه ما لا بد له منه.

فتذكر أيها المسلم الكريم بينما أنت في أهلك وبين أولادك، منعماً سعيداً، في عيش رغيد، وصحة وسرور، تجر ثياب العافية، متمتعاً بقوتك وشبابك، لا يخطر لك الضعف والفتور على بال، ولا تفكر في الموت في تلك الحال، إذ هجم عليك المرض، وجاءك الضعف والوهن بعد القوة، وحلّ منك الهم محل الفرح، وتحول الصفاء إلى الكدر، والفرح إلى الحزن والترح، وأصبحت لا تتأنس بجليس، ولا ترتاح إلى أنيس، قد سئمت أشياء كثيرة كنت ترغب إليها في حال صحتك، وأنت تفكر في عمر قد أفنيته، وشباب قد أفنيته، ومال قد جمعته، وبيت قد بنيته، وولد قد خلفته، وتفكر في الدنيا ولذاتها، وتتألم علة ما يفوتك من شهواتها، قد اجتمعت عليك حسرة الفوت لما قد فاتك من الفرصة، وسكرة الموت التي يصيبك منها الغصة، وأنت تتمنى الشفاء، وتطلب العلاج والدواء، ولكن الداء قد استفحل، والمرض منك قد تمكن، وحار في علاجك الطبيب، ويئس من حياتك القريب، وبدت ملامح الجزع على الحبيب، **{وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ}**، فتغير لونك، وغارت عيناك، ومالت عنقك وأنفك، وخرس لسانك، وذهب حسنك وجمالك، وأنت بين الأهل الإخوان، والأصحاب والجيران، قد عجزوا عن نفعك، وتحيروا في

وضعك، وأنت تقلب فيهم حدقات الفراق، وتنظر إليهم آخر نظرات الوداع والإفتراق، وتؤذنهم بالوداع، وهم يعاينون ما أنت فيه من كرب وشدة، ولكنهم عن نفعك عاجزون، وعن دفع ذلك عنك لا يستطيعون **{فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ}**، وأخذت عند ذلك تعالج السكرات، وتتابع الزفرات، حتى إذا انتزعت الروح، وفاضت النفس، صرت بين أهلك جثة هامدة، وجيفة بين أظهرهم ساكنة، فسارعوا في جهازك، خوفاً من تغيرك واختلال أعضاءك، وتباعدوا من قربك، واستوحشوا من جانبك، فعجلوا التغسيل والصلاة والدفن، واشتغلوا بعدها بقسمة المال، وأنت تعاني من شدة الحال، ورثتك وأهلك يقولون، ماذا خلف؟ والملائكة تقول: ماذا قدم وعمل؟!

فبادروا رحمني الله وإياكم بالأهبة والإستعداد، وحسن التهيؤ وإعداد الزاد، فإن الدنيا تغر وتضر، نعيمها إلى زوال، ومقيمها إلى انتقال، وحلاوتها مرارة، وراحتها إلى تعب وخسارة، عزيزها يذل، وكثيرها يقل، وراحتها عناء، وسعادتها شقاء، لا تدوم على حال، ولا يطمئن لأهلها بال.

كم وعظتنا فلم نتعظ، وزجرتنا فلم ننزجر، ونصحتنا فلم ننتصح، ووحذرتنا فلم نحذر، فالسعيد من وعظ، والشقي من ترك، وفقني الله وإياكم لما يرضيه وجنبنا معاصيه.

بسم الله الرحمن الرحيم { وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ، وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ، لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}.

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم إنه نعالى كريم بر رؤوف رحيم، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرد بالبقاء، وقهر عباده بالموت والفناء، حمداً لا غاية له ولا انتهاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون:

إن لنا في أهل البيت المطهرين، والأئمة الهادين، أسوة حسنة، وقدوة طيبة مستحسنة، فقد كانوا يذكرون الموت على الدوام، حتى أقض مضاجعهم، وكدر معائشهم، وحثهم على الجد والإجتهاد في طاعة ربهم، فلنستمع إلى موعظة بليغة، وعبرة نافعة، فقد روي عن الإمام زين العابدين، وسيد الساجدين، علي بن الحسين سيد العابدين أنه كان يحتسب نفسه ويناجي ربه ويقول:

يا نفسُ حتى متى إلى الدنيا غرورُكِ، وإلى عمارتها ركونُكِ، أما اعتبَرْتِ بمن مضى من أسلافِكِ، ومَن وارتْهُ الأرض من آلافِكِ، ومن فُجعتِ به من إخوانِكِ، ونُقِلَ إلى البِلى من أقرانِكِ.

فَهُمْ في بُطونِ الأرضِ بعد ظُهُورِهَا ... مَحَاسِنُهُم فِيها بَوَالٍ دَوَاثِرُ

خَلَت دُورُهُمْ منهم وأَقْوَتْ عِرَاصُهُم ... وسَاقَتْهُمُ نحو المنايا المَقَادِرُ

وَخُلُّوا عَن الدُّنيا وما جَمَعُوا لَهَا ... وضَمَّتْهُمُ تحت التُّرابِ الحَفَائِرُ

كم تخرمَتْ أيدي المنُونِ، من قُرُونٍ بعد قُرُونٍ، وكَمْ غَيَّرَت الأرضُ بِبَلَائِهَا، وغَيَّبَتْ في تُرَابِهَا، مِمَّنْ عَاشَرْتَ مِن صُنُوفِ الناسِ، وشَيَّعْتَهُم إلى الأَرمَاسِ.

وأنت على الدنيا مُكِبٌّ مُنَافِسٌ ... لِخُطَّابِها فِيها حَرِيصٌ مُكَاثِرُ

على خَطَرٍ تُمسي وتُصبحُ لَاهِياً ... أتدري بماذا لو عَقَلْتَ تُخَاطِرُ

وإِنَّ امرأ يَسعَى لِدُنْيَاهُ دَائِبَاً ... ويَذْهَلُ عن أُخرَاه لَا شَكَّ خَاسِرُ

فَحَتَّامَ على الدنيا إقبالُكَ، وبشهواتِهَا اشتغَالُكَ، وقد وخَطَكَ القَتِيرُ، وأَتَاكَ النَّذِيرُ، وأنت عَمَّا يُرَادُ بك سَاهٍ، وبِلَذَّةِ نَومِكَ لَاهٍ.

وفي ذِكرِ هولِ الموتِ والقبرِ والبِلَا … عن اللهوِ واللذَّاتِ للمرءِ زَاجِرُ
أبعدَ اقتِرَابِ الأربعينَ تَربُّصٌ … وشَيبُ قُذَالٍ مُنْذِرُ لَكَ كَاسِرُ
كَأنَّكَ تُعْنَى بالذي هُو صَائِرٌ … لنفسِكَ عَمدَاً أو عن الرُّشْدِ حَائِرُ

انظرْ إلى الأممِ الماضيةِ، والملوكِ الفانيةِ، كيف أَفْنَتْهُمُ الأيَّام، وأفناهُمُ الحِمَامُ، فانمحَتْ من الدنيا آثارُهُم، وبَقِيت فيها أخبارُهُم، وأَضْحَوْا رِمَماً في التُّرَابِ، إلى يوم الحشرِ والمآبِ.

وأَضْحَوْا رَمِيماً في التُّرَابِ وَعُطِّلَتْ … مَجَالِسُ مِنْهم أَقْفَرَتْ ومَقَاصِرُ
وَحَلُّوا بِدَارٍ لَا تَزَاوُرُ بينَهُم … وأَنَّى لِسُكَّانِ القبورِ التَّزَاوُرُ
فَمَا إِنْ تَرَى إلا قُبُوراً ثَوَوْا بِهَا … مُسَطَّحَةً تَسفِي عليهَا الأَعَاصِرُ

كم ذي مَنَعَةٍ وَسُلطَانٍ، وجُنُودٍ وأَعوانٍ، تَمَكَّنَ مِن دُنيَاهُ، ونَالَ فِيهَا مَا تَمَنَّاهُ، وبَنَى القُصُورَ والدَّسَاكِرَ، وجَمَعَ الأَعلَاقَ والأموالَ والذَّخَائِرَ، ومِلَحَ السراري والحرائرَ.

فمَا صَرَفَتْ كَفَّ المَنِيَّةِ إذ أَتَتْ … مُبادِرَةً تَهوي عَليه الذَّخَائِرُ
ولا دَفَعَتْ عنه الحصونُ التي بَنَى … وَحَفَّ بِهَا أَنهَارُهُ والدَّسَاكِرُ
وَلا قَارَعَتْ عَنْهُ المَنِيَّةَ خَيْلُهُ … وَلَا طَمِعَت في الذَّبِّ عنه العَسَاكِرُ

أَتَاهُ مِنَ اللهِ ما لَا يَرَدُّ، ونَزَلَ به من قضَائِهِ ما لَا يُصَدُّ، فتعالى اللهُ الملِكُ الجَبَّارُ، المتكبرُ القهارُ، قاصِمُ الجَبَّارِينَ، ومُبيرُ المتَكَبِّرِينَ، الذي ذل لعزِّهِ كلُّ سلطان، وأباد بقوته كلَّ دَيّان.

مَلِيكٌ عزيزٌ لا يُرَدُّ قَضَاؤُهُ … حَكِيمٌ عَلِيمٌ نَافِذُ الأمرِ قَاهِرُ
عَنَى كُلُّ ذِي عِزٍّ لِعِزَّةِ وجهِهِ … فكُلُّ عَزِيزٍ للمهيمِنِ صَاغِرُ
لَقَد خضَعَتْ واستَسْلَمَتْ وتَضَاءَلَتْ … لِعِزَّةِ ذِي العرشِ الملُوكُ الجَبَابِرُ

فَالبِدَارَ البِدَارَ، والحِذَارَ الحِذَارَ، من الدنيا ومَكَائِدِهَا، ومَا نَصَبَتْ لَكَ مِنْ مَصَائِدِهَا، وتَحَلَّتْ لَكَ من زِيْنَتِهَا، وأَظْهَرَت لك من بَهْجَتِهَا، وأبرزَتْ لك من شهواتها، وأخفت عنك من قَوَاتِلِهَا وهَلَكَاتِهَا.

وفي دُونِ ما عَاينْتَ مِنْ فَجَعَاتِهَا إلى رَفضِهَا دَاعٍ وبالزُّهدِ آمِرُ
فَجُدَّ ولَا تَغْفَلْ فَعيشُكَ زَائِلٌ وأنت إلى دَارِ الإِقَامَةِ صَائِرُ
ولا تَطْلُبِ الدُّنيا فَإِنَّ طِلَابَهَا وإِن نِلتَ منها غُبَّةٌ لكَ ضَائِرُ

وهلْ يَحرِصُ عليها لَبِيبٌ، أو يُسَرَّ بِهَا أَرِيبٌ، وهو على ثِقَةٍ من فَنَائِها، وغَيرُ طامِعٍ في بَقَائِهَا، أم كيف تَنَامُ عينَا من يخشى البَيَاتَ، وتَسكُنُ نفسُ من يَتَوَقَّعُ المَمَاتَ.

أَلَا لَا وَلَكِنَّا نَغُرُّ نُفُوسَنَا وتَشغَلُنَا اللذَّاتُ عَمَّا نُحَاذِرُ
وكيفَ يَلَذُّ العيشَ مَنْ هُو مُوقِنٌ بِمَوقِفِ عَدْلٍ يومَ تُبْلَى السَّرَائِرُ
كَأَنَّا نَرى أَنْ لَا نُشُورَ وَأَنَّنَا سُدَىً مَا لنا بعد المَمَاتِ مَصَائِرُ

وما عسى أن ينالَ صاحِبُ الدنيا من لَذَّتِهَا، ويتمتَعُ به من بَهجتِهَا، مع صنُوفِ عجائبِها، وقوارع غجائِعِها، وكثرةِ تعبِهِ في مُصَابِهَا وطلبِهَا، وما يكابد من أسقامِهَا وأوصَابِهَا وآلامِهَا.

وما قَدْ نَرى في كُلِّ يومٍ ولَيلةٍ يروحُ علينا صَرفُهَا ويُبَاكِرُ
تَعَاوَرُنَا آفَاتُهَا وهُمُومُهَا وكَمْ قَدْ نَرى يبقَى لَهَا المُتَعَاوِرُ
فَلَا هُو مغبوطٌ بدنيَاهُ آَمِنٌ ولا هُو عن تِطْلَابِهَا النَّفْسَ قَاصِرُ

كم قد غَرَّت الدنيا من مُخْلِدٍ إليها، وصرعَتْ من مُكِبٍّ عليها، فلم تَنْعَشْهُ من غِرَّتِهِ، ولم تُقِمْهُ من صَرْعَتِهِ، ولم تَشْفِهِ من أَلَمِهِ، ولم تُبْرِهِ من سَقَمِهِ، ولم تُخَلِّصْهُ من وَصَمِهِ.

بَلَى أَورَدَتْهُ بَعد عِزٍّ ومَنْعَةٍ موارِدَ سُوءٍ ما لَهُنَّ مَصَادِرُ
فلَمَّا رأى أَنْ لَا نَجَاةَ وأَنَّهُ هو الموتُ لا يُنجِيهِ منهُ التَّحَاذُرُ
تَنَدَّمَ إِذْ لَمْ تُغْنِ عَنهُ نَدَامَةٌ عليهِ وأَبكتْهُ الذُّنُوبُ الكَبَائِرُ

بَكَى على ما سلفَ من خطايَاهُ، وتَحَسَّرَ على ما خَلَّفَ مِنْ دُنيَاهُ، حِين لَا ينفَعُهُ الإستعْبَارُ، ولَا يُنْجِيهِ الإعتِذَارُ، عَندَ هولِ المنِيَّةِ، ونُزُولِ البَلِيَّةِ.

أَحَاطَتْ بِهِ أَحْزَانُهُ وهُمُومُهُ وأَبْلَسَ لَمَّا أَعجَزَتْهُ المَعَاذِرُ

فَليسَ له مِنْ كُرْبَةِ الموتِ فَارِجٌ ... ولَيس له مِمَّا يُحَاذِرُ نَاصِرُ

وَقَدْ جَشَأَتْ خَوفَ المَنِيَّةِ نَفْسُهُ ... تُرَدِّدُهَا منهُ اللَّهَا والحَنَاجِرُ

هُنالِكَ خَفَّ عنه عُوَّادُهُ، وأَسلَمَهُ أهلُهُ وأولادُهُ، فارتفعَتْ الرَّنَّةُ بالعَوِيلِ، وأَيِسُوا مِنْ بُرْءِ العَلِيلِ، فَغَمَّضُوا بِأيدِيهِمْ عَيْنَيْهِ، وَمَدُّوا عِندَ خُرُوجِ نَفْسِهِ رِجْلَيْهِ، وتخلّى عنه الصديقُ، والصاحبُ الشَّفِيقُ.

فَكَمْ مُوجّعٍ يَبكِي عَليه مُفَجَّعٌ ... ومُسْتَنْجِدٍ صَبْرَاً ومَا هُوَ صَابِرُ

وَمُسْتَرْجِعٍ دَاعٍ له اللهَ مُخْلِصَاً ... يُعَدِّدُ منه خيرَ مَا هُوَ ذَاكِرُ

وَكَمْ شَامِتٍ مُسْتَبْشِرٍ بِوَفَاتِهِ ... وعَمَّا قَلِيلٍ كَالَّذِي صَارَ صَائِرُ

فَشَقَّ جُيُوبَهَا نِسَاؤُهُ، ولَطَمَ خُدُودَهَا إِمَاؤُهُ، وأَعْوَلَ لِفَقْدِهِ جِيرَانُهُ، وتَوَجَّعَ لِرُزْئِهِ إِخْوَانُهُ، ثُمَّ أَقْبَلُوا عَلَى جَهَازِهِ، وشَمَّرُوا لِإِبْرَازِهِ، كأنه لم يكن بينهم العزيزُ المفَدَّى، ولا الحبيبُ المبَدَّى.

وَظَلَّ أَحَبُّ القومِ كَانَ لِقُرْبِهِ ... يَحُثُّ على تَجْهِيزِهِ وَيُبَادِرُ

وَشَمَّرَ مَنْ قَدْ أَحْضَرُوهُ لِغَسْلِهِ ... وَوُجِّهَ لَمَّا قَامَ للقَبْرِ حَافِرُ

وَكُفِّنَ في ثَوبَينِ واجْتَمَعَتْ لَهُ ... مُشَيِّعَةً إِخْوَانُهُ والعَشَائِرُ

فَلَوْ رَأيتَ الأصغَرَ مِن أولادِهِ، وقَدْ غَلَبَ الحُزنُ على فُؤَادِهِ، وغُشِيَ مِنَ الجَزَعِ عَلَيْهِ، وخَضَّبَتْ الدُّمُوعُ خَدَّيهِ، وهُو يَنْدُبُ أَبَاهُ، ويَقُولُ يَا وَيْلَاهُ.

لَعَايَنْتَ مِن قُبْحِ المَنِيَّةِ مَنْظَرَاً ... يَهَالُ لِمَرْآهُ وَيَرْتَاعُ نَاظِرُ

أَكَابِرُ أَولادٍ يَهِيجُ اكتِئَابُهُمْ ... إِذَا مَا تَنَاسَاهُ البَنُونَ الأَصَاغِرُ

وَرَنَّةُ نِسوانٍ عليه جَوَازِعٍ ... مَدَامِعُهُنْ فَوقَ الخُدُودِ غَوَازِرُ

ثُمَّ أُخرِجَ مِن سَعَةِ قَصْرِهِ، إلى ضِيقِ قَبْرِهِ، فَلَمَّا استقَرَّ في اللحْدِ، وبُنِيَ عليه اللبنُ، احتوشته أعماله، وأحاطت به خطاياه، وضاق ذرعاً بما رآه، ثُمَّ حَثَوا بِأيدِيهِمُ التُّرَابَ، وَأَكثَرُوا البكاءَ عَليهِ والإنتِحَابَ، وَوَقَفُوا سَاعَةً عَليهِ، وأَيِسُوا من النَّظَرِ إِلَيهِ، وتَرَكُوهُ رهناً بما كَسَبَ وطَلَبَ.

فَوَلَّوْا عليه مُعَوِّلِينَ وَكُلُّهُمْ ... لِمِثْلِ الذِي لَاقَى أخوهُ مُحَاذِرُ

كَشَاءٍ رِتَاعٍ آمِنَاتٍ بَدَا لَهَا بِمُدْيَتِهِ بَادِي الذِّرَاعَينِ حَاسِرُ

فَرِيعَتْ وَلَم تَرْتَعْ قَلِيلاً وَأَجْفَلَتْ فَلَمَّا نَأَى عَنهَا الذي هُو جَازِرُ

عَادَتْ إلى مَرْعَاهَا، ونَسِيَتْ مَا في أُخْتِهَا دَهَاهَا، أَفَبِأَفْعَالِ البَهَائِمِ اقتَدَيْنَا، أَمْ عَلَى عَادَتِهَا جَرَيْنَا، عُدْ إلى ذِكرِ المَنْقُولِ إلى دَارِ البِلَى، واعتبر بموضعه تحت الثَّرَى، المدفوعِ إلى هَولِ مَا تَرَى.

ثَوَى مُفْرَدَاً في لَحْدِهِ وتَوَزَّعَتْ مَوَارِيثَهُ أَرْحَامُهُ والأَوَاصِرُ

وَأَحْنُوا على أَمْوَالِهِ يَقْسِمُونَهَا فَلَا حَامِدٌ منهم عَلَيهَا وَشَاكِرُ

فَيَا عَامِرَ الدُّنيَا ويَا سَاعِيَاً لَهَا ويَا آمِناً مِنْ أَنْ تَدُورَ الدَّوَائِرُ

كيفَ أَمِنْتَ هذِهِ الحَالَة، وأَنْتَ صَائِرٌ إليهَا لَا مَحَالَة؟!، أم كيفَ ضَيَّعْتَ حَيَاتَكَ، وهي مطيتُكَ إلى مَمَاتِكَ؟!، أم كيف تُسيغُ طعَامَكَ، وأَنْتَ مُنْتَظِرٌ حِمَامَكَ؟! أم كيف تهنأُ بالشهوات، وهي مطية الآفاتِ؟!.

وَلَم تتَزَوَّدْ للرحِيلِ وقَدْ دَنَا وأنتَ على حَالٍ وَشِيكَاً مُسَافِرُ

فَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَمْ أُسَوِّفُ تَوبَتِي وَعُمْرِيَ فَانٍ والرَّدَى لِيَ نَاظِرُ

وَكُلُّ الذِي أَسْلَفْتُ في الصُّحْفِ يُجَازِي عَلَيهِ عَادِلُ الحُكْمِ قَادِرُ

فَكَمْ تَرْقَعُ بِآخرَتِكَ دُنْيَاكَ، وَتَرْكَبُ فِي ذَلِكَ هَوَاكَ، أَرَاكَ ضَعِيفَ اليَقِينِ، يَا مُؤْثِرَ الدُّنْيَا عَلَى الدِّينِ، أَبِهَذَا أَمَرَكَ الرَّحْمَنُ، أَمْ عَلَى هَذَا نَزَلَ القُرْآنُ، أما تذكر ما أمامك من شدة الحساب، وشر المآب؟ أما تذكر حال من جمع وثمَّرَ، ورفع البناء وزخرف وعمَّرَ، أما صار جمعهم بوراً، ومساكنهم قبوراً.

تُخَرِّبُ مَا يَبْقَى وَتَعْمُرُ فَانِيَاً فَلَا ذَاكَ مَوفُورٌ وَلَا ذَاكَ عَامِرُ

وَهَل لَكَ إِنْ وَافَاكَ حَتْفُكَ بَغْتَةً وَلَمْ تَكْتَسِب خَيْرَاً لَدَى اللهِ عَاذِرُ

أَتَرْضَى بِأَنْ تَفْنَى الحياةُ وتَنْقَضِي وَدِينُكَ مَنْقُوصٌ وَمَالُكَ وَافِرُ

فبك يا إلهنا نستجير، يا عليم يا خبير، من نؤمل لفكاك رقابنا غيرك، ومن نرجو لغفران ذنوبنا سواك، وأنت المتفضل المنان، القائم الديان، العائد علينا بالإحسان، بعد الإساءة منا والعصيان، يا ذا العزة والسلطان، والقوة والبرهان، أجرنا من عذابك الأليم، واجعلنا من سكان دار النعيم، برحمتك يا أرحم الراحمين.

فهذه هي المواعظ البليغة التي تؤثر في النفوس، وتسيل المدامع وتطأطأ الرؤوس، فعلينا بالإتعاظ، واليقظة من الغفلة أيها الأحباب.

٣٧- حول الدنيا وحالات الحشر وحقيقة الإسلام

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله أهلِ الحمدِ ووليِّه، ومنتهى الحمدِ ومحلِّه، المبدئِ البديع، الأجلِّ الأعظمِ السميعِ، الأعزِّ الأكرم، المتوحدِ بالكبرياءِ، والمتفردِ بالآلاءِ، القاهرِ بعزِّهِ، والمتسلط بقهرِهِ، الممتنعِ بقوَّتِهِ، المهيمنِ بقدرتِه، والمتعالي فوق كلِّ شيءٍ بجبروتِهِ، المحمودِ بامتنانِهِ، المتفضلِ بعطائه وإحسانِهِ، وجزيلِ فوائدِه، الموسِعِ برزقه، المسبغِ بنعمتِهِ، نحمدُه على آلائِهِ، وتظاهرِ نعمائِهِ، حمداً يزِنُ عظمَةَ جلالِهِ، ويملأُ قدرَ آلائِهِ وكبريائِهِ.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي كان في أوليته متقادِماً، وفي ديموميته مُتسيطِرَاً، خضعَ الخلائقُ لوحدانيَّتِهِ وربوبيَّتِهِ، وقديمِ أزليَّتِهِ، ودانوا لدوام أبديَّتِه.

وأشهد أنَّ محمداً صلى الله عليه وآله عبدُه ورسولُه، وخيرتُه من خلقه، اختاره بعلمه، واصطفاه لوحيه، وائتمنه على سره، وارتضاه لخلقه، وانتدبه لعظيم أمرِهِ ولضياءِ معالمِ دينِه، ومناهجِ سبيله، ومفتاحِ وحيِهِ، وسبباً لباب رحمته، فبَلَّغَ رسالتَه، وجاهدَ في سبيله، وعبده حتى أتاه اليقينُ، صلى الله عليه وعلى آله، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المؤمنون:

أوصيكم وأوصي نفسي بتقوى الله، واغتنام ما استطعتم عملاً به من طاعته في هذه الأيام الخالية، والرفض لهذه الدنيا التاركةِ لكم، وإن لم تكونوا تحبون تركها، والمبلِيَةِ لكم وإن كنتم تحبون تجديدَها، فإنما مَثَلُكم ومَثَلُها كركب سلكوا سبيلاً، فكأنْ قد قطعوه، وأفضوا إلى عَلَم، فكأن قد بلغوه، وكم عسى الْمُجرَى إلى الغاية أن يجريَ إليها حتى يبلغها، وكم عسى أن يكون بقاءُ من له يومٌ لا يعْدُوهُ، وطالبٌ حثيثٌ في الدنيا يَحْدُوه حتى يفارِقَها، فلا تتنافسوا في عزِّ الدنيا وفخرها، ولا تُعجَبُوا بزينتها ونعيمها، ولا تجزعوا من ضرَّائِها وبؤسها، فإنَّ عزَّ الدنيا وفخرَها إلى انقطاع، وإنَّ زينتها ونعيمها إلى زوال، وإنَّ ضُرَّها وبؤسَها إلى نفاد، وكلُّ مدة منها إلى منتهى، وكلُّ حيٍّ منها إلى فناء وبلاء، أَوَ ليس لكم في آثار الأولين مزدجرٌ، وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبرٌ إن كنتم تعقلون.

ألم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون، وإلى الخلف الباقين منكم لا يَبْقَوْنَ، قال الله تبارك وتعالى:

{وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ}، وقال تعالى: **{كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ}**، أَوَ لستُم ترون إلى أهل الدنيا وهم يُصبحون ويمسون على أحوالٍ شَتَّى:

فميتٌ يَبْلَى، وآخرُ يُعزَّى، وصريعٌ يَتَلَوَّى، وعائدٌ ومَعُودٌ، وآخرُ بنفسه يجودُ، وآخرُ يُبَشَّرُ ويُهَنَّأ، وطالبُ الدنيا والموت يطلبُهُ، وغافلٌ وليس بمغفول عنه، وعلى أثرِ الماضينَ يمضي الباقون، والحمد لله رب العالمين، رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع ورب العرش العظيم، الذي يبقى ويفنى ما سواه، وإليه يؤولُ الخلقُ ويرجعُ الأمرُ.

أيها المؤمنون:

أُوصِيكُمْ بِتَقْوى اللَّهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ، وَاحْتَجَّ بِمَا نَهجَ، وَحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيّاً، وَنَفَثَ فِي الْآذَانِ نَجِيّاً، فَأَضَلَّ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَمَنَّى، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ، حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ، أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ، وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ.

أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَشُغُفِ الْأَسْتَارِ، نُطْفَةً دِهَاقاً، وَعَلَقَةً مِحَاقاً، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً، وَوَلِيداً وَيَافِعاً، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً، وَلِسَاناً لَافِظاً، وَبَصَراً لَاحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً، حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ، وَاسْتَوَى مِثَالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِراً، وَخَبَطَ سَادِراً، مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ، كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ، وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ، ثُمَّ لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً، وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً، فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيراً، لَمْ يُفِدْ عِوَضاً، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً، دَهِمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ، فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ، فَظَلَّ سَادِراً، وَبَاتَ سَاهِراً، فِي غَمَرَاتِ الْآلَامِ، وَطَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ، بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ، وَوَالِدٍ شَفِيقٍ، وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً، وَلَادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً، وَالْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ، وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ، وَأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ، وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ، وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ، ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً، وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْأَعْوَادِ، رَجِيعَ وَصَبٍ، وَنِضْوَ سَقَمٍ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدَانِ، وَحَشَدَةُ الْإِخْوَانِ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ، وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ، وَمُفْرَدِ وَحْشَتِهِ، حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ، وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ، أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيّاً، لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ، وَعَثْرَةِ الْإِمْتِحَانِ، وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ، وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ، وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ، لَا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ، وَلَا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ، وَلَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ، وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ، وَلَا سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ، بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ،

وَعَذَابِ السَّاعَاتِ، إِنَّا بِاللَّهِ عَائِذُونَ.

عِبَادَ اللَّهِ: أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا، وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا، وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا، وَسُلِّمُوا فَنَسُوا، أُمْهِلُوا طَوِيلاً، وَمُنِحُوا جَمِيلاً، وَحُذِّرُوا أَلِيماً، وَوُعِدُوا جَسِيماً، احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَةَ، وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ، أُولِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ، هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ، أَمْ لَا؟ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ؟ أَمْ بِمَا ذَا تَغْتَرُّونَ؟ وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، ذَاتِ الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ، قِيدُ قَدِّهِ، مُتَعَفِّراً عَلَى خَدِّهِ، الْآنَ عِبَادَ اللَّهِ وَالْخِنَاقُ مُهْمَلٌ، وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ، فِي فَيْنَةِ الْإِرْشَادِ، وَرَاحَةِ الْأَجْسَادِ، وَبَاحَةِ الإِحْتِشَادِ، وَمَهَلِ الْبَقِيَّةِ، وَأُنُفِ الْمَشِيَّةِ، وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ، وَانْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ، قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضِيقِ، وَالرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ، وَقَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ، وَإِخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ.

غفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إن أحسن الحديث وأبلغ المواعظ، وأنفع التذكر كتاب الله جل وعز، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو الفتاح العليم، **بسم الله الرحمن الرحيم، {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ، وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ}**، أستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله نحمدُهُ ونستعينُه، ونؤمنُ به، ونتوكلُ عليه، حمداً يكون أرضى الحمد له، وأتم الحمد لديه.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، فرداً صمداً، ليس له ند ولا شبيه.

ونشهد أن محمداً عبدُه المصطفى، ورسولُه المجتبى، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الهداة.

أما بعد: أيها المؤمنون:

أوصيكم وأوصي نفسي بتقوى الله الذي ابتدأ الأمور بعلمه، وإليه يصيرُ غداً معادُها، وبيدِه فناؤها وفناؤكم، وتَصَرُّمُ أيامِكم، وفناءُ آجالكم، وانقطاعُ مُدَّتِكم، فكأنْ قد زالت عن قليل عنا وعنكم كما زالت عمن كان قبلكم، فاجعلوا - عبادَ الله - اجتهادَكم في هذه الدنيا، التزوَّدَ من يومها القصيرِ ليومِ الآخرةِ الطويل، فإنها دارُ عملٍ، والآخرةَ دارُ القرارِ والجزاء، فتجافَوا عنها، فإنَّ المغترَّ مَن اغترَّ بها، لن تعدوَ الدنيا إذا تناهت إليها أمنيةَ أهلِ الرغبةِ فيها، المحبين لها، المطمئنين إليها، المفتونين بها، أن تكون كما قال الله عز وجل: {كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام} الآية، مع أنه لم يُصِبْ امرؤٌ منكم في هذه الدنيا حَبْرَةً، إلا أورثته عبرة، ولا يصبح فيها في جناحِ أَمْنٍ إلا وهو يخافُ فيها نزولَ جائحة، أو تغيُّرَ نعمةٍ، أو زوالَ عافية، مع أن الموت من وراء ذلك، وهولَ المطَّلَعِ والوقوفَ بين يدي الحكم العدلِ، يوم تُجزى كلُّ نفس بما عملت، {ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى}، فاتقوا اللهَ عزَّ ذكرُه، وسارعوا إلى رضوان الله، والعمل بطاعته والتقرب اليه بكل ما فيه الرضا، فإنه قريب مجيب، جعلنا الله وإياكم ممن يعمل بِمَحَابِّه، ويجتنبُ سخطَه.

أيها المؤمنون: قد جعل الله تعالى يوم القيامة مرجعاً وفصلاً، ووقتاً للقضاء بين الناس حكماً وعدلاً، وهو اليوم الذي يحشر فيه الخلق إلى ربهم، فهم في حشرهم على صفات مختلفة، وحالات متفاوتة، كما قال تعالى **{يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا}**، فقد روي عن معاذ أنه قال: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى **{يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً}**، فقال يا معاذ سألت عن عظيم من الأمر، ثم أرسل عينيه، ثم قال: تحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميزهم الله تعالى من المسلمين، وبَدَّل صورهم:

فبعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكسون، أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها، وبعضهم عمي، وبعضهم صم بكم، وبعضهم يمضغون ألسنتهم وهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جذوع من نار، وبعضهم أشد نتناً من الجيف، وبعضهم ملبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم:

فأما الذين على صورة القردة: فالقَتَّاتُ من الناس.

وأما الذين على صورة الخنازير: فأهل السحت.

وأما المنكسون على رؤوسهم: فأكلة الربا.

والعمي: الجائرون في الحكم.

والصم والبكم: المعجبون بأعمالهم.

والذين يمضغون بألسنتهم: فالعلماء والقضاة الذين خالفت أعمالهم أقوالهم.

والمقطعة أيديهم وأرجلهم: الذين يؤذون الجيران.

والمصلبون على جذوع من نار: فالسعاة بالناس إلى السلطان.

والذين هم أشد نتناً من الجيف: فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله في أموالهم.

والذين يلبسون جباباً سابغة من قطران: فأهل التجبر والخيلاء.

ومن الصور والحالات التي يحشر عليها بعض أهل الذنوب والمعاصي، الحالات التالية:

الذي لا يعدل بين الزوجات: مَنْ كَانَت لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَال إِلَى إِحْدَاهمَا جَاءَ يَوْم الْقِيَامَة وشِقُّه مائل.

يُحشرُ المتكبرون يوم القيامة أمثالَ الذر في صور الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان.

يُحشر آكل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه، ومن مسامعه، وأنفه، وعينه، كل من رآه يعرفه أنه آكل مال اليتيم.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ومن تعلم القرآن ثم نسيه متعمداً لقي الله تعالى يوم القيامة مجذوماً مغلولاً، ويسلط عليه بكل آية حية موكلة به، ومن تعلم فلم يعمل به وآثر عليه حب الدنيا وزينتها استوجب سخط الله عزوجل، وكان في الدرك الأسفل مع اليهود والنصارى، ومن قرأ القرآن

يريد به السمعة والرياء بين الناس لقي الله عزوجل يوم القيامة ووجهه مظلم ليس عليه لحم، وزخ القرآن في قفاه حتى يدخله النار، ويهوى فيها مع من يهوى، ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى، فيقول: ((قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا؟)) فيقال: ((كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى)) فيؤمر به إلى النار، ومن تعلم القرآن يريد به رياءً وسمعة ليماري به السفهاء أو يباهي به العلماء أو يطلب به الدنيا بدد عزوجل عظامه يوم القيامة، ولم يكن في النار أشد عذاباً منه، وليس نوع من أنواع العذاب إلاّ يعذب به من شدة غضب الله وسخطه.

وأما من يؤذي المؤمنين: فإنه إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الصدود لأوليائي، فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنفوهم في دينهم ثم يؤمر بهم إلى جهنم.

ومن بغى على فقير أو تطاول عليه أو استحقره: حشره الله يوم القيامة مثل الذرة في صورة رجل حتى يدخل النار.

ومن غشّ مسلماً في شراء أو بيع فليس منّا، ويحشر يوم القيامة مع اليهود لأنّهم أغشّ الخلق للمسلمين.

فانظر أيها المسلم هل يعجبك أن تحشر على شيء من هذه الهيئات والحالات، وإلا فارجع وتب وتخلص قبل فوات الأوان.

فالأمر جد وهو غير مزاح　　　فاعمل لنفسك صالحاً يا صاحِ

٣٨- موعظة عظيمة حول الموت

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظيمِ شانُه، الواضحِ برهانُه، أحمده على حُسن البَلَاء، وتَظَاهُرِ النَّعماء، وأستعينه على ما آتانا من الدنيا والأخرى، وأتوكل عليه، وكفى بالله وكيلاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، إلهاً واحداً صمداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يشركْ في حكمه أحداً.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ارتضاه لنفسه، وانتجبه لدينه، واصطفاه على جميع خلقه لتبليغ الرسالة بالحجة على عباده، فصلى الله عليه وعلى أهل بيته الأخيار.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن الدنيا دارُ غرور، لا يدوم فيها سرور، ولا يُؤمنُ فيها محذور، جديدُها يبلى، وخيرُها يفنى، من وَثِقَ بها خدعته، ومن اطمأن إليها صرعته، ومن أكرمها أهانته، أفراحها تُعقبُ أحزاناً، ولَذَّاتُها تُورثُ أشجاناً، أعمارُها قصيرة، ورحاها مُديرة، وسهامُها قاصدة، وحتُوفُها راصدة، والمغرور من اغتر بها، والمخدوع من ركن إليها، من زهد فيها كُفِيَها، ومن رغب عنها وطِيَها، قد غرت القرون الماضية، وهي على الباقينَ آتية، فيا بؤساً للباقين، لا يعتبرون بالماضين، يجمعون للوارثين، ويقيمون في محلة المتجبرين.

فلنحذرْ خترَ الدنيا ومكرَها، وخدعَها وغدرَها، فإنها مُتَبَرِّجَةٌ لطلابِها، فلحذرها ولا نكن لها قتيلاً، ولنلتمس إلى النجاة منها سبيلاً، ولنعلم أنها مُرحِّلةٌ سكانَها، خائنة إخوانَها، قاتلةٌ أخدانَها، وأنَّ متاعَها قليلٌ، وخطبَها جليلٌ، ونعيمَها زائلٌ، وخيرَها مائلٌ.

فلنتيقظْ من نومة الغافلين، ولنَتَنَبَّهْ من وَسْنَة الجاهلين، ولننظرْ إلى مصارع المغترين، ومضاجع المستكبرين، أليس ديارهم خالية، وأجسادهم بالية، ومساكنهم مُقفرة، وعظامهم نخرة، وعروقهم بالية، وأيامهم فانية.

أيها المؤمنون: لكل شيء أصل وفرع، وأصل الطاعات ذكر الموت، والطاعات فروعها، وأصل المعاصي نسيان الموت، والمعاصي فروعها، فذكر الموت ونسيانه أصلان عظيمان، فمن ذكر الموت وعمل

له مضى إلى الجنة، ومن نسي الموت وغفل عن العمل مضى إلى النار.

أيها المغرور بدنياه، المتبع لهواه، إلى متى تقرع أذنك المواعظ والعبر، وتصك سمعك الزواجر والنذر، بأهوال القيامة وأفزاعها، وأحوال القبور وأوضاعها، وأنت في رقدة الغفلة غافل، وفي سكرة الجهلة جاهل، أفلا تنتبه، الويل كل الويل لمن لا ينتبه إلاَّ بالنفخة في الصور، وإزعاج من في القبور، وحشر الخلائق ليوم النشور، لما وعد من إنجاز الجزاء، وفصل القضاء.

عجباً لابن آدم يتقي من البرد بالدفئ، ومن الشمس إلى الظل والفيء، شفقةً على نفسه، ولا يشفق عليها، وهو يعرضها لنار جهنم كل يوم بمعصية اللّه تعالى.

أيها المؤمنون: من استكثر من ذكر الموت أكرمه الله بتخفيف التكلف فيما ليس له، واستحقار زهرة الحياة الدنيا، وأوتي تعجيل التوبة، ونشاط العبادة، وقناعة النفس، فإن كان في رغد من العيش ضيقه عليه، وإن كان في ضيق من العيش وسعه عليه، ومن غفل عن الموت سوَّف التوبة، وتباطأ في العبادة، وترك الرضى بالكفاف.

فحتى متى وإلى متى؟! دوام الغفلة والحيرة والعمى! ألسنا بربنا مؤمنين ؟ وبيوم البعث موقنين ؟ فمالنا يا من أمر الله معرضين؟! ولانتقام الله بالخلاف عليه في أمره متعرضين؟ من بعد الإيمان واليقين، والعلم بشرائع الدين.

فرحم الله من عباده عبداً، أيقن أن له إلى الله معاداً، فجدّ وشمّر في طلب نجاته، قبل نزول الموت ومفاجأته، فكم رأينا من مُفَاجَأٍ مبعُوت، بما لم يتوقعه من وفاة وموت، أُخذ في غمرته، وعلى حين غِرَّتِه، فتبرأ منه قبيلتُه وأحبآؤه، وأسلمه للموت أهله وأقرباؤه، فلم ينصره أهلٌ ولا عشير، ولم يكن له منهم نصير، بكاه من بكاه منهم قليلاً، ثم هجره وجفاه طويلاً، فكأنَّه لم يره حياً، ولم يكن له في حياته صفياً.

فعلينا أن نُبصِرَ ونبادِر، ونعتبِرَ بما نرى ونُحاذِر، فرب مبصر لا يبصر، ومعتبر بما يَرى لا يعتبر، يسترّ بالأشجان والأحزانِ، ويُغَرُّ بالرجاء والأمان، وهو دائبٌ في قطع عمره وأجلِه، مغترٌّ بمناه ورجاه وأملِه، لا يتنفس نَفَساً، ولا يطرف طَرْفاً، إلا قَطَعَ به من أجله ناحيةً وطرَفاً، لا يُغْفَلُ عنه وإن غَفَل، ولا يُؤخر لما رجاءه وأمَّل، قد جدّ به المسير، واختدعه الأمل والتسويف والتأخير، فأمله خدعة وغرور، وأجله متعة وبور.

فالعجلَ العجلَ، فقد نرى المسير إلى الموت والترحل، لا يُقلِعُ راحلُه وسائِرُه، ولا يريعُ على أوائلِه أواخرُه، يَلحقُ المتأخرُ بالسائرِ الأول، والمقيمُ من أهله بالظاعن الراحل، لا يُخلِّف من العباد جميعاً متخلفاً، بل يختطف نفوسهم خطفاً، يأخذ الصغير أَخْذَه للكبير، ويُلحق بعضهم بعضاً في الموت والمصير.

فكم رأينا في غِرته من مأخوذ! ومن ميتٍ بالعراء منبوذ! يتخالس الطيرُ لحمَه تخالُساً، وتتناهشه سباع الوحش تناهشاً، وكم سمعنا من ملقًى في بحر من البحور للموت؟ يأكل لحمَه ما قاربه من حوت، وكم رأينا في الثراء من ملحود؟ متناثرة أوصاله وعظامه بالدود، وقد نسيه بعد الذكر أهلوه! وقَطَعَهُ بعد مودته مواصلوه، فأغفلوا ذكره فلا يذكرونه إلا قليلاً، وكلُّهم فقد كان له أهلاً وخليلاً، فكأنّهم لم يروه في الأحياء، ولم ينالوا منه نفعاً ولا عطاء.

فالويل لمن سقط هذا عن ضمير قلبه، وأصر مقيماً على الخطيئة بعد علمه به، كيف خسر دينه ودنياه؟ وآثر ضلالته في الحياة على هداه؟ فهلك هلاكَ الأبد، وقد رأى في حياته منجاه، ودُلّ فيها على نجاته ورداه.

فنسأل الله أن يبارك لنا في حلوله وموافاته، وأن يجعلنا ممن أسعده في يوم مماته، ونستغفر الله خير الغافرين، ونضرع إليه في عصمتنا من هلكات الجائرين.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله حمداً دائماً مقيماً، وأشهد أن لا إله إلا الله، إلاهاً واحداً كريماً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله طاهراً معصوماً، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد: أيها المؤمنون: نقتطف من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام ومواعظه البالغة ما يلي:

عباد الله: إنّ أقربَ ما يكون العبدُ إلى المغفرة والرحمة حين يعمل بطاعته، ويناصحه في التوبة، فعليكم بتقوى اللّه سبحانه وتعالى فإنها تجمع من الخير ما لا خير غيرُها، ويُدركُ بها من الخير ما لا يدرك بغيرها، خيرُ الدنيا والآخرة. قال اللّه تعالى **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِين}**.

عبادَ اللّه: إن المؤمن يعمل لثلاث خصال من الأعمال:

إما ليثاب في الأولى والأخرى، والله يثيبه بعمله في دنياه وآخرته قال اللّه تعالى لإبراهيم **{وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِين}**، وإما ليكفر عنه سيئاته بكل حسنة سيئة يقول اللّه تعالى **{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَات}**، فإذا كان يوم القيامة حسبت حسناته، ثم يُعطى بكل واحدة عشرُ أمثالها إلى سبع مائة ضعف، قال اللّه تعالى **{فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الغُرُفَاتِ آمِنُونَ}**.

فارغبوا عباد اللّه: فيما رغبكم، ورغّبوا فيه غيركَم، واعملوا به وتحاضّوا عليه، وتواصوا به.

واعلموا أن المتقين ذهبوا بعاجل الخير وآجله في الدنيا والآخرة، فقد شاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولن يشاركَهم أهل الدنيا في آخرتهم، كما قال اللّه تعالى **{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ}**، فقد سكنوا الدنيا بأفضلِ ما سكنت، وأكلوها بأفضلِ ما أُكلت، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم، فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون، وشربوا من أفضل ما يشربون، ولبسوا من أفضل ما يلبسون، وسكنوا من أفضل ما يسكنون، وتزودوا بأفضل ما يتزودون، وركبوا من أفضل ما يركبون، وأصابوا لذة أهل الدنيا في دنياهم، مع أنهم جيران اللّه غداً، يتمنون عليه ما يشآؤن، ويسألونه ما يريدون، فلا يَرُدُّ لهم دعوة،

ولا يَنْقُصُ لهم نصيب، ففي هذا عباد اللّه ما يشتاق إليه من كان له عقل، أو ألقى السمع وهو شهيد.

ثم قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

واحذروا عباد اللّه: الموتَ وقربَه، واحذروا سكراتِه، وأعدوا له عدتّه، فإنه يأتي بأمر عظيم، وخيرٍ لا يكون معه شرٌّ أبداً، وشرٍّ لا يكون معه خيرٌ أبداً، فمَن أقربُ إلى الجنة من عاملها، ومَن أقربُ إلى النار من عاملها، وليس أحدٌ من الناس تُفارق روحُه جسدَه حتى يعلم إلى أيَّ المنزلتين يصير: إلى الجنة أم إلى النار، عدوٌّ لله سبحانه أو وليٌّ، فإن كان ولياً لله سبحانه فتحت له أبواب الجنة فنظر إلى ما أعد اللّه له فيها فاشتغل بها، وكل ذلك يكون عند الموت.

واعلموا عباد اللّه: أن الموت ليس منه فوت، فاحذروه قبل وقوعه، وأعدوا له عدته، فإنكم طرداءُ الموت، إن أقمتم به أخذكم، وإن فررتم أدرككم، وهو ألزم لكم من ظِلِّكُم، الموت معقود بنواصيكم، فأكثروا ذكر الموت عندما نازعتكم أمانيَّ الدنيا أنفسُكم، فإنه كفى بالموت واعظاً، فإني سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((أكثروا ذكر هادم اللذات - يعني الموت-)).

واعلموا عباد اللّه: أن ما بعد الموت لمن لم يغفر اللّه له ويرحمه أشد من الموت: عذابُ القبر فاحذوروا ضيقه وظلمته، وغربته، إن القبر يتكلم في كل يوم فيقول: أنا بيت الوِحدة، أنا بيت الغربة، أنا بيت الدود، أنا بيت التراب، وإنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، وإنما العبد المسلم إذا دُفن قالت له الأرض: مرحباً وأهلاً لقد كنتَ من أحب خلق اللّه تمشي على ظهري، فأما إذا وَلِيتُكَ وصرت إليَّ لتعلمنّ كيف أصنع بك، فَتَفْسَحُ له مُدَّ بصره، وتَفْتَحُ له باباً إلى الجنة.

وإذا دفن الكافر قالت الأرض: لا مرحباً ولا أهلاً، لقد كنت من أبغض خلق اللّه تمشي على ظهري، فإذا وَلِيتُكَ وصرتَ إليَّ ستعلم كيف أصنع بك، فتُضَيِّقُ موضعَه، حتى تلتقي أضلاعُه في حفرته، وهي من المعيشة الذي قال اللّه: {مَعِيشَةً ضَنْكًا}، ليسلطنّ عليه في قبره حياتٌ تهشم عظمه، لو أن واحدةٌ منهن نفخت نفخةً في الأرض لم ينبت زرع أبداً.

واعلموا عباد اللّه: أنّ أنفسَكم وأجسادَكم الرقيقةَ الناعمةَ التي يؤلمها اليسيرُ ضعيفةٌ عن هذا، فإن استطعتم أن ترجعوا وتتركوا ما كره اللّه لكم فافعلوا، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

واعلموا عباد اللّه: أن بعد الموت أشدُّ من القبر، يوم يشيب فيه الصغير والكبير، يُسكرُ من غير شراب، ويَسقطُ فيه الجنين **{تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ}{يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً}{يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً}**، إنّ شرَّ ذلك اليوم وفزعه استطار، حتى فزعت الملائكةُ الذين ليس لهم ذنوب، والسبعُ الشدادُ، والجبالُ الأوتاد، والأرضُ المهادُ، **{وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ}**، وتغيرت **{فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ}**، وكانت الجبال سراباً بعد أن كانت جبالاً صماً، **{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ}**، فكيف يتقي مَن يعصي بالسمع، والبصر، واللسان، واليد والرجل، والبطن، والفرج، إن لم يغفر اللّه له ويرحمه شرَّ ذلك اليوم، فإن صار إلى النار صارت إليه، فحرَّها شديد، وشرابها صديد، وقعرها بعيد، وعذابها جديد، ومقامعها حديد، لا يُفَتَّرُ عذابها، ولا يموت ساكنها، دار ليس لله سبحانه فيها رحمة، ولا يسمع لهم فيها دعوة، ولا يستجاب لهم عند كربه.

اعلموا عباد اللّه: أن مع هذا رحمة اللّه التي لا تَعجزُ عن العباد، وجنةٌ عرضها كعرض السماوات والأرض، وحتى لا يكون معها شر أبداً، بلذة لا تمل، وتَجَمُّعٌ لا يتفرق أبداً، قد جاوروا الرحمن، وقام بين أيديهم الغلمان، بصحائف من ذهب فيها الفاكهة والريحان.

قال رجل: يا نبيّ اللّه، إني أحبُّ الخيل فهل في الجنة خيل؟ قال: ((والذي نفسُ محمد بيده إنَّ فيها خيلاً من ياقوت أحمر عليها سروج الذهب تركبون)).

فقال رجل: يا نبي اللّه، إني رجل يعجبني الإبل فهل في الجنة إبل؟ قال: ((نعم والذي نفس محمد بيده إن فيها لنجائب من ياقوت أحمر عليها رحائل الذهب)).

قال رجل: يا نبي اللّه، هل في الجنة صوت حسن فإنه يعجبني الصوت الحسن؟ قال: ((نعم والذي نفس محمد بيده إن اللّه سبحانه ليأمر كلَّ شجرة أن تسمعه صوتاً بالتسبيح والتقديس فلا تسمع الآذان صوتاً أحسن منه، وإنّ فيها لَسُوقَاً فيها صُوَرُ الرجال والنساء، يركب أهلُ الجنة إليه، فإذا أعجبَ أحدُهم الصورةَ قال: يا رب اجعل صورتي مثل هذا فيجعل صورته عليها، ثم إذا أعجبه صورة المرأة منهن قال: يا رب اجعل لفلانة – أي لبعض أزواجه – هذه الصورة فيرجع إليها وقد صارت تلك الصورة كما يشتهي، وإنّ أهل الجنة زُوَّارُ الرحمن في كل جمعة، فيكون أقربُهم منه على منابر من ياقوت،

ويكون الذين هم على أثرهم على منابر من لؤلؤ، ويكون الذي هم على أثرهم على منابر من فضة، ثم الذين يلون على منابر من مسك، فبينا هم كذلك ينظرون، إذ أقبلت سحابة تغشاهم فتمطر عليهم من النعمة، والبهجة، واللذة، ما لا يعلمه إلا اللّه سبحانه وتعالى، مع أنَّ أكبرَ منه رضوانُه الأكبر، فلولا أن اللّه سبحانه لم يخوفنا إلا ببعض ما خوفنا من الشر، ولم يشوقنا إلا ببعض ما شوقنا إليه من الخير لكنا محقوقين أن يشتدّ خوفنا مما لا طاقة لنا به، ولا صبر لنا عليه، وأن يشتد شوقنا إلى ما لا غنى لنا عنه ولا بد لنا منه، فإن استطعتم أن يشتد خوفكم من ربكم وأن يحسن به ظنكم، فافعلوا فإن العبد إنما يكون حُسْنُ ظنه بربه على قدر خوفه، فإنَّ أحسن الناس ظناً بالله سبحانه أشدُّهم خوفاً له.

٣٩- حول عذاب القبر

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحيي المميت المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، صادق الوعد والوعيد، الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهو الغفور الودود، له الحمد دائماً لا ينفد ولا يبيد، بل يتضاعف ويزيد، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، ويميت ويحيي وهو حي دائم لا يموت، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن.

وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، الذي عمل لما بعد الموت، وحذَّر أمته من الغفلة قبل الفوت، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الهداة الميامين.

أما بعد: أيها المؤمنون: الله تعالى جعل الدنيا داراً للتكليف والأعمال، تُبلغُ فيها الآمال، حتى تقطعها الآجال، فمن عمل صالحاً قدم عليه غداً، وجوزي عليه جزاء المحسنين، وأثيب عليه ثواب المطيعين، ومن عمل سيئاً قدم عليه غداً، وحوسب عليه حساب المسيئين، وعوقب عليه عقاب العاصين، فاللبيب العاقل إذا علم أنه سيقدم على أمرين لابد من أحدهما، ولا محيص عنهما، ينتهز فرصة الإستعداد للأمر الذي يعود عليه بالمنفعة، ويجد ويجتهد في الإحتراز والإحتراس والإبتعاد عن الأمر الذي يجلب له المضرة، ويعود عليه بالوبال، هذا في الأمور المتوقعة المظنونة، أما في الأمور المعلومة الوقوع، المتحققة الحصول فإنه يكون أكثرَ حرصاً، وأشدَّ احترازاً، فالإنسانُ لا شك مُقدِمٌ على الموت، وليس عنه مناص، وبعد الموت هو صائر إلى خير لا يكون بعده شرٌّ أبداً، أو إلى شرٍّ لا يكون بعده خيرٌ أبداً، وقد أخبر الله تعالى عن حال المقصرين إذا جاءهم الموت، وحكى كيف يندمون على تقصيرهم حين لا ينفع الندم، كما قال تعالى **{حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ}**، وكما يقول تعالى **{حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ}**.

وقد جعل الله تعالى للمكلف ثلاثَ مراحل لا بد أن يمر بها، ولا خلاص له منها:

المرحلة الأولى: الحياة الدنيوية، التي يحيا فيها، ويكلف فيها، ويعمل فيها، ولا بد من الخروج منها، والإنتقال عنها، سواء طال بقاؤه فيها أم قصر، وسواء أحسن فيها العمل أم أساء.

المرحلة الثاني: الحياة البرزخية، وهي التي تنقطع فيها الأعمال، وتنصرم الآمال، حين تخرمها الآجال، وهي الحياة المؤقتة، وفيها يكون الإنتظار حتى يبعث الله الخلق ليوم الفصل، وفيها يطلع المرء على مصيره المحتوم، ومقره الأخير، فإن كان مصيراً مباركاً داخله السرور إلى يوم البعث والنشور، وإن كان مصيراً سيئاً، ومستقراً وخيماً، داخله الهم والغم، إلى أن يقدم على ما قدم، يوم الحسرة والندم.

والمرحلة الثالثة: الحياة الأخروية، وهي الحياة الأبدية، التي لا انقطاع لمدتها، ولا نهاية لأمدها، ولا خروج منها أبداً، بل يخلد كلٌّ فيما عمل إما في نعيم مقيم دائم، وإما في جحيم مقيم دائم.

وقد ذكر الله تعالى للإنسان بعد إحيائه وإيجاده في الدنيا إماتتين، وذكر له بعد موتته الأولى إحيائين، فقال تعالى حاكياً ومقرراً قول العصاة النادمين في يوم الدين **{قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ}**، فالموتة الأولى هي الخروج من الحياة الدنيوية، والموتة الثانية هي الإنتظار للحياة الأخروية في الحياة البرزخية.

والحياة الأولى هي الحياة البرزخية المؤقتة، والحياة الثانية هي الحياة الأخروية الدائمة، وقال تعالى **{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً}** أي قبل خلقكم **{فَأَحْيَاكُمْ}** حين خرجتم إلى الدنيا **{ثُمَّ يُمِيتُكُمْ}** الموتة الأولى **{ثُمَّ يُحْيِيكُمْ}** في البرزخ **{ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}** يوم القيامة.

أيها المؤمنون: إن الحياة البرزخية هي حياة القبور، التي تكون مقدمة لما سيقع على المرء بعدها من سعادة أو شقاوة، وفيها يوقف المرء لبعض النقاش والحساب والسؤال الذي يكون منبئاً عما سيأتي بعده من شدائد وأهوال، فالقبر عند ذلك إما أن يكون روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار.

ولصعوبة الموقف، وخطورة الأمر كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستعيذ بالله، ويعلم أصحابه وأمته الإستعاذة بالله تعالى من فتنة القبر وعذابه:

فعن سعد عن أبيه مرفوعاً: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم هذه الكلمات كما يعلم المكَتِّبُ الكتابة: ((اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن

أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر)).

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: ((اللهم إني أعوذ بك من الكسل والعجز، والجبن والهرم والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر)).

وعن عائشة قالت كان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((اللهم أني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة البلايا ،ومن فتنه القبر ومن عذاب القبر)).

وعن أبي الزبير أنه سأل جابر عن عذاب القبر؟ فقال : دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم نخلاً لبني النجار، فسمع أصوات رجال من بني النجار، وقد ماتوا في الجاهلية يعذبون في قبورهم، فخرج النبي الله عليه وآله وسلم فزعاً، فأمر أصحابة أن يتعوذوا من عذاب القبر).

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً، وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ، وَنِضْوَ سَقَمٍ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدَانِ، وَحَشَدَةُ الْإِخْوَانِ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ، وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ، وَمُفْرَدِ وَحْشَتِهِ، حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ، وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ، أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيّاً، لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ، وَعَثْرَةِ الِامْتِحَانِ، وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ، وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ، وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ، لَا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ، وَلَا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ، وَلَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ، وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ، وَلَا سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ، وَعَذَابِ السَّاعَاتِ).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى محمد بن أبي بكر: (واعلموا عباد الله أن ما بعد الموت لمن لم يغفر الله له ويرحمه أشدُّ من الموت، عذابُ القبر، فاحذروا ضيقَه وظلمتَه وغربتَه، إنَّ القبر يتكلم في كل يوم فيقول: أنا بيت الوحدة، أنا بيت الغربة، أنا بيت الدود، أنا بيت التراب، وإنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وإنما العبد المسلم إذا دفن قالت له الأرض: مرحباً وأهلاً، لقد كنتَ من أحبِّ خلق الله تمشي على ظهري، فإذا وَلِيتُكَ وصرت إليَّ لَتَعْلَمُ كيف أصنع بك، فيُفسحُ له مُدُّ بصره، ويفتحُ له بابٌ إلى الجنة، وإذا دفن الكافر قالت له الأرض: لا مرحباً ولا أهلاً، لقد كنتَ من أبغض خلق الله تمشي على ظهري، فإذا وَلِيتُكَ وصرت إليّ ستعلم كيف أصنع بك، فيضيق عليه موضعه حتى تلتقي أضلاعه في حفرته، وهي المعيشة التي قال الله تعالى: {مَعِيشَةً ضَنكاً}، لَيُسَلَّطُ عليه في قبره حياتٌ تنهش عظمه، لو أن واحدة منهن نفخت نفخةً في الأرض لم ينبت زرعٌ أبداً).

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم { وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ، وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ، لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}، بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم إنه تعالى جواد كريم، برٌّ رؤوف رحيم، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرد بالبقاء، وقهر عباده بالموت والفناء، حمداً لا غاية له ولا انتهاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أيها المؤمنون: الأحاديث الواردة في نعيم القبر وعذابه كثيرة جداً، وبالغة حد التواتر، ولا مجال لإنكارها أو تكذيبها، ونذكر منها ما يلي:

روى الإمام الموفق بالله عليه السلام الحسين بن إسماعيل الجرجاني عليه السلام في كتابه سلوة العارفين بسنده إلى علي عليه السلام أنه قال: (ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}).

عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((لولا أن تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم عذاب القبر)).

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ()إن الموتى يعذبون في قبورهم حتى إن البهائم تسمع أصواتهم)).

وعن الإمام المهدي محمد بن عبدالله بن الحسن النفس الزكية عن آبائه عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ((لو لا أن تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمعني)).

وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((عذاب القبر حق)).

وعن عثمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجى منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشر منه، وإلله ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه)).

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعض المعاصي والذنوب التي تكون مسببة في عذاب القبر، وهي مما قد يتساهل بها الناس، فمنها ما روي عن ابن عباس قال: دخلت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض حوائط الغابة فإذا بقبرين يعذبان في غير كبير، أما أحدهما فكان يمشي

بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستنزه من البول).

وروى الإمام زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام، قال: ((عذاب القبر من ثلاثةٍ: من البول والدين والنميمة)).

وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من لم يؤمن بعذاب القبر فعذبه الله، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا جعله الله فيها)).

وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل حائطاً من حوائط بني النجار فسمع صوتاً من قبر، فقال متى دفن صاحب هذا القبر؟ فقالوا في الجاهلية، فسر بذلك وقال: لولا أن تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم عذاب القبر).

وعن الحسن بن زيد بن الحسن عن آبائه عن علي عليه السلام قال: دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعض حوائط المدينة، فسمع أصوات يهود تعذب عند مغربان الشمس فقال: ((هذه أصوات يهود تعذب في قبورها)).

وأما كيفية السؤال في القبر، فقد وردت روايات كثيرة، منها:

ما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا دخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابُه، جاءه ملك شديد الإنتهار فقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول المؤمن: رسول الله وعبدُه، فيقول له الملك: انظر إلى مقعدك الذي كان من النار قد نجاك الله منه، وأبدلك بمقعدك التي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة، فيراهما كلاهما، فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي، فيقول: اسكن.

وأما المنافق: فيقعد إذا تولى عنه أهله فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، أقول ما يقول الناس، فيقول: لا دريت، هذا مقعدك الذي كان لك من الجنة قد أبدلت مكانه مقعدك من النار)) قال جابر: فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((يبعث كل عبد من القبر على ما مات عليه، المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه)).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((إذا دفن الميت أتاه ملكان فقال له: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، وإنه يسمع خفق نعالهم وقرع نعالهم)).

وعن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إذا وضع المؤمن في قبره أتاه ملكان فانتهراه، فقام يهب كما يهب النائم، فيقال له: من ربك؟ فيقول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد صلى الله عليه وآله نبيي، فينادي مناديٍ: أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، فيقول: دعوني أخبر أهلي، فيقال له: اسكن)).

وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، وإن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك فسأله ما كنت تعبد؟ فإن الله هداه قال: كنت أعبد الله، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله، فما سأله عن شيء بعدها، فينطلق إلى بيت كان له في النار فيقال له: هذا بيتك كان لك في النار ولكن الله عصمك ورحمك فأبدلك بيتاً في الجنة، فيقول: دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي، فيقال له: اسكن، وإن الكافر إذا وضع في قبره أتاه ملك فينتهره فيقول له: ما كنت تعبد؟ فيقول: لا أدري، فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول كنت أقول ما يقول الناس، فيضربونه بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق إلا الثقلين)).

وعن عثمان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول حين فرغ من دفنه الرجل ((استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل)).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لعمر: ((كيف أنت إذا رأيت منكراً ونكيراً؟ قال: وما منكر ونكير؟ قال: فَتَّانَا القبر، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، يطآن في أشعارهما ويحفران بأنيابهما، معهما عصا من حديد لو اجتمع عليها أهل منى لم يقلوها)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا قبر الميت أو أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللأخر نكير)).

وعن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: ((القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، ويسأل عن خمس، من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ وما إمامك؟ ومن وليك؟ فيقول المؤمن: الله ربي، ومحمدٌ نبيي، والقرآنُ إمامي، والإسلامُ ديني، وعليٌّ وليي)).

وقد وردت بعض الروايات في بعض الطاعات التي تمنع من عذاب القبر وتكون واقياً منه:

منها: ما روي عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

((من مات مبطوناً مات شهيداً، ووقي عذاب القبر))، وعن النبي صلى الله عليه وآله سلم: ((من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقي فتنة القبر وكتب شهيداً)).

وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من مات مرابطاً في سبيل الله أمنه الله من فتنة القبر))، وروي الأمن من فتنة القبر وعذابه لمن مات في أحد الحرمين، أو في طريق مكة، ولمن يقرأ سورة الملك عند منامه.

فهذه الروايات والأحاديث الصحيحة التي تبلغ حد التواتر المعنوي، تفيد أن عذاب القبر ونعيمه، وحياته والسؤال فيه من الأحوال التي لا مجال لإنكارها، ولا سبيل إلى إبطالها، فاللبيب العاقل الذي يعلم أنه مقدم على هذه الأهوال الصعاب، والأمور التي لا تطاق يستعد لها حق الإستعداد، ولا يهمل نفسه حتى تقع في العذاب الشديد، وفقني الله وإياكم لرضوانه، وهدانا إلى سبيل إحسانه، وجنبنا طرق عصيانه.

٤٠- موعظة في الرجوع إلى الله تعالى

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ، وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ، والبَلَاءَ والمحنَ بالفرجِ والنصرِ، لمن ثبتَ وصَبَرَ، نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، السِّرَاعِ إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ، وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ، وَوَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ، إِيمَاناً نَفَى إِخْلَاصُهُ الشِّرْكَ، وَيَقِينُهُ الشَّكَّ.

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ، وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ، لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ.

أما بعد: أيها المؤمنون: يقول الله تعالى: **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ {الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ}**، ويقول تعالى: **{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ}**، فالقرآن الكريم مشحون بالآيات التي يذكر فيها الله تعالى ما أصاب مَن قبلنا من المحن والفتن والمصائب التي يبتلي بها عبادَه، ليميز بها المؤمن من المنافق، والكاذب من الصادق، والصابر من الجازع، ففي ظل الأحداث والفتن التي يعيشها الناس في هذه الأيام، من الظلم والإضطهاد، والفساد والإفساد، وفي ظل الظروف المعيشية القاسية التي يعانيها الناس، لا بد أن نتذكر ما أصاب مَن قبلنا، وكيف امتدحهم الله تعالى بالمدائح النبيلة، ووصفهم بالصفات الجميلة، كما يقول الله تعالى في ذكر صفات المؤمنين الصادقين **{وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}**، فالصبر درع حصين، وحرز قوي متين، يقي المؤمنَ من آثار الحوادث، ومن نكبات المصائب، والإنسان العاقل، والمؤمن الصادق إذا ألمت به الأخطار، وتناوبته الأحداث الكبار، والأفزاع والأضرار تذكر واعتبر، ونظر في نفسه وما

حوله وتفكر، فقد يكون ما يصيبه بسبب فعل سيء قدمه، أو خطأ ارتكبه، أو معصية وقع فيها، فعلينا أن نستشعر بعض الأمور الهامة:

أولاً: أن نحاسب أنفسنا محاسبة صادقة على أعمالنا، وأن نعلم أن أكثر ما يصيب الناس هو بسبب أعمالهم وعصيانهم ومخالفتهم لربهم، **{وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ}**، وكما قال تعالى **{فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا}**، ويقول تعالى **{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**، وقال تعالى **{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}**، وقال تعالى **{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}**، ويقول تعالى **{وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا}**، ويقول تعالى **{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا}**، فهذه الآيات الكريمة تبين لنا أن أعمالنا وهي سبب فيما يحصل علينا.

فعلينا أن نعلم أن أعمالنا هي مفتاح أمورنا، إن حسنت وصلُحت أعمالنا حسنت وصلحت أحوالنا، وإن ساءت وفسدت أعمالنا ساءت وفسدت أحوالنا، فلا بد أن نترك الغرور، وأن نراجع حساباتنا مع الله تعالى بتوبة نصوح، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام (من حاسب نفسه سعِد، ومن حاسب نفسه ربح، ومن تعاهد نفسه بالمحاسبة أمن فيها المداهنة)، وقال عليه السلام (أفضل الجهاد مَن جاهد نفسه التي بين جنبيه)، وقال صلوات الله عليه في وصيته عند وفاته (اللهَ اللهَ في الجهاد للأنفس، فهي أعدى العدو لكم، فإنه تبارك وتعالى يقول **{ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ}**، وإن أول المعاصي تصديق النفس، والركون إلى الهوى)، فالذي يحدث نفسه بصلاحها، وهو تابع لها في عصيانها، فهو جاهل مغرور.

ثانياً: نحن بحاجة ماسة – لا سيما في ظل الظروف الحرجة، والأوضاع المؤلمة — إلى أن نتعاهد أنفسنا، وأبناءنا وبناتنا بالتعليم وقرآءة القرآن، والآداب الإسلامية، حتى لا تُهملَ تلك الأمور وتنسى، فنضيع ونضل.

ولا بد أن نتعاهد كتاب الله تعالى بالقرآءة والتلاوة، وأن نوظف لأنفسنا في كل يوم وليلة ورداً من القرآن الكريم نقرأه ونتلوه، فإن القرآن مفتاح النجاة والفرج، وبه يدفع الله البلاء والمصائب والشرور في الدنيا والآخرة، فكم من ساهٍ غافلٍ تمر عليه الأيام والليالي لا يقرأ من كتاب الله سورة أو بعضها، حتى وإن كان في أصعب الظروف، وأحلك الأوضاع.

ومما يدعو إلى العجب: استمرارنا في المعاصي، وابتعادنا عن الله تعالى في مثل هذه الأحداث التي ينبغي أن يكون الإنسانُ معها أقرب إلى الرجوع إلى الله، والإنزجار عن معصيته وسوء فعله، فإذا لم يحصل منه الإقلاع والتوبة والرجوع في أوقات يتوقع حصول المصيبة به، وحلول البلية به، ووقوع الشر عليه في كل لحظة، بل إذا خرج من بيته لم يأمن الرجوع، وإذا دخل بيتَه لم يأمن الخروج سالماً، فمتى سيتوب إن لم يتب في هذه الحالات الصعبة.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، ووضعنا عنك وِزْرَكَ، الذي أنقض ظهرك، ورفعنا لك ذكرك، فإنّ مع العسر يسراً، إنّ مع العسر يسراً، فإذا فرغتَ فانصب، وإلى ربّك فارغب}.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أحقِّ من خُشِيَ وحُمِدَ، وأفضلِ من اتُّقِيَ وعُبِدَ، وأولى مَنْ عُظِّمَ ومُجِّدَ، نحمده لعظيم عنائه، وجزيل عطائه، وتظاهر نعمائه، وحسن بلائه، ونؤمن بهداه، ونعوذ بالله من ظلم الفتن، ونستغفره من مكاسب الذنوب، ونستعصمه من مساوئ الأعمال، ومكاره الآمال، والهجوم في الأهوال، ومشاركة أهل الريب، والرضا بما يعمل الفجار في الأرض بغير الحق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي كان في أوليته متقادماً، وفي ديموميته متسيطراً، خضع الخلائق بوحدانيته وربوبيته.

وأشهد أنّ محمداً صلى الله عليه وآله عبدُه ورسوله، وخيرته من خلقه، اختاره بعلمه، واصطفاه لوحيه، وائتمنه على سره، وارتضاه لخلقه، وانتدبه لعظيم أمره، صلى الله وسلم عليه وعلى آله البررة الأتقياء.

أما بعد: أيها المؤمنون:

ثالثاً: قد يستغل بعضُ الناس الظروف والأوضاع المعيشية التي يعيشها الناس، فيجعل منها مصدراً لجمع الأموال والتجارة والربح، من خلال رفع الأسعار في السلع التي يحتاجها الناس في حوائجهم، أو من خلال الإحتكار لبعض منافعهم الضرورية، وأقواتهم الأساسية، ومتطلباتهم اليومية، فيكون سبباً في حصول أزمة تسبب في رفع الأسعار، وهو بهذه الأفعال الدنيئة إنما يبين قسوته، ويظهر للناس جفوته، وترجيحه لمصلحته ولو أضرت بالآخرين، فهو عديم الرحمة بأبناء جنسه ووطنه وبلده ومجتمعه، بل وبأبناء دينه، وبالضعفاء والمساكين، فهو يتصيد حاجة الناس ليغلي أسعارهم عليهم.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام (كل حكرة تضر بالناس وتغلي السعرَ عليهم فلا خير فيها).

وقال صلوات الله عليه في عهده إلى مالك الأشتر حين ولاه على مصر (ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً، الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ وَجُلَّابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، وَلَا يَجْتَرِءُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ، وَصُلْحٌ لَا تُخْشَى

غَائِلَتُهُ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ، وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ، وَاعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً، وَشُحّاً قَبِيحاً، وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّماً فِي الْبِيَاعَاتِ، وَذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ، فَامْنَعْ مِنَ الِاحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم مَنَعَ مِنْهُ، وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً، بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ، فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ، فَنَكِّلْ بِهِ وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ).

وقال عليه السلام (الإحتكار شيمة الفجار). وقال في كلام آخر (المحتكر آثم عاص).

وقال صلوات الله عليه (جالب الطعام مرزوق، والمحتكر عاص ملعون).

أيها المؤمنون: يقول الله تعالى **{أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ}**، ويقول تعالى **{وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ، فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ، فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ}**.

فقد جعل الله تعالى لنا في الأمم السالفة، والقرون الخالية عبراً كافية، ومواعظ وافية، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فإن الله تعالى يبتلي العباد بأنواع الإبتلاءات، وضروب الإمتحانات، في السراء والضراء، والشدة والرخاء، ليتوب تائب، ويرجع راجع، ويتذكر متذكر، فمن راجع حساباته مع ربه، وأقلع عن خطيئته وذنبه، فهو السعيد الآمن، ومن مرت عليه المصائب والشدائد، ولم تؤثر فيه، ولم تنفع لديه، بل ازداد من الله بعداً، فهو الشقي الخائف.

وقد ذكر الله تعالى عن أمة من الأمم، وهم قوم نبي الله يونس عليه السلام، الذين اعتبروا واتعظوا، وراجعوا حساباتهم مع ربهم، وتابوا وأنابوا قبل حلول النقمة بهم، ونزول الهلاك عليهم، عندما رأوا مقدمات النقمة، سارعوا بالتوبة، فكشف الله عنهم البلاء، ورفع عنهم اللأواء، كما قال تعالى **{فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ}**.

فقد روي أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه، فلبث بهم ثلاثة

وثلاثين عاماً لم يؤمن به سوى رجلين، فذهب عنهم مغاضباً، ودعا الله عليهم، فلما فقدوه خافوا نزول العذاب، فلبسوا المسوح وعجوا إلى الله بالتوبة أربعين ليلة.

وقيل: قال لهم يونس: إن أجلكم أربعون ليلة فقالوا: إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فخرجوا إلى شيخ من بقية علمائهم ممن آمن بيونس عليه السلام واستشاروه في أمرهم، وقالوا له: قد نزل بنا العذاب فما ترى؟ فأمرهم بالتوبة والرجوع، فلبسوا المسوح، وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها، فحن بعضها على بعض وعلت الأصوات والعجيج، وأمرهم أن يقولوا: يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا إله إلا أنت، وأظهروا الإيمان الصحيح، والتوبة النصوح، وتضرعوا بصدق ورجوع، حتى بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم، حتى إن الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده، ويعمد إلى الأخشاب التي أخذها وقد سقف بها بيته فيقتلعها من السقف، فلما علم الله منهم صدق التوبة رحمهم وكشف عنهم، وكان مما روي من دعائهم: اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله.

٤١- موعظة حول الدنيا وكيف نستغلها؟

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمودِ على نعمائه، المشكورِ على آلائه، الذي لا ينسى من ذَكَرَه، ولا يُخَيِّبُ مَن رجاه، ولا يَرُدُّ مَنْ دعاه، والحمد لله الذي لا ربَّ لنا سواه، ولا خالقَ إلا إياه، ولا إلهَ غيرُه، ولا معبودَ إلا هو وحده لا شريك له، الذي تواضع كلُّ شئ لعظمته، وذلَّ كلُّ شئ لملكه وهيبته، والحمد لله الذي استسلم كلُّ شئ لقدرته، وخضع كلُّ شئ لقوته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله، وأشهد أن الدين كما شرع، وأن الإسلام كما وصف، وأن الكتاب كما أنزل، وأن الله هو الحق المبين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأعظم المواعظ ما وقر في القلب، وصدقه العمل، ولن يتعظ الإنسان بمواعظ أبلغ ولا أعظم من كتاب الله، وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكلام أمير المؤمنين علي عليه السلام سيد البلغاء، وإمام الفصحاء، سيد العارفين بالله، وأعلم المؤمنين بالله، فقد كان له عليه السلام المواعظ البليغة، والخطب الرفيعة، وكأنه عليه السلام في بعض خطبه يتحدث عن زماننا، ويشرح كثيراً من أحوالنا، وكأنه ينظر إلى الزمان الذي نعيش فيه، والوضع الذي نقاسيه، فسنجعل خطبة جمعتنا هذه نقلاً لشذرات من كلامه، ومتفرقات من خطبه، لعلنا نستفيد منها، ونعالج من خلالها بعضَ أمراضنا، ونصلح بها ما فسد من شؤوننا، قال عليه السلام في خطبة له، وكأنه يشرح زماننا، فتأملوا بعين البصيرة، قال عليه السلام:

فإنكم قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَاراً، وَلَا الشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالًا، وَلَا الشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعاً، فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وَأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ، اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً، أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفْراً، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً، أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ؟ وَأَيْنَ

أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ؟ وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ؟ وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ؟ أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ، وَالْعَاجِلَةِ الْمُنَغِّصَةِ، وَهَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَةٍ لَا تَلْتَقِي إِلَّا بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ، اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ، وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ، وَلَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ، أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ، هَيْهَاتَ لَا يُخْدَعُ اللَّهُ عَن جَنَّتِهِ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ.

وقال صلوات الله عليه: يحذر من الدنيا، وكيف نسلم منها:

فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنْجى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا، ابْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً، فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ، وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ، وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ، فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ، بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّى قَلَصَ، وَزَائِداً حَتَّى نَقَصَ.

ثم شرح عليه السلام حال أولياء الله مع الدنيا، وكيف يتعاملون فيها، وكيف تكون الدنيا بالنسبة إليهم:

(ألا إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ اغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا، قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الْآمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ، فَلَا تَوَازَرُونَ، وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذَلُونَ، وَلَا تَوَادُّونَ، مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ، وَلَا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ، وَيُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ، وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ، كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ، وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ، وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ، قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجِلِ، وَحُبِّ الْعَاجِلِ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ، صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، وَأَحْرَزَ رِضَى سَيِّدِهِ).

وقد كان لأئمة أهل البيت عليهم السلام النصائح الهامة، والمواعظ الكافية، عن الدنيا لما عرفوا حقيقتها، فحذروا المؤمنين منها، قال الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام:

وحتى متى أصف محن الدنيا، ومقام الصديقين، وأنتحل عزماً من إرادة وأنا مقيم بمدرجة الخطايا؟! أشتكي ذل ملكة الدنيا وسوء أحكامها عليّ، فقد رأيت وسمعت لو كنت أسمع في أداة فهم أو أنظر بنور يقظة.

كُلاً ألاقي نكبةً وفجيعةً ... وكأسَ مراراتٍ ذعافاً أذوقُها

وهنَّ المنايا أيَّ وادٍ سلكتَه ... عليها طريقي أو عليَّ طريقُها

وحتى متى تعدني الدنيا فتُخلِفُ، وأئتمنُها فتخونُ؟! لا تُحدثُ جِدَةً إلا بخلوق جِدَةٍ، ولا تَجمعُ شملاً إلا بتفريق شمل، حتى كأنها غَيْرَى مُحَجَّبَةٍ ضِنَّاً تغار علي الألفة، وتحسد أهل النعم.

فقد آذنتني بانقطاعٍ وفرقةٍ ... وأَوْمَضَ لي من كلِّ أُفقٍ بروقُها

فما عيشةٌ إلا تزيدُ مرارةً ... ولا ضيقةٌ إلا ويزدادُ ضيقُها

فكيف يرقأ دمع لبيب، أو يهدأ طَرْفُ مُتَوَسِّمٍ على سوء أحكام الدنيا، وما تفجعُ به أهلَها من تصرف الحالات، وسكون الحركات؟! وكيف يسكن إليها من يعرفها، وهي تفجعُ الآباءَ بالأبناءِ، وتلهي الأبناءَ عن الآباء؟! تُعدِمُهم أشجانَ قلوبهم، وتسلُبُهم قرة عيونهم.

وترمي قساوات القلوب بأسهم ... وجمرِ فِراقٍ ليسَ يَخْبُو حريقُها

وما عسيتُ أن أصفَ من محن الدنيا، وأبلغَ من كشف الغطاء عما وكل به دور الفلك من علوم الغيوب، ولست أذكر منها إلا قتيلاً أفنته، أو مُغَيَّبٍ ضريحٍ تجافت عنه! فاعتبر أيها السامع بهلكات الأمم، وزوال النعم، وفضاعة ما تسمع وترى من سوء آثارها في الديار الخالية، والرسوم الفانية، والربوع الصموت.

وكم عَالَمٍ أَفْنَتْ فلم تَبْكِ شجوَهُ ... ولا بد أن تفنى سريعاً لحوقُها

فانظر بعين قلبك إلى مصارع أهل البذخ، وتأمل معاقل الملوك، ومصانع الجبارين، وكيف عركتهم الدنيا بكلاكل الفناء، وجاهرتهم بالمنكرات، وسحبت عليهم أذيال البوار، وطحنتهم طحن الرحى للحب، واستودعتهم هوج الرياح تسحب عليهم أذيالها فوق مصارعهم في فلوات الأرض!.

فتلك مغانيهم وهذي قبورُهم ... توارثَها إعصارُها وحريقُها

أيها المجتهد في آثار من مضى من قبلك من الأمم السالفة، توقف وتفهم وانظر أي عز ملك، أو نعيم أنس، أو بشاشة ألف إلا نغصت أهله قرة أعينهم، وفرقتهم أيدي المنون، وألحقتهم بتجافيف التراب، فأضحوا في فجوات قبورهم يتقلبون، وفي بطون الهلكات عظاماً ورفاتاً وصلصالاً في الأرض هامدون.

وآليتُ لا تُبقي الليالي بشاشةً ولا جِدَةً إلا سريعاً خُلُوقُها

وقد أغرق في ذم الدنيا الأدِلَّاءُ على طرق النجاة من كل عَالِم، فبكت العيونُ شَجَنَ القلوبِ فيها دماً، ثم درست تلك المعالمُ، فتنكرت الآثار، وجعلت في برهة من محن الدنيا، وتفرقت ورثة الحكمة، وبقيت فرداً كقرن الأعضب وحيداً، أقول فلا أجد سميعاً، وأتوجع فلا أجد مشتكى.

وإن أَبْكِهِم أَجْرَضْ وكيف تجلدي وفي القلب مني لوعةٌ لا أطيقُها

وحتى متى أتذكرُ حلاوةَ مذاقِ الدنيا، وعذوبةَ مشاربِ أيامها، وأقتفي آثارَ المريدين، وأتنسَّمُ أرواحَ الماضين مع سبقهم إلى الغلِّ والفساد، وتخلُّفي عنهم في فُضَالةِ طرقِ الدنيا، منقطعاً من الأخلاء؟! فزادني جليلُ الخطب لفقدهم جَوَى، وخانني الصبرُ حتى كأني أولُ ممتحنٍ أتذكرُ معارفَ الدنيا وفراق الأحبّة.

فلو رجعت تلك الليالي كعهدها رأت أهلَها في صورة لا تروقُها

أيها المؤمنون: هذه حقيقة الدنيا حكاها لنا العارفون بأسرارها، وقصها لنا الخبيرون بأخبارها، فإذا لم نستمع لنصائحهم هلكنا، وإذا لم نهتد بهديهم ضللنا. وفقنا الله وإياكم لما يرضيه وجنبنا معاصيه.

بسم الله الرحمن الرحيم {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}، بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعني وإياكم بما فيه من الذكر الحكيم، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، شهادتين أدخرهما ليوم المعاد، وأرجو بها الفوز والزلفة بين العباد.

أما بعد أيها المؤمنون: هذه الدنيا التي خلقنا الله تعالى فيها، هي دار ليست مقصودة في نفسها، ولا معنية في ذاتها، وإنما هي وصلةٌ إلى غيرها، فهي دار صالحة للنفع والضر، والصلاح والفساد، والخير والشر، فهي عبارة عن سوق تتزود فيها بما أردت، وتتجار فيها بما أحببت، ولن نصل إلى درجات النعيم إلا من خلالها، ولن ينال المرءُ دركاتِ الجحيم إلا من قِبَلِهَا.

فالدنيا يستطيع الإنسان أن يصل بواسطتها ومن خلالها أن يصل إلى الدرجات العليا في الجنان، وأن يبلغ رضوان الله الأكبر، ولهذا فإن أمير المؤمنين علياً عليه السلام عندما سئل: لو خُيِّرَ بين ساعة من الدنيا وساعة من الآخرة أيهما يختار؟

فقال عليه السلام: أختار ساعة من الدنيا لأني سأجلب فيها ساعات وأعوام لا تنقضي من الآخرة.

فالدنيا وإن كانت من أسباب ضلالنا وهلاكنا، لكنها قد كاشفتنا وصرحت لنا بعبرها، وحذرتنا من نفسها، وإنما السبب الحقيقي في هلاكنا هو حبُّنا لها، وتعلقُنا بها، وإيثارُنا لها على الآخرة، كما قال تعالى {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}، وكما يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((حب الدنيا رأسُ كلِّ خطيئة))، فمن أحبها تورط معها، فهي كثيرة الغدر والضرر، لكن غدرها وخدعها وضررها لا يتعدى مَن أحبها، وإنما يقتصر عليهم، لأن من خدمها صيرته عبداً لها، ومن أمنها أخافته منها، وأما مَن يصحبها بالسلامة فإنه ينال ما يتمنى منها، ويسلم من مكرها وخدعها، وتصير هي خادمةً له، ومذعنة في أمره، كما في الحديث القدسي عن الله عزوجل ((يا دنيا من خَدَمني فاخدِميه، ومَن خدمك فاستخدميه)). وقد انتحلت طوائف من هذه الأمة بعد مفارقتها أئمة الدين،

والشجرة النبوية إخلاص الديانة، وأخذوا أنفسهم في مخائل الرهبانية، وتغالوا في العلوم، ووصفوا الإسلام بأحسن صفاتهم، وتحلوا بأحسن السنة، حتى إذا طال عليهم الأمد، وبعدت عليهم الشقة، وامتحنوا بمحن الصادقين، رجعوا على أعقابهم ناكصين عن سبيل الهدى، وعلم النجاة، يتفسحون تحت أعباء الديانة تفسح حاشية الإبل تحت أوراق البُزل.

أيها المؤمنون: إن الدنيا وإن كانت ذميمة، لكنها أمر لا بد لنا منه، ومن عبوره والمرور فيه، فليس ذمُّها بدون عمل، بأولى من استغلالها في صالح العمل، كما روي عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله، قال: بينما أميرُ المؤمنين عليٌّ عليه السلام في جماعة من أصحابه أنا فيهم إذ ذكروا الدنيا وتصرمها بأهلها، فذمها رجل فذهب في ذمها كل مذهب، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أيها الذامُّ للدنيا، أنت المجترمُ عليها أم هي المجترمةُ عليك؟ فقال: بل أنا المجترم عليها يا أمير المؤمنين، قال:

فيم تذمها، أليست منزلِ صدقٍ لمن صدقها، ودارَ غنى لمن تزوَّد منها، ودارَ عاقبة لمن فهم عنها؟ مساجدَ أنبياء الله، ومهبطَ وحيه، ومصلى ملائكته، ومتجرَ أوليائه، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها وقد آذنت بِبَيْنِها، ونادت بانقطاعها، نعتت نفسها وأهلها، فمثَّلت ببلائها البلى، وشوقت بسرورها إلى السرور، تخويفاً وترغيباً، وابتكرت بعافية، وراحت بفجيعة، فذَمَّهَا رجالٌ فرَّطوا غداةَ الندامة، وحمدها آخرون اكتسبوا فيها الخير الكثير، فيا أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها متى استَذَمَّت إليك؟ أم متى غَرَّتكَ؟ أبمضاجع آبائك من البِلى؟ أم بمصارع أمهاتك تحت الثرى؟ كم مرضتَ بيديك؟ وعالجت بكفيك؟ تلتمس لهم الشفاء، وتستوصف لهم الأطباء، لم تنفعهم بشفاعتك، ولم تُسعفهم في طلبتك، مثلت لك - ويحك - الدنيا بمصرعهم مصرعَك، وبمضجعهم مضجعَك، حين لا يُغني بكاؤك، ولا ينفعك أحباؤك.

ثُمَّ التفت عليه السلام إلى أهل المقابر، فقال: يا أهل التُّربة، ويا أهل الغُربة، أما المنازلُ فقد سُكِنَت، وأما الأموالُ فقد اقتُسِمَت، وأما الأزواجُ فقد نُكِحَت، هذا خبر ما عندنا فما خبرُ ما عندكم؟ ثُمَّ أقبل على أصحابه، فقال: والله لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى.

فهذه هي المواعظ البليغة التي تؤثر في النفوس، وتسيل المدامع وتطأطأ الرؤوس.

٤٢- حول الجنة ونعيمها، والنار وجحيمها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رغب عباده في ثوابه، وحذرهم من عذابه، وجعل الجنة منزلاً لمن أطاعه ومقيلاً، وأعد لمن خافه مسكناً كريماً، ولمن عصاه عذاباً أليماً، دائماً مقيماً، نحمده على ما ألهمنا من طاعته، وحذرنا من معصيته، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي ليس له ند ولا شبيه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادقُ الأمين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: قد غطى حب الدنيا على القلوب فألهاها، وغلب الشقاءُ على النفوس فأنساها، فأصبحنا وأمسينا في غفلة عما يراد بنا، لا نعرف معروفاً ولا ننكرُ منكراً، ولا نحاول أن نجلبَ لأنفسنا نفعاً، ولا ندفع عنها ضراً، بل صارت حالنا في الدنيا حالَ من يعيش فيها دائماً، قد أمنَّا البيات، ونسينا الممات، ولهونا عن الدار الآخرة، فكأننا في الدنيا مخلدون، وفيها مقيمون، نسينا كل واعظة، وأمنا كل جائحة، كأن الوعد والوعيد لغيرنا، وكأن الجنة والنار خلقتا لسوانا، فلا يظهر على وجوهنا همٌّ ولا غمٌّ لغير الدنيا، إن فاتنا اليسيرُ منها حزِنّا، وإن نلنا منها القليل فرحنا وسُررِنا، وإن فاتنا الكثير من الآخرة ونعيمها لا نبالي، ولا يظهر على وجوهنا شيء من آثار الحسرة والندامة.

فقد أصبحنا في زمان لا يعمل أهله إلا للدنيا، ولا يعشقون سواها، ولا يهتمون بغيرها، ولا يتنافسون إلا فيها، ولا يتعادون إلا عليها، لها يجتمعون وبسببها يتفرقون، فصارت حالنا تخالف أحوال الصالحين، ولا نسلكُ مسالك المتقين، ولا نقتدي بأهل الدين، ولا نتأسى بالمؤمنين.

كما روي عن محمد بن الحنفية رضي الله تعالى عنه، قال: لما قدم أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة بعد قتال الجمل دعاه الأحنف بن قيسٍ رضي الله عنه، واتخذ له طعاماً، وبعث إليه وإلى أصحابه فأقبل إليه أمير المؤمنين ثم قال له: يا أحنف ادع أصحابي، فدعاهم فدخل عليه قومٌ متخشعون كأنهم شِنَانٌ بَوَالٍ.

فقال الأحنف بن قيسٍ: يا أمير المؤمنين ما هذا الذي نزل بهم، أمن قلة الطعام أم من هول الحرب؟

قال أمير المؤمنين: لا يا أحنف، إن الله عز وجل إذا أحب قوماً تنسكوا له في دار الدنيا تَنَسُّكَ مَن هَجَمَ على ما عَلِمَ من فزع يوم القيامة مِن قَبلِ أن يُشَاهِدُوهَا، فحَمَّلُوا أنفسَهم كُلَّ مجهودِها، وكانوا إذا ذكروا صباحَ يوم العرض على الله تعالى توهموا خروج عَنَقٍ من النار، يَحشُرُ الخلائقَ إلى ربهم عز وجل، وظهورَ كتابٍ تبدو فيه فضائحُ ذنوبِهم، فكادت أنفُسُهم تسيل سيلاناً، وتطيرُ قلوبهم بأجنحة الخوف طيراناً، وتفارقُهم عقولُهم إذا غَلَت بهم مراجلُ الْمَرَدِّ إلى الله عز وجل غَلَيَاناً.

يَحُنُّونَ حنينَ الوَالِهِ في دُجَى الظُّلَمِ، ذُبَّلُ الأجسام، حزينةٌ قلوبُهم، كالحةٌ وجوهُهم، ذابلةٌ شفاهُهُم، خميصةٌ بطونُهم، تراهم سُكارى وليسوا بسكارى، هم سُمَّارُ وَحشَةِ الليالي مُتَخَشِّعُونَ، قد أخلصوا لله أعمالهم سراً وعلانيةً.

فلو رأيتَهم في ليلهم ونهارهم وقد نامت العيون، وهدأت الأصواتُ، وسكنت الحركاتُ، من الطير في الوكور، وقد نَهْنَهَهُم يومُ الوعيد، ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾، فاستيقظوا لها فزعين، وقاموا إلى مصافِّهم يَعْوِلُون، ويبكون تارةً، ويسبحون ليلةً مظلمةً بهماء.

فلو رأيتَهم يا أحنف قياماً على أطرافهم، منحنيةً ظهورُهم على أجزاء القرآن لصلواتهم، إذا زَفَرُوا خِلتَ النارَ قد أخذت منهم إلى حلاقيمِهم، وإذا أَعولَوا حَسِبْتَ السلاسلَ قد صارت في أعناقهم، ولو رأيتهم في نَهَارِهم إذاً لرأيت قوماً يمشون على الأرض هوناً، ويقولون للناس حسناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، وإذا مروا باللغو مروا كراماً.

أولئك يا أحنفُ انتَجَعُوا دارَ السلام التي من دخلها كان آمنًا، فلعلَّك شغلَك –يا أحنفُ– نظرُك إلى وجهٍ واحدةٍ تُبِيدُ الأسقامُ غضارةَ وجهِهَا، وذاتِ دارٍ قد اشتَغَلْتَ بتقرِيبِ فِرَاقِهَا، وسُتُورٍ عَلَّقْتَهَا، والرياحُ والأيامُ مُوَكَّلَةٌ بتمزيقِهَا، وبِئْسَتْ لك داراً مِن دارِ البقاء.

فاحْتَلْ للدار التي خلقها الله عز وجل من لؤلؤةٍ بيضاءَ، فَشَقَّ فيها أنهارَها، وغَرَسَ فيها أشجارَها، وأَطَلَّ عليها بالنُّضْجِ من ثمارِها، وكَنَسَها بالعواتق من حورِها، ثم أسكنها أولياءه وأهل طاعته.

فإن فاتك يا أحنفُ ما ذكرتُ لك فَلَتَرْفُلَنَّ في سرابيلِ القَطِرَان، وَلَتَطُوفَنَّ بينها وبين حميمٍ آنٍ، فكم

يومئذٍ في النار من صُلبٍ محطومٍ، ووجهٍ مشؤومٍ، ولو رأيتَ وقد قام منادٍ ينادي: يا أهل الجنة ونعيمِها وحُلِيِّها وحُلَلَها خلوداً لا موتَ فيها، ثم يلتفتُ إلى أهل النار فيقول: يا أهلَ النارِ، يا أهلَ النارِ، يا أهلَ السلاسلِ والأغلالِ، خلوداً لا موت، فعندها انقطع رجاؤهم، وتقطعت بهم الأسباب، فهذا ما أعدَّ الله للمجرمين، وذلك ما أعدَّ الله عز وجل للمتقين.

أيها المؤمنون: نحن بحاجة ماسة إلى أن نزيل عن قلوبنا صدأ المعاصي، ورين الذنوب، بأن ندفع بأنفسنا إلى الرغبة فيما رغبنا الله تعالى فيه من ثوابه، وأن نحرص على أن ننال أعلى الدرجات من رضوانه، فلا نعيمَ أعظمَ من الجنة، ولا عذابَ أعظمَ من النار، فاختر لنفسك ما تحب من النعيم أو الشقاوة.

كأننا لم نسمع ولم نقرأ في كتاب الله تعالى ما يدعونا إلى الجنة ونعيمها، بل القرآن مملؤٌ بذكر الجنة وما فيها من النعيم الدائم، كقوله عز وجل: ﴿**فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ، يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ، بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ، وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ**﴾.

وكما قال تعالى: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ، وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ، الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ**﴾.

وقال اللّه تعالى جامعاً لكل خير ونعيم: ﴿**يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾.

وقد ذكر الله تعالى من أحوال أهل الجنة ما يدعونا إلى الرغبة إليها، والإهتمام بها:

أما حياتهم: فقال تعالى: **{فِي عِيْشَةٍ رَاضِيَةٍ}**.

وأما سعة الجنة: فقال تعالى: **{عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}**، وأما طولها فلا يعلمه إلا اللّه.

وأما دورهم: فقال تعالى **{وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ}**، **وقال تعالى {حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}**، روي: أنها خيمةٌ من دُرٍّ مجوفةٌ، أربعةُ فراسخَ في أربعة، عليها أربعةُ آلاف بابٍ من ذهب.

وأما مجالسهم: فقال تعالى: **{عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ}**، وقال تعالى: **{مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ}**.

وأما مأكلهم: فقال تعالى: **{وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ}**.

وأما إدامهم: فقال تعالى: **{وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ}**.

وأما بساتينهم: فقال تعالى: **{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}**، وقال تعالى: **{وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}**.

وأما فواكههم: فقال تعالى: **{فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ}**، وقال: **{فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ}**.

وأما أنهارهم: فقال تعالى: **{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ}**.

وأما شرابهم: فقال تعالى: **{إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا}**، وفي آية أخري **{وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا}**، وقال تعالى: **{يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}**.

وأما لباسهم: فقال تعالى: **{وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ}**، وقال تعالى: **{وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ}**، وقال: **{عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا}**.

وأما زوجاتهم: فقال تعالى: **{وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ}**.

وأما زيارة الملائكة عليهم السلام لهم: فقال تعالى: **{وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}**، وقال تعالى **{وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}**، **وأما سلام الله عليهم:** فقال تعالى: **{سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ}**.

وأما فرشهم: فقال تعالى: **{مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ}**، وقال: **{مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ}**.

وأما خدمهم: فقال تعالى: **{يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ}**.

وأما كيزانهم: فقال تعالى: **{بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ}**.

وأما ظلهم: فقال تعالى **{وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ}** روي أنها شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا ينتهي ظلها، **وأما من يسقيهم:** فقال تعالى: **{وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا}**.

وأما رفقاؤهم: فقال تعالى **{فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}**، وقال تعالى **{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ}**.

وأما استهزاؤهم بأعدائهم: فقال تعالى: **{فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ}**، وهذه مكافأة لهم بما كانوا يستهزئون بهم في الدنيا.

وأما مدة نعيمهم: فهو أبد الآبدين، لامدة تنتهي، ولا أجل ينقضي، والقرآن ناطق بذلك **قال تعالى: {أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا}، وقال تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}**.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}**، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

ومما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نعيم أهل الجنة أنه قال لعلي عليه السلام: ((يا علي: إن المتقين إذا خرجوا من قبورهم استُقبِلُوا بنوقٍ، عليها رَحائِلُ الذهب يستوون عليها، فتطيرُ بهم حتى ينتهوا إلى باب الجنة، فإذا حِلْقَةٌ من ياقوتٍ على صفائح الباب، وإذا عند البابِ شجرةٌ يَنْبَعُ من أصلها عَينَان، فيشربون من إحدى العينين، فلما بلغ الشرابُ إلى الصدور أخرجَ اللّهُ ما في صدورهم من الغل والحسد والبغي، فذلك قوله تعالى: {ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً}، فلما انتهى إلى البطن طهره اللّه من دنس الدنيا وقذرها، وذلك قوله تعالى: {وسقاهم ربهم شراباً طهوراً}، ثم اغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم النضرة والنعيم، لا تَشْعَثُ أشعارُهم، ولا تَتَغَيَّرُ ألوانُهم، فيضربون بالحِلْقَةِ على الصفائح، ولو سمعت لها طنيناً يا علي، فيبلغُ كلُّ حوراءَ أنَّ زوجَها قد قَدِمَ، فتبعث إليه قَيِّمَهُ، فلولا أنَّ اللّهَ عَرَّفَهم نفسَه لخرَّ له ساجداً مما يرى من النور والبهاءِ والحُسن، فيقول: يا ولي اللّهِ أنَا قَيِّمُكَ الذي وُكِّلْتُ بمنزلِك، فينطلق وهو بالأثر حتى ينتهي إلى قصرٍ من الفضة، شُرُفُهُ الذهبُ، يُرى ظاهرُه من باطنه، وباطنُه من ظاهره، فيريد أنْ يدخله، فيقول: يا وليّ اللّهِ أمامَك ما هو أحسن، فينطلق به إلى قصر من الذهب، شُرُفُهُ فِضَّةٌ، يُرى باطنُه من ظاهره، وظاهرُه من باطنه، فيقول: لمن هذا؟ فيقول: هو لك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ولو مات أحدٌ من أهل الجنة من الفرح لمات هو))، فيريد أن يدخله، فيقول: أمامك ما هو أحسن منه، فلا يزال يمر به على قصورِ جِنَانِهِ وأنهارِهِ، حتى ينتهي به إلى غُرفةٍ من ياقوتٍ أحمرَ وأخضرَ وأصفرَ وأبيضَ، في الغرفةِ سريرٌ، عَرضُهُ فرسخٌ في طولِ ميل، عليه من الفُرُشِ كقدرِ سبعينَ غُرفةٍ، بعضُها

فوقَ بعض، فِراشُهُ نُورٌ، وسَريرهُ نورٌ، وعلى رأسِ وليِّ اللّهِ تَاجٌ، لذلك التاجِ سبعونَ رُكْنَاً، في كلِّ ركنٍ ياقوتَةٌ، تُضيءُ مسيرةَ ثلاثةِ أيامٍ للراكب المتْعَبِ، ووجهُه مثلُ القمرِ ليلةَ البدر، عليه طَوقٌ وَوِشَاحَانِ، له نُورٌ يتلألأ، وفي يده ثلاثةُ أَسْوِرَةٍ من فضةٍ وذهبٍ ولؤلؤ، وذلك قوله تعالى:{يحلون فيها من أساورَ من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير}، فيهتز السرير فرحاً وشوقاً إلى ولي اللّه، ويتضع له حتى يستويَ عليه، ثم يهتز في السماء، ثم أتاه قهرمانُهُ بقضيبِ الْمُلْكِ، فجعل يَنْكُتُ فينظر إلى أساس بنيانه، ويَسْتَرِقُهُ مخَافةَ أن يذهبَ بصرُه، فبينا هو كذلك إذ أقبلت حوراءُ عيناءُ، معها سبعون جاريةٍ وسبعون غلاماً، وعليها سبعون حُلة، يُرى مُخُّ ساقها من وراء الحُلَلِ والحُلِيِّ والجلدِ والعظم، كما يُرى الشرابُ الأحمرُ في الزجاجةِ البيضاءِ، وكما يَرون السِّلكَ في الدُّرَّةِ الصافية قال: فلما عاينها نَسِيَ كلَّ شيءٍ قبلها، فتستوي معه على السرير، فيضرب بيده إلى نحرها، وإذا هو يقرأ ما في كَبِدِهَا وإذا فيه مكتوبٌ (أنت حِبِّي وأنا حِبُّكَ، إليك اشتهت نفسي) فذلك قوله تعالى:{كأنهن الياقوت والمرجان}، فيتنعم معها سبعون عاماً، لا تنقطع شهوتها ولا شهوته، فبيناهم كذلك إذ أقبلت الملائكة، وللغرفة سبعون ألف باب، وعلى كل باب حاجب فتقول الملائكة: استأذِنوا لنا على ولي اللّه.

فتقول الحُجَّابُ: إنه ليتعاظمنا أن نستأذن لكم عليه، إنه لمع أزواجه، فيقولون: لابد لنا، إنَّا رُسُلُ الجبارِ إليه، فيناجونه فيما بينهم، فيقولون: يا وليّ الجبار، إن الملائكة يستأذنون عليك. فيقول: ائذنوا، ثم تلا قوله تعالى:{والملائكة يدخلون عليه من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار}، {وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً} يعني استئذان الملائكة، فهذا قطرة من مطرة، وغيض من فيض، مما ورد في نعيم أهل الجنة المكرمين.

أيها المؤمنون: وفي مقابل هذا النعيم ما أعد الله من العذاب الأليم، الدائم المقيم، للعصاة والمجرمين، من الفاسقين والفاجرين والمنافقين والظالمين والكافرين، الذي يُرعبُ القلوبُ ذكرَه، ويسيل المدامع استماعه، فقد ملأ الله تعالى القرآن من آيات الوعيد التي تبين ما أعد من العذاب لأعدائه الأشقياء، وذكر أحوالاً من ذلك:

فأما أماكنهم: فقال تعالى: **{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ**

فِيهِ مُبْلِسُونَ}، وقال: **{فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ}**.

وأما بيوتهم: فقال تعالى: **{لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ}**، وقال: **{لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ}**.

وأما طعامهم: فقال تعالى: **{لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ}**، وقال: **{إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ}**، وقال تعالى: **{وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ}**.

وأما مياههم: فقال تعالى: **{وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا}**.

وأما ثيابهم: فقال تعالى: **{قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ}**، **وقال: {سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ}**.

فأما عذاب جلودهم: فقال تعالى: **{كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ}**، فقد روي أن جلودهم تبدل في كل لحظة سبعين مرة.

وأما وجوههم: فقال تعالى: **{يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ}**، وقوله تعالى: **{تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ}** وقد روي: أن النار تلفحهم لفحة تسيل لحومهم على أعقابهم).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن جهنم إذا سيق إليها أهلها لفحتهم لفحة لم تدع لحماً على عظم إلا ألقته على العرقوب).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: **{تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ}**، قال: ((تشويه، فتتقلَّصُ شفتُه العليا حتى تبلغ وسطَ رأسِه، وتسترخي شَفَتُه السفلي حتى تبلغ سُرَّتَهُ)).

وأما رؤوسهم: فقال تعالى: **{ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ}**، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: {يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود} قال: (يَنْفُذُ الجُمجُمةَ حتى يَخلَصَ إلى الجوف، ويستلبُ ما في جوفه، ثم تمر من قدميه وهو الصَّهْرُ ثم يُعادُ على ما كان).

وروي في تفسير قوله تعالى: **{وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ}**، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لو وضع مَقمَعٌ من حديد في الأرض، ثم اجتمع عليه الثقلان ما أَقَلُّوهُ من الأرض)).

وأما ظهورهم وجنوبهم: فقال تعالى: **{يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ}**.

وأما أيديهم: فقال: **{خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ}**.

وأما بطونهم: فقال تعالى: **{وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ}**، فقد روي أن الماء يُقَرَّبُ إليهم، فإذا أُدني منه شوى وجهَه، فإذا شربه قطع أمعاءه).

وأما أرجلهم: فقال تعالى: **{إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا}** يعني قيوداً.

وفي القرآن من هذا ما هو أكثر، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (ناركم هذه جزءٌ من سبعين جزأً من جهنم، ولولا أنها غُسلت بسبعين ماءً ما أطاق آدميٌّ أن يُسَعِّرَها، وإنَّ لها يوم القيامة لَصرخَةٌ، لا يبقى ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌ مرسلٌ إلا جثا على ركبتيه من صرختها، ولو أن رجلاً من أهل النار علق بالمشرق لأحرق أهل المغرب حره)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن جبريل أتاه فقال أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تُسَعَّرُ ليوم القيامة. فقال: صف لي النار يا جبريل. قال: إن الله أمر بها فأُوقدَ عليها ألفُ عام حتى احمرّت، ثم أوقدَ عليها ألفُ عام حتى اصفَرَّت، ثم أوقدَ عليها ألفُ حتى اسودَّت، فهي سوداءُ مظلمةٌ لا يُضيءُ لهبُها، ولا خمودَ لها، والذي بعثك بالحق نبيئاً لو أن ثوباً من ثياب أهل النار أُظهرَ لأهل الأرض لماتوا جميعاً، ولو أن ذَنُوباً من شرابها صُبَّ في ماء الأرض لقَتَلَ مَن ذَاقَه، ولو أن ذراعاً من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض لزالت وما استقلت، ولو أن رجلاً دخل إلى النار ثم أخرج منها لمات أهلُ الأرض من نَتَنِ ريحه، وشَوِيهِ خَلقِهِ وعظمِه، فبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجبريل عليه السلام فقال جبريل: أتبكى يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً، ولم بكيتَ يا جبريل وأنت الروح الأمين أمينُ الله على وحيه؟ فقال: أخاف ربي إن عصيته فيدخلني النار).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((إن في النار لحياتٌ مثلُ أعناق البخت، تلسع أحدَهم لسعةً

يجد حُمُوَّتَهَا أربعين خريفاً، وإنَّ في النار عقاربَ أمثالَ البغال تلسعُ أحدَهم لسعةً يجد حُمُوَّتَهَا أربعين خريفاً).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((جهنمُ سوداءُ مظلمةٌ، وأهلُها سودٌ، وطعامُها وشرابُها وما أعدَّ الله لأهلها أسود)).

أيها المؤمنون: ذِكرُ النار شديدٌ فكيف النظرُ إليها، والنظرُ إليها شديدٌ فكيف الوقوعُ فيها، والوقوعُ فيها شديدٌ فكيف الخلود فيها، إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين.

أجارنا الله وإياكم من عذابه، وجنبنا من سخطه وعقابه، وألهمنا طاعته وما يقربنا من ثوابه، إنه على كل شيء قدير.

الخاتمة:

في صيغ الصلاة على النبي وآله والدعاء في آخر الخطبة

الصيغة الأولى

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه أمراً لازماً، فقال تعالى **{إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً}**.

اللهم فاجعل أكملَ صلواتك وأشرفَها، وأجملَ تحياتك وألطفَها، وأشملَ بركاتك وأعطفَها، وأجلَّ هباتك وأرأفَها على محمد خاتم النبيين، وأكرم المرسلين، المبعوث في الأميين.

اللهم آتِهِ الوسيلةَ والشرفَ والفضيلةَ والمنزلة الكريمة، اللهم اجعل محمداً يومَ القيامةِ أعظمَ الخلائقِ كلِّهم شرفاً، وأقربَهم منك مجلساً، وأوجهَهُم عندك جاهاً، وأفضلَهُم عندك منزلةً ونصيباً، اللهم اعطه أشرفَ المقام، وحِباءَ السلام، وشفاعةَ الإسلام، اللهم ألحقنا به غير خزايا ولا ناكثين ولا نادمين ولا مبدلين.

وعلى أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، بنص أبيها سيد الأنبياء.

وعلى الإمامِ الحسنِ بنِ عليٍ، إمامِ المسلمين، وريحانةِ قلبِ النبي الأمين، السبطِ الأكبرِ الشهيدِ المسموم.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمنِّك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيه معاشنا، وآخرتنا التي

إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح مَن في صلاحِه صلاحٌ للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحد صفوفنا.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير.

اللهم اسقنا الغيث وآمنا من الخوف، غيث الإيمان في قلوبنا، وغيث الرحمة المنزلة في أوطاننا، غيث النعمة والرحمة، لا غيث السخط والنقمة.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، وأوليائهم المخلصين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المؤذين والمفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

فاذكروا الله يذكركم، فإنه ذاكر لمن ذكره، واسألوا الله من رحمته وفضله فإنه لا يخيب عليه داع دعاه، {ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار} وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

الصيغة الثانية

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، وثلث بكم أيها المؤمنون من جنه وإنسه، فقال عز من قائل عليماً **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}**.

اللهم اجعل أكمل صلواتك وأشرفَها، وأجمل تحياتك وألطفَها، وأشمل بركاتك وأعطفَها، وأجل هباتك وأرأفَها على محمد خاتم النبيين، وأكرم المرسلين، المبعوث في الأميين، المنتجب للميثاق، المصطفى للرسالة، المطهر من كل آفة، البريء من كل عيب، الموصل إلى النجاة، المرتجى للشفاعة، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، اللهم شرف بنيانه، وعظم برهانه، وأفلج حجته، وارفع درجته، وأضئ نوره، وبيض وجهه، واعطه الفضل والفضيلة، والدرجة الرفيعة والوسيلة، وابعثه مقاماً يغبطه به الأولون والآخرون.

وصل وسلم على أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، حامل لواء الحمد، وصاحب حوض الكوثر، أسد الله في الأرض على من جحد وكفر وأعرض، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة نساء العالمين، بنص أبيها سيد المرسلين.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى إمام الحاضر والباد، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، إمام الزيدية إلى يوم التناد، الشهيد السعيد، الولي بن الولي، زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، الذين جعلهم الله دعائم الدين، وأركان التوحيد واليقين، والحجة على الخلق أجمعين، واستخلفهم في الأرض، واصطفاهم لعباده، وارتضاهم لدينه، وخصهم بمعرفته، وندبهم بحكمته، وألبسهم من نوره،

ورفعهم في ملكوته، وحفهم بملائكته، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيه معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح مَن في صلاحِه صلاحٌ للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحد صفوفنا.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

عباد الله: إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

فاذكروا اللهَ العظيمَ يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

الصيغة الثالثة

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، وثلث بكم أيها المؤمنون من جنه وإنسه، فقال عز من قائل عليماً **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}**.

اللهم اجعل أفضل صلواتك، وأنمى بركاتك، وأزكى تحياتك، وأشرفَ كراماتك، وأجل هباتك على محمد أمينك على وحيك، ونجيبك من خلقك، وصفيك من عبادك، إمام الرحمة، وقائد الخير، ومفتاح البركة، كما نصب لأمرك نفسه، وعرض للمكروه بدنه، وكاشف في الدعاء إليك حامته، وحارب في رضاك أسرته، وقطع في إحياء دينك رحمه، وأقصى الأدنين على جحودهم، وقرب الأقصين على استجابتهم لك، ووالى فيك الأبعدين، وعادى فيك الأقربين، وأدأب نفسه في تبليغ رسالتك، وأتعبها بالدعاء إلى ملتك، وشغلها بالنصح لأهل دعوتك، وهاجر إلى بلاد الغربة ومحل النأي عن موطن رحله، وموضع رجله، ومسقط رأسه، ومأنس نفسه، إرادة منه لإعزاز دينك، واستنصاراً على أهل الكفر بك، اللهم فارفعه بما كدح فيك إلى الدرجة العليا من جنتك، حتى لا يساوى في منزلة، ولا يكافأ في مرتبة، ولا يوازيه لديك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وعرفه في أهله الطاهرين وأمته المؤمنين من حسن الشفاعة أجل ما وعدته، يا نافذ العدة يا وافي القول، يا مبدل السيئات بأضعافها من الحسنات، إنك ذو الفضل العظيم.

وصل وسلم على أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، حامل لواء الحمد، وصاحب حوض الكوثر، أسد الله في الأرض على من جحد وكفر وأعرض، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة نساء العالمين، بنص أبيها سيد المرسلين.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى إمام الحاضر والباد، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، إمام الزيدية إلى يوم التناد، الشهيد السعيد، الولي بن الولي، زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، الذين جعلهم الله دعائم الدين، وأركان التوحيد واليقين، والحجة على الخلق أجمعين، واستخلفهم في الأرض، واصطفاهم لعباده، وارتضاهم لدينه، وخصهم بمعرفته، وندبهم بحكمته، وألبسهم من نوره، ورفعهم في ملكوته، وحفهم بملائكته، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيه معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح مَن في صلاحِه صلاحٌ للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحد صفوفنا، اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

عباد الله: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

فاذكروا الله الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

الصيغة الرابعة

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، وثلث بكم أيها المؤمنون من جنه وإنسه، فقال عز من قائل عليماً **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}**.

اللهم اجعل أفضل صلواتك، وأنمى بركات، وأزكى تحياتك فضلاً وعدداً، على أشرف الخلائق الإنسانية، ومجمع الدقائق الإيمانية، واسطة عقد النبيين، ومقدم جيش المرسلين، حامل لواء العز الأعلى، ومالك أزمة المجد الأسنى، محمد بن عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، اللهم شرف بنيانه، وعظم برهانه، وأفلج حجته، وارفع درجته، وأضئ نوره، وبيض وجهه، واعطه الفضل والفضيلة، والدرجة الرفيعة والوسيلة، وابعثه مقاماً يغبطه به الأولون والآخرون.

وعلى أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، ليث الله الغالب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، وخامسة أهل الكساء.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى الإمام الولي بن الولي، ذي المنهج الجلي، والمذهب الرضي، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، الشهيد السعيد، زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، الذين جعلهم الله دعائم الدين، وأركان التوحيد واليقين، والحجة على الخلق أجمعين، واستخلفهم في الأرض، واصطفاهم لعباده، وارتضاهم لدينه، وخصهم بمعرفته، وندبهم بحكمته، وألبسهم من نوره،

ورفعهم في ملكوته، وحفهم بملائكته، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا كريم.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح مَن في صلاحِه صلاحٌ للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحد صفوفنا، اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم اجعلنا في هذا الشهر من عتقائك وطلقائك ونقذائك من النار، وإذا كان لك في ليالي شهرنا هذا رقاب يعتقها عفوك، أو يهبها صفحك، فاجعل رقابنا من تلك الرقاب، واجعلنا لشهرنا من خير أهل وأصحاب، إنك كريم منعم وهاب.

اللهم اسقنا الغيث وآمنا من الخوف، غيث الإيمان في قلوبنا، وغيث الرحمة المنزلة في أوطاننا، غيث النعمة والرحمة، لا غيث السخط والنقمة.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

عباد الله: إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

الصيغة الخامسة

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بالصلاة والتسليم على نبيكم محمد صلى الله عليه وآله فريضة منه واجبة، وكرامة فاضلة فقال تعالى **{إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً}**.

اللهم فاجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك، وأزكى تحياتك وأفضل سلامك ومعافاتك، على محمد عبدك ورسولك وصفيك ونجيك وأمينك وخيرتك من خلقك، الداعي إليك بإذنك، والهادي إلى سبيلك، والشاهد على عبادك، البشير النذير السراج المنير صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين وسلم، اللهم ابعثه المقام المحمود الذي وعدته، وبلغه الدرجة والوسيلة والكرامة والشفاعة والذراعة والفضيلة، واجعلنا ممن تشفعه فيه برحمتك يا أرحم الراحمين.

وعلى أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، ليث الله الغالب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، وخامسة أهل الكساء.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى الإمام الولي بن الولي، ذي المنهج الجلي، والمذهب الرضي، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، الشهيد السعيد، زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، الذين جعلهم الله دعائم الدين، وأركان التوحيد واليقين، والحجة على الخلق أجمعين، واستخلفهم في الأرض، واصطفاهم لعباده، وارتضاهم لدينه، وخصهم بمعرفته، وندبهم بحكمته، وألبسهم من نوره،

ورفعهم في ملكوته، وحفهم بملائكته، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا كريم.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيه معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح مَن في صلاحِه صلاحٌ للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحد صفوفنا.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

عباد الله: إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

الصيغة السادسة

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، وثلث بكم أيها المؤمنون من جنه وإنسه، فقال عز من قائل عليماً **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}**.

اللهم داحي المدحوات، وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، وأزكى تحياتك فضلاً وعدداً، على نبيك الشفيع المشفع، والهمام الأروع، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، والدامغ صولات الأضاليل، والدافع جيشات الأباطيل، اللهم شرف بنيانه، وعظم برهانه، وأفلج حجته، وارفع درجته، وأضئ نوره، وبيض وجهه، واعطه الفضل والفضيلة، والدرجة الرفيعة والوسيلة، وابعثه مقاماً يغبطه به الأولون والآخرون.

وعلى أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، ليث الله الغالب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، وخامسة أهل الكساء.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى الإمام الولي بن الولي، ذي المنهج الجلي، والمذهب الرضي، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، الشهيد السعيد، زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، الذين جعلهم الله دعائم الدين، وأركان التوحيد واليقين، والحجة على

الخلق أجمعين، واستخلفهم في الأرض، واصطفاهم لعباده، وارتضاهم لدينه، وخصهم بمعرفته، وندبهم بحكمته، وألبسهم من نوره، ورفعهم في ملكوته، وحفهم بملائكته، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيه معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح مَن في صلاحِه صلاحٌ للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحد صفوفنا.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم اسقنا الغيث وآمنا من الخوف، غيث الإيمان في قلوبنا، وغيث الرحمة المنزلة في أوطاننا، غيث النعمة والرحمة، لا غيث السخط والنقمة.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

الصيغة السابعة

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه أمراً لازماً، فقال تعالى **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}**، وقال صلى الله عليه وآله ((من صلى علي صلاة واحدة، صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفع له عشر درجات، وكتب له عشر حسنات، ومحى عنه عشر سيئات، واستبق ملاكاه الموكلان به أيهما يبلغ روحي منه السلام)).

اللهم فاجعل أكملَ صلواتك وأشرفَها، وأجملَ تحياتك وألطفَها، وأشملَ بركاتك وأعطفَها، وأجلَّ هباتك وأرأفَها على محمد خاتم النبيين، وأكرم المرسلين، المبعوث في الأميين.

اللهم آتِهِ الشرفَ والوسيلةَ، والمنزلة الكريمة والفضيلةَ، اللهم اجعل نبينا محمداً يومَ القيامةِ أعظمَ الخلائقِ كلِّهِم شرفاً، وأقربَهم منك مجلساً، وأوجهَهُم عندك جاهاً، وأفضلَهُم عندك منزلةً ونصيباً، اللهم اعطه أشرفَ المقام، وحِباءَ السلام، وشفاعةَ الإسلام، اللهم ألحقنا به غير خزايا ولا ناكثين ولا نادمين ولا مبدلين.

وصل وسلم على أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، بنص أبيها سيد الأنبياء.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى إمام الحاضر والباد، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، إمام الزيدية إلى يوم التناد، الشهيد السعيد زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار

المتقين، وعلى الصحابة الأبرار، من المهاجرين والأنصار، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان في سائر الأعصار إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيه معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح مَن في صلاحِه صلاحٌ للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحد صفوفنا.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير.

اللهم اسقنا الغيث وآمنا من الخوف، غيث الإيمان في قلوبنا، وغيث الرحمة المنزلة في أوطاننا، غيث النعمة والرحمة، لا غيث السخط والنقمة.

اللهم ومن أرادنا بسوءٍ أو أذية في بلداننا أو مقدساتنا أو مساجدنا أو مسجدنا هذا، أو في أهالينا وأولادنا وأموالنا وما أحاطت عليه شفقة قلوبنا، فاردد كيده في نحره، واجعل تدميره في تدبيره، واكفنا شره، وادفع عنا ضره، كيف شئت وأنى شئت.

اللهم عليك باليهود والنصارى والمشركين والمنافقين، والظالمين والمستكبرين، اللهم اجعلهم وما أجلبوا غنيمة للإسلام والمسلمين، اللهم خالف بين كلمتهم وألق الرعب في قلوبهم، وأنزل عليهم رجزك ونقمتك وبأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين، اللهم انصر جيوش المسلمين وسراياهم ومرابطيهم في مشارق الأرض ومغاربها، المجاهدين في سبيلك لإعلاء كلمتك، وإحياء دينك وشريعتك، اللهم انصر المستضعفين والمظلومين، وخذ بثأرهم من الظالمين والمستكبرين، يا رب العالمين، إنك على كل شيء قدير.

اللَّهُمَّ إِنَّ أَحْزَابَ الضَّلَالِ قَدْ تَجَمَّعَتْ فَاهْزِمْهَا، وَإِنَّ جُنُودَ الطُّغْيَانِ قَدْ تَكَالَبَتْ وتحالفت فَاحطِمْهَا، فَإِنَّهُ لَا يَقُومُ لِقُدْرَتِكَ قَائِمٌ، وَلَا يَثْبُتُ لِصَوْلَتِكَ جَيْشُ ظَالِمٍ، وَإِنَّكَ بِمَا نُلَاقِي مِنْ الظالمين والمتَمَرِّدِينَ والمنافقين عَالِمٌ، وَقَدْ رَجَوْنَاكَ لِقَشْعِ سَحَابِ الطُّغْيَانِ، وَأَنْتَ الحَنَّانُ المنَّانُ.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، وأوليائهم المخلصين، يا رب العالمين، وافضح

المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

فاذكروا الله يذكركم، فإنه ذاكر لمن ذكره، واسألوا الله من رحمته وفضله فإنه لا يخيب عليه داع دعاه، {ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار} وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

الصيغة الثامنة

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه أمراً لازماً، فقال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}**.

اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك صلاة نامية زاكية، ترفع بها درجته، وتبين بها فضله، اللهم اعط محمداً الوسيلة والشرف والفضيلة والمنزلة الكريمة، اللهم اجعل محمداً أعظم الخلائق كلهم شرفاً، يوم القيامة وأقربهم منك مجلساً، وأوجههم عندك يوم القيامة جاهاً وأفضلهم عندك منزلة ونصيباً، اللهم اعطه أشرف المقام، وحباء السلام، وشفاعة الإسلام، اللهم وألحقنا به غير خزايا ولا ناكثين ولا نادمين ولا مبدلين.

وصل وسلم على أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، بنص أبيها سيد الأنبياء.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى إمام الحاضر والباد، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، إمام الزيدية إلى يوم التناد، الشهيد السعيد زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباءِ المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، وعلى الصحابة الأبرار، من المهاجرين والأنصار، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان في سائر الأعصار إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم عذب كفرة أهل الكتاب والمشركين والمنافقين الذين يصدون عن سبيلك، ويجحدون آياتك، ويكذبون رسلك، اللهم خالف بين كلمتهم وألق الرعب في قلوبهم، وأنزل عليهم رجزك ونقمتك وبأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين، اللهم انصر جيوش المسلمين وسراياهم ومرابطيهم في مشارق الأرض ومغاربها، إنك على كل شيء قدير.

اللهم اغفر للأحياء من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، الذين وحدوك وصدقوا رسولك، وتمسكوا بدينك، وعملوا بفرائضك، واقتدوا بنبيك، وسنوا سنتك، وأحلوا حلالك، وحرموا حرامك، وخافوا عقابك، ورجوا ثوابك، ووالوا أولياءك، وعادوا أعداءك، اللهم اقبل حسناتهم، وتجاوز عن سيئاتهم، وأدخلهم برحمتك في عبادك الصالحين، اللهم اجعل التقوى زادهم، والإيمان والحكمة في قلوبهم، وأوزعهم أن يشكروا نعمتك التي أنعمت عليهم، وأن يوفوا بعهدك الذي عاهدتهم عليه إله الحق وخالق الخلق، اللهم اغفر لمن توفى من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، الذين توفيتهم على دينك وملة نبيك صلى الله عليه وآله، ولمن هو لا حق بهم من بعدهم منهم، اللهم تقبل حسناتهم، وتجاوز عن سيئاتهم، وأدخل عليهم الرحمة والمغفرة والرضوان، إنك أنت العزيز الحكيم.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، وأوليائهم المخلصين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المؤذين والمفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

فاذكروا الله يذكركم، فإنه ذاكر لمن ذكره، واسألوا الله من رحمته وفضله فإنه لا يخيب عليه داع دعاه {ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار} وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

الصيغة التاسعة

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، وثلث بكم أيها المؤمنون من جنه وإنسه، فقال عز من قائل عليماً **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}**.

اللهم داحي المدحوات، وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، وأزكى تحياتك فضلاً وعدداً، على نبيك الشفيع المشفع، والهمام الأروع، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، والدامغ صولات الأضاليل، والدافع جيشات الأباطيل، اللهم شرف بنيانه، وعظم برهانه، وأفلج حجته، وارفع درجته، وأضئ نوره، وبيض وجهه، واعطه الفضل والفضيلة، والدرجة الرفيعة والوسيلة، وابعثه مقاماً يغبطه به الأولون والآخرون.

وعلى أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، ليث الله الغالب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، وخامسة أهل الكساء.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى الإمام الولي بن الولي، ذي المنهج الجلي، والمذهب الرضي، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، الشهيد السعيد، زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، الذين جعلهم الله دعائم الدين، وأركان التوحيد واليقين، والحجة على الخلق أجمعين، واستخلفهم

في الأرض، واصطفاهم لعباده، وارتضاهم لدينه، وخصهم بمعرفته، وندبهم بحكمته، وألبسهم من نوره، ورفعهم في ملكوته، وحفهم بملائكته، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيه معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح مَن في صلاحِه صلاحٌ للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحد صفوفنا.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم اسقنا الغيث وآمنا من الخوف، غيث الإيمان في قلوبنا، وغيث الرحمة المنزلة في أوطاننا، غيث النعمة والرحمة، لا غيث السخط والنقمة.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

الفهرس